

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الجامعات و البحث العلمي

معهد الحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

حروف المعاني عند ابن هشام دراسة منهجية دلالية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة

إشراف الدكتور

عبد الله بوخلخال

إعداد الطالبة

ذهبية بورويس.

جامعة الأمير

عبد القادر

العلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأحمدية
إلى روح أبي.....
إلى أمي الحبيبة.....
أهدي هذا العمل المتواضع
﴿و قل رب ارحمهما﴾

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حروف المعاني عند ابن هشام -دراسة منهجية دلالية-

لم تكن عناية علماء العربية القدامى بالحرف كعنايتهم بالاسم و الفعل. فعلى الرغم من كثرة توراته في التراكيب، فقد قل الحديث عنه في مؤلفاتهم ومصنفاتهم، كموضوع مستقل. لأن حجم عنايتهم بأجزاء الكلمة العربية أقاموه أساسا على مدى تدخل كل جزء في تشكيل أجزاء التركيب الأساس، و لذا عُدَّ الحرف طرفا مكملا لأجزاء التركيب، لا أساسا معتمدا، يمكن أن يلقى الحديث عنه انتشارا مستقلا، و منهجا خاصا. و مع ذلك فقد كانت هناك محاولات كثيرة احتقت برصد الحروف و جمعها في مصنفات متنوعة ألمحت إلى أهمية الحديث عنها لغرض إلقاء الضوء على دور الحرف في تنويع الأساليب، و فهمها و إدراك دلالتها و خفاياها. و هذا يقود إلى الكشف باستمرار عن أسرار لغة القرآن الكريم و إظهار كوامنها، بما يضرر سر جمالها، و عمقها و تطور دلالاتها.

و يعود اهتمامي بهذا الموضوع إلى الفترة التي كنت أدرس فيها مادة اللغة العربية في المرحلة النظرية للماجستير، فقد أنجزت بحثا فصليا في هذا الموضوع تناولت فيه حروف المعاني الأحادية، فوفقت من خلاله على مدى أهمية الموضوع في تفجير كوامن اللغة العربية، و فتح مجال البحث فيما له صلة بها من علوم لغوية، و بلاغية و شرعية... و بذلك تم اختياري للبحث في حروف المعاني عند ابن هشام بمساعدة المشرف الأول الأستاذ الدكتور صبيح التميمي الذي شجعني على دراسة هذا الموضوع لأجل معرفة الضوابط المنهجية في عرض حروف المعاني عند ابن هشام مما يقودنا إلى تجلية أسرار الأسلوب القرآني، إذ بهذه الحروف يفهم كثير من الأساليب البلاغية، و يدرك ما في اللغة من روعة و بيان، فيسبب تعدد المعاني التي يتضمنها الحرف الواحد، نجد الأسلوب العربي، يحمل معاني متعددة، تبعا للمعنى الذي يحمله الحرف، و هذا هو الأمر الذي دفع بكثير من اللغويين فيما بعد إلى وضع مصنفات مستقصية لحروف المعاني، جامعة لها وكاشفة عن كثير من دلالاتها، بمناهج مختلفة، و كان كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أكثر كتب حروف المعاني اتساعا، و أفادها منهجا على عرض دلالات حروف المعاني عرضا عمليا تدريجيا، و لهذا عمدت من خلال التطبيق عليه، و متابعة ما جاء فيه من حروف المعاني إلى الكشف عن أصالة منهج ابن هشام في رصد حروف المعاني، و عرض دلالاتها و استعمالاتها، ملتفتة في كل مرة إلى تفرد منهجه، عن مناهج كتب حروف المعاني التي سبقته، بما تحقق فيه من تنظيم عملي و ترتيب محكم و استقصاء منضبط و شامل، و غيرها من المزايا التي افتقرت إليها مناهج الذين سبقوه.

و لأنّ البحث يقوم أساساً على دراسة حروف المعاني عند ابن هشام، فقد ارتكزت الرسالة، من حيث التطبيق العملي لموضوعها على كتاب مقني اللبيب عن كتب الأعاريب الجامع لهذه الحروف (1). و لما كثر دوران حروف المعاني في التراكم، و تنوعت أقسامها، و تباينت بنسب مختلفة، و بمسميات و مصطلحات متنوعة في كتب النحو و اللغة فقد تعاملت مباشرة وبشكل متواصل مع كتب الأصول الأولى في النحو، ممثلة في الكتاب لسيبويه و في المختضب للمبرد و في الأصول في النحو لابن السراج، إلى جانب كتب أخرى، كانت حاجة البحث ماسة إليها على اختلاف مراحلها، كالإيضاح في علل النحو للزجاجي و الخصائص لابن جني و التسهيل لابن مالك، و ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي، و المزهري في علوم اللغة للسيوطي.

كما سعى البحث إلى الاستفادة من بعض المعاجم اللغوية، مثل لسان العرب لابن منظور و مقاييس اللغة لابن فارس، و المخصص لابن سيده... و قد تم عن طريقها تتبع كثير من التعريفات و الخصائص المرتبطة بحروف المعاني، و لم تكتمل نتيجة التفريق بين مصطلح الحرف والأداة، و معرفة لهما أصلح للاستعمال، إلا بالاستعانة بجملة من المراجع المتنوعة، منها الحروف للفراحي و النحو العربي و منطلق أرسطو لعبد الرحمن الحاج صالح، و مدرسة الكوفة لمهدي المخزومي، و من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، و أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة لفاضل مصطفى المعالي...

كما تناولت الرسالة الحديث عن مذهب ابن هشام، في تعامله مع مصادر المادة، مستعينة بعدد من الكتب القديمة و الحديثة منها الإصناف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، و التبيين للعكبري، و المدرسة النحوية في مصر و الشام في القرنين السابع و الثامن من الهجرة لعبد العال سالم مكرم، و المدارس النحوية لشوقي ضيف.

و قد اعتمدت الرسالة أيضاً على كثير من كتب الطبقات و التراجم كشف لنا بعضها، تميز و تفرد شخصية ابن هشام اللغوية. كما قدم لنا كثير منها، كالفهرست لابن النديم، و إنباء الرواة على إنباء النحاة للقطبي، و طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي، و بغية الوعاة للسيوطي و شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي و كشف الظنون لحاجي خليفة و غيرها... رصيدا زائرا من كتب الحروف في تراث العربية.

(1) و بما أن الكتاب طبع مرارا، فقد اعتمدت منه، على طبعة دار الفكر ببيروت لسنة ألف و تسعمئة و سبعين [1979م]، و هي الطبعة الخامسة التي حققها الدكتور مارن المبارك، و محمد علي حمد الله و راجعها سعيد الأفندي.

و كان من تلك المصنفات ما اتخذته مثالا واضحا يكشف عن اختلاف مناهج استقصاء حروف المعاني، و تبين عرض دلالاتها قبل ابن هشام. و مما طبقت عليه مقارنة بينه و بين ما جاء عند ابن هشام، كتاب حروف المعاني للزجاجي، و كتاب رصف المعاني في شرح حروف المعاني للمالفي، و هما من الكتب المختصة بدراسة حروف المعاني، و كتاب فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي و كتاب شرح المفصل لابن يعيش، و هما من الكتب العامة غير المستقلة بدراسة حروف المعاني، دون أن أهمل استعاني لدعم البحث بكتب أخرى كمعاني الحروف للرماني، و الصالح في فقه اللغة لابن فارس، و المفصل في علم العربية للزمخشري و الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي...

و بالنظر إلى قيمة الحرف في تفسير القرآن الكريم، فقد عدت النصوص القرآنية مجالات لدراسة حروف المعاني عند ابن هشام، و لذلك اعتمدت الرسالة على كتب في التفسير، منها جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، و الكشف للزمخشري، و البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي... فقد نص هؤلاء من خلال أسئلة كثيرة، على ذكر ما تفيد الأوت و حروف المعاني من أساليب بلاغية، و ما تؤديه من أسرار و لطائف هي كذلك مدار لاستنباط الأحكام الشرعية و توجيهها، و مفاتيح لكثير مما أغلق منها، و لذلك رأيت أنه من الضروري تتبع حروف المعاني في بعض كتب أصول الفقه مدعمة عن طريقها ما جاء به ابن هشام من عرض و شرح لبعض دلالاتها الشرعية [الفقهية] و أنكر من تلك الكتب. الإحكام في أصول الأحكام للامدي، و المنحول من تعليقات الأصول لأبي حامد الغزالي، و تفسير القرطبي الجملع لأحكام القرآن.

و كان لبعض كتب الدراسات القرآنية مساهمة و فرة في توثيق مادة البحث و إثرائه من الجانبين اللغوي و التشريعي، أهمها معاني القرآن للقراء، و معاني القرآن للكفخش، و مجاز القرآن لأبي عبيدة و الاتقان في علوم القرآن للسيوطي.

هذا و قد أدى غنى مادة كتاب مغني اللبيب و تفرع مباحث الرسالة إلى التعامل بكثرة مع مؤلفات أخرى ككتب القراءات، و دواوين الشعراء، و كتب الحديث للشراف إلى جانب مؤلفات كثيرة كانت لها صلة و طيدة بمنهج ابن هشام و مذهبه النحوي، و أسلوب عرضه لدلالات حروف المعاني و استثماره للشواهد المتنوعة، منها ابن هشام الأنصاري آثاره و مذهبه النحوي لعلي فودة نيل، و ابن هشام الأنصاري حياته و منهجه النحوي لعصام نور الدين و شرح شواهد المعني للسيوطي، و شرح أبيات المعني للبغدادي.

و كانت هذه الكتب، و غيرها روافد استمد منها البحث شكله الذي انتهجت فيه تقسيم موضوع حروف المعاني عند ابن هشام -دراسة منهجية دلالية- إلى مدخل و ستة فصول عرضتها على النحو التالي:

- المدخل: ترجمة ابن هشام.

و فيه أقيمت الضوء على جوانب هامة، من شخصية ابن هشام الأنصاري، فأنزلته منزلة العلمية، و نوهت بجهوده اللغوية، و شخصيته المتميزة اعتمادا على ما أثبتته له كتب الطبقات و التراجم.

- الفصل الأول: الحروف من حيث المصطلح والخصائص

و فيه عمدت إلى تأكيد أصالة الحرف كمصطلح عملي ودقيق في الدراسات اللغوية، و بالمقابل سعت عن طريق المنابعة و الاستقراء، إلى رفض الأداة مصطلحا بديلا للحرف، لأن حدود استعمال الحرف واسعة و دقيقة، تختلف في طبيعتها عن حدود مجال استعمال الأداة في الدرس اللغوي عند العرب. و لذلك رأيت أن الخلوص إلى تحديد منزلة الحرف، و خصائصه، و بيان أهمية وظيفته الدلالية و كيفية الحديث عنه في بعض كتب النحو العامة مطلب منهجي لا غنى عنه في هذا الفصل.

- الفصل الثاني: التأليف في حروف المعاني قبل ابن هشام.

و قد سعت في هذا الفصل إلى إبراز مدى عناية النحاة و اللغويين بدراسة الحروف بعامة، و حروف المعاني بخاصة، و هي محاولة جادة مني لحصر الجهود، و المؤلفات التي كان ميدان اهتمامها حرف المعنى عن طريق رصد إحصائي تمثيلي، يكشف بوضوح حجم وجود الحرف في تراث العربية. و حتى يتم ربط جزئيات البحث بموضوع الرسالة، فقد قمت في هذا الفصل بانتقاء بعض المصنفات التي رأيتها صالحة، لأن تكون عينة تطبيقية كاشفة عن قصور مناهج السابقين لابن هشام، و ذلك بالتركيز على دراسة المنهج العام لتلك المصنفات من جانب عرضها لمادة حروف المعاني باختصار، و لذا فقد عد هذا الفصل لطريق الأول الذي يقودنا لاستيعاب منهج ابن هشام في الباب الأول من كتابه معاني اللبيب.

- الفصل الثالث: المفردات و أسلوب عرضها عند ابن هشام.

و في هذا الفصل حددت الأطر العريضة لابن هشام في اجتياحه لتدارك النقص الموجود في مناهج السابقين له. كما أوضحت مقدرته المنهجية في طريقة عرضه للمادة التي حاول أن يكون فيها معلما موجها و بارعا في ملاحظاته و استطراداته، لأمولفاً راصدا و جامعاً في نقوله و تحليلاته.

- الفصل الرابع: مصادر ابن هشام

حاولت في هذا الفصل أن أقوم بمتابعة دقيقة لمصادر مادة حروف المعاني عند ابن هشام، و قد أردت من هذه المتابعة الكشف عن مدى ثراء و غنى الكتاب في بابه الأول - بالمصادر المتنوعة التي تعكس بوضوح موسوعية المعرفة اللغوية عند ابن هشام، و قدرة حافظته على التماس الدليل و تصديده، و كان تنوع المصادر و تباينها عند ابن هشام دليلاً مؤكداً لمدى الارتباط الوثيق الظاهر، و الخفي، بين روافد مادة الكتاب الغزيرة، و مجليا لحدود الإطار المذهبي الذي تحرك داخله ابن هشام، مُنصفاً هادئاً لا متعصبا أو متعنتاً.

- الفصل الخامس: منهج ابن هشام في شرح دلالات حروف المعاني

أما في هذا الفصل فقد عيّنت بتفسير دلالات حروف المعاني عند ابن هشام من خلال التطبيق على حروف معينة هي: الهمزة، الباء، إن، لم. و قد تم اختيار هذه الحروف بالتحديد، لإلقاء الضوء على جوانب هامة يتطلبها البحث عند الحديث عن حروف المعاني. و هذه الجوانب تمثلت في تقسيم الحروف إلى حرف عامل، و حرف عاطل عن العمل، و هذا التقسيم ارتبط أساساً بتوزيع الحروف على ما تختص به من اسم أو فعل

أو بهما معا، و على هذا الأساس تم اختيار هذه النماذج الحرفية لعرض دلالاتها عن طريق مقابلة و موازنة بين ما جاء في الكتاب لمسيبويه و المقتضب للمبرد من كتب الأصول الأولى، و في مصنفين مختصين بحروف المعاني و سابقين لابن هشام و هما كتابا حروف المعاني للزجاجي، و رصف المباني للملقى و بين ما جاء في مقاي اللبيب عن هذه الحروف. و قد تحسنت من خلال عملية الموازنة و المقابلة هذه أصالة نهج ابن هشام و معرفته على استيعاب ما جاء به الذين سبقوه في مجال حروف المعاني، مضيفا إلى ذلك تطورا في توظيف المنهج الذي يلائمها و شروحا مستفيضة تفسرها، و قد قادته حنكته المتمرنة في المنهج و العرض إلى توليد ظواهر بحثية، ارتبطت بدلالات حروف المعاني و هي:

- ظاهرة التفسير القرآني في أحاديث ابن هشام.

- ظاهرة علاقة حروف المعاني بالأحكام الشرعية عند ابن هشام.

- ظاهرة تناوب الحروف [حروف الجر] عند ابن هشام.

- الفصل السادس: التوثيق اللغوي لدلالات حروف المعاني عند ابن هشام

تناولت في هذا الفصل كيفية استثمار ابن هشام للشواهد الكثيرة المتنوعة و طريقة تعامله معها، و الجديد و المتميز فيها، بتوسيع روافدها كقبول الاستشهاد و التمثيل بالحديث النبوي الشريف، و بشعر من غير عصور الاحتجاج. و قد ناقش ابن هشام شواهد، و علق عليها بمنهج متفرد بينت من خلال الكشف عنه مقياس ترجيح شواهد على أخرى في توجيه القضايا اللغوية، و النحوية و الشرعية، التي حددت عن طريقها مساحة كل نمط من الشواهد، التي تم التوثيق اللغوي لمعاني الحروف بها.

و من أجل الإحاطة بالموضوع، من جميع جوانبه فقد اعتمدت الرسالة على: ... في بعض ... و منهج استنباطي تحليلي، لأن متابعة حروف المعاني عند ابن هشام و عرضها و تفسير دلالاتها، لا ينبغي إلا على الرصد و الاستنتاج الموثق توثيقا دقيقا، و المحلل تحليليا تمثيلا واسعا، و مركزا.

أمّا عن الصعوبات التي اعترضتني في البحث، فالمجال لا يسعني للحديث عنها لكثرتها، و يمكن أن اختصرها في القول، بأنها صعوبات البحث العلمي في الجامعة الجزائرية، و التفصيل فيها قد يمنع القارئ من قراءة الصفحات المتبقية من الرسالة، و على الرغم من ذلك، فأنا أعد هذه الصعوبات دافعي الأول للإبداع في اقتناص الملاحظات، و التركيز على استنتاجات واضحة، دعمت وأثريت بها موضوع الرسالة.

و في الأخير أتقدم بالشكر إلى كل من شجعني و أعانني على إنجاز هذا البحث و في مقدمتهم المشرف الأول الأستاذ الدكتور صبيح التميمي، الذي أخذ بيدي، فساعدني على بناء المعالم الرئيسة للبحث جمعا و تحريراً، و شاء الله أن يغادر المشرف الجزائر قبل أن أنهى بحثي، و لم أجد عناء في البحث عن مشرف آخر، فقد ساعدتني إدارة المعهد بالتعاون مع إدارة الدراسات العليا على الاتصال بالأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال الذي أدخل على بحثي تعديلات منهجية، و لم ييخل علي بنصائح، و ملاحظاته القيمة التي أفادتنني كثيرا فأعطت لبحثي نفسا جديدا، و دفعتني لإخراجه على ما هو عليه، فأليه أتقدم بالشكر الجزيل، سائلة الله

أن يلهمني حسن الثواب، و ما بحثي هذا إلا وقفة متواضعة أمام هذه اللغة و إعجازها المتضمن في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۚ ﴾ (1) فالله أنيب داعية أن يهتدي إلى طريق العلم فهو نعم السبيل ﴿ وَ قَدْ رَفَعْنَا زَنِّي عِلْمًا ۚ ﴾ (2).

والله ولي التوفيق

(1) يوسف 2.

(2) طه 114.

المدخل

ترجمة ابن هشام

جامعة الأمير
القادر للعلوم الإسلامية

ليست ضرورة التعرف بابن هشام الأنصاري، من باب التقليد المنهجي في البحوث التي تقوم أساساً على دراسة إنتاج شخصية علمية، وإنما هي ضرورة فرضها المنهج الداخلي المرسوم للبحث في إبداعات التوازن بين منهج ابن هشام المتميز وبين معرفة شخصيته، ولذلك كانت غايتي في التعرف بحياته الشخصية والعلمية، تكوين فكرة صحيحة عن الرجل ومنهجه في الباب الأول من كتابه المعروف **مغني اللبيب عن كتب الأعريب**.

وقد حاولت أن ألم بأهم جوانب هذه الشخصية، مركزة على المعالم الرئيسة التي تكشف عن مكانة ابن هشام العلمية، وحدودها الزمانية والمكانية.

1- اسمه:

هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف، بن أحمد بن عبد الله بن هشام جمال الدين أبو محمد النحوي المصري الخزرجي الشافعي الحنبلي الشهير بابن هشام⁽¹⁾.

وقد عدّه جلال الدين السيوطي رابع شخصية تشتهر وتعرف بهذا الاسم.

قال الأول **سيد الملك بن هشام** صاحب السيرة والمغازي، والثاني محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي، والثالث محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، والرابع جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الحنبلي المتأخر صاحب التصانيف المشهورة⁽²⁾. فهو الأنصاري الخزرجي⁽³⁾. وقد كان أثر نسبته إلى الأنصار واضح في غايات جهوده العلمية التي صنفها، إذ ختم بمؤلفاته المتنوعة النص القرآني الكريم والسنة النبوية الشريفة⁽⁴⁾.

(1) انظر الدرر الكلمنة لأبن حجر الصفحاني 415/2 وحسن المحاضرة للسيوطي 536/1، و بغية الوعاة للسيوطي 68/2، و انجوم الزاهرة لأبن تغري بردي 336/10، و شذرات الذهب لأبن عماد الحنبلي 191/6 و حاشية الأمير علي المغني لمحمد الأمير 2/1 و كشف الظنون لحاجي خليفة 1751/2 و هدية العارفين لاسماعيل باشا البخاري 465/1 و معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إيلان سركيس 1273 و معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 163/6.

(2) حمرهم في علوم اللغة 282/2، وانظر في ذلك حاشية الأمير 3/1، و شرح شذرات الذهب لأبن هشام هلمش 9.

(3) حاشية الأمير 2/1.

(4) انظر مقدمة ابن هشام في كتابه مغني اللبيب 13، 12.

2 - مولده ونشأته (1):

أجمعت كل الروايات التي ترجمت لابن هشام على أنه ولد في ذي القعدة في سنة ثمان و سبعمائة للهجرة (708هـ) و كانت ولادته في مصر، و بالتحديد في القاهرة، التي نشأ و تعلم فيها، على شيوخ للعلم و الأدب و العربية. لقد قضى حياته كلها طالبا للعلم، مشتغلا به، ملازما لشيوخ عصره، و منقصيا لمعارفهم، مفيدا بها فلم ينصرف في حياته عن التدريس و التأليف. كما كانت لابن هشام رحلات متكررة إلى مكة المكرمة، و في أثناء هذه الرحلات ألف كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعريب فعاش بعد تأليف هذا الكتاب نحو أربع سنين تاركا ولدين هما: محب الدين، و عبد الرحمن، و مؤلفات كثيرة و متنوعة سنأتي على ذكرها. (2)

3 - وفاته:

اتفقت كل الكتب على أن وفاته كانت في سنة إحدى و ستين و سبعمائة للهجرة (761هـ) (3) و لم يشذ عن ذلك سوى صاحب كشف الظنون الذي قال بوفاته في سنة اثنتين و ستين و سبعمائة للهجرة (762هـ) (4)، و صاحب هدية العارفين الذي قال بوفاته في سنة ثلاث و ستين و سبعمائة للهجرة (763هـ) (5)، أما يوم وفاته فصلاص الخامس من ذي القعدة الذي حدده معظمهم بليلة الجمعة (6). و قد ذهب أحد الذين ترجموا لابن هشام إلى إيجاد موافقة بين يوم مولده و يوم وفاته فقال: "ولد رحمه الله بالقاهرة المحروسة، يوم السبت خامس ذي القعدة للحرام سنة ثمان و سبعمائة، و وفق وفاته خامس ذي القعدة أيضا سنة إحدى و ستين و سبعمائة... (7)"

(1) أما عن نشأة ابن هشام فلم يفصل فيها الذين ترجموا له.

(2) انظر الدرر الكامنة 415/2، 416، و حسن المحاضرة 536/1 و بغية الوعاة 68/2 و شذرات الذهب 191/6، و البدر الطالع للشوكلي 401/1، و مقامة ابن هشام في كتبه المغني 12، 13، و حاشية الأمير 2/1.

(3) انظر الدرر الكامنة 417/2، و حسن المحاضرة 536/1، و بغية الوعاة 69/2، و البدر الطالع 402/1.

(4) كشف الظنون 1751/2، 1752.

(5) هدية العارفين 465/1.

(6) أما الدكتور عمر رضا كحالة فقد ذكر أن وفاة ابن هشام كانت في السادس و ليس الخامس من ذي القعدة، انظر معجم المؤلفين 163/6.

(7) شرح التصريح على التوضيح لخلاد الأزهري 5/1.

لقد تم دفنه بمقبرة الصوفية، خارج باب النصر من القاهرة التي توفي بها (4) "و لا يزال قبره ظاهراً إلى الآن يتعرض فيها للاستخدام بعربات نقل الأحجار النازلة من المقطم أو المساعدة إليه، ولو أنصف هذا الرجل لخلد نكره بين كبار الرجال و لهيب قبره من الابتدال، و لحفظ عليه من الثور و الزوال" (2).

و كان لوفاة ابن هشام، وقع الليم على نفوس الذين عرفوه، و سمعوا عنه فقد رثاه ابن نباتة بقوله:

سقى ابن هشام في الثرى نوءاً رحمةً تجر على شواه نيلَ عمَام (3)

سأروي له من سيرة المدح مسنداً (3) فما زلت أروي سيرة ابن هشام (4)

و رثاه ابن الصاحب بدر الدين بقوله:

تهنّ جمال الدين بالخلد إنّي لفقدك عيشي ترحه وتكلّم
فما لدروس غبت عنها طلاوة و لزمان لست فيه جمال (5)

4- تكوينه العلمي:

لقد تكون ابن هشام تكونا علمياً راسخاً و متنوعاً، وسع من أفقه و ثقافته، و هذا ممكن من مزج معارفه كلها، و صبها في تحليلاته النحوية، و استباطاته اللغوية. إنه لم يكتف بالأخذ، و التحصيل من شيخ واحد في التخصص الواحد، بل راح ينشد دروساً شتى يقوي بها ملكته، و يؤصل لها بشكل تصاعدي، عمق من اتجاهه العلمي، و مذهبه الديني. فقد كان شافعيّاً، ثم أصبح حنبليّاً و استقر على ذلك حتى وفاته (6).

1- شيوخه

تتلذذ ابن هشام على أيدي علماء كثيرين مشافهة، و أخذ عن آخرين نقلاً و سماعاً، و لم يفوت عليه فرص التحصيل المتنوعة، ساعده على ذلك بعده عن التعصب، و تواضعه، و إلمامه بالمستمر على التحصيل العلمي في طلب العلا. لقد "أزم الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف بن المرحل، و تلا على بن السراج، و سمع

(1) النجوم الزاهرة 336/10 و نشرات الذهب 192/6 و معجم المؤلفين 163/6.

(2) مجلة الأزهر، جمال الدين بن هشام النحوي المصري، مصطفى عبد الحميد أبو زيد مج 296/12.

(3) من [الطويل] و هما في ديوان ابن نباتة 466، و قد ورد البيت الثاني فيه برواية [سيرة] و ليس [مسنداً] و كذا في حاشية الأسير 2/1.

(4) انظر الدرر الكامنة 416/2 و بغية الوعاة 70/2 و معجم المطبوعات العربية و العربية 274 و حاشية الأمير 2/1.

(5) من [الطويل] لابن الصاحب بدر الدين المعروف بلقب الناطم أي ابن بدر الدين ابن ابن مالك. انظر الدرر الكامنة 416/2.

(6) انظر النجوم الزاهرة 336/10 و حاشية الأمير 2/1 و دفتر الطالع 401/1 و دائرة المعارف الإسلامية 295/1.

من أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى، و لم يلازمه و لا قرأ عليه. و حصر دروس الشيخ ناج الدين
النبريزي، و قرأ على الشيخ ناج الدين الفاكهاني، جميع شرح الإشارة له إلا الورقة الأخيرة. و تفقه للشافعي
ثم تحنبل فحفظ مختصر الخرق في دون أربعة أشهر، و ذلك قبل موته بخمس سنين... و حدث عن
ابن جماعة بالشاطبية⁽¹⁾.

و هؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم مثلوا الروايد المختلفة و المتنوعة التي استقى منها ابن هشام ثقافته.
فتحصيله لم يكن وفقا على النحو، وإنما كان مزيجا من العلوم السائدة في عصره، و قد كان بارعا فيها⁽²⁾.
... ففي لفقه درس المذهب الشافعي، و ألم قبل موته بقليل بالمذهب الحنبلي. و في الأدب تلقى ديوان زهير
عن أبي حيان. و في القراءات أخذ عن ابن السراج، و حدث بالشاطبية عن ابن جماعة...⁽³⁾
إنه لم يكن مؤمنا بمبدأ التخصص في التحصيل اللغوي أو الشرعي، فجمع بينهما فكان بذلك انحوي "المشارك
في المعاني و البيان و العروض و الفقه و غيرها"⁽⁴⁾.

ب- براعته في العربية

أتقن ابن هشام العربية إتقاناً كبيراً جعله يفوق الأقران و الشيوخ في عصره⁽⁵⁾. فلم يبق له نظير فيها⁽⁶⁾
و عد بذلك قارصها و مالك زمامها⁽⁷⁾. و قد لا نملك دليلاً قوياً على مقدرته اللغوية سوى كتبه و مصنفاته
في هذا المجال، التي تكتفي في طليعة الأمثلة الجيدة للمؤلفات النحوية و اللغوية في عصره، من حيث المنهج
و نراء المادة فصار له في فن العربية من الماكدة ما لم يكن لغيره فاشتهر صيته في الأقطار و طارت
مصنفاته في غالب الديار⁽⁸⁾.

(1) الدرر الكامنة 15/2 حواشيه فوعة 68/2 وخرات الفذهب 191/6.

(2) النجوم الزاهرة 336/10.

(3) المدرسة النحوية في مصر و الشام في القرنين السابع و الثامن من الهجرة د/ عبد المال سلام مكرم 358.

(4) معجم المؤلفين 163/6.

(5) الدرر الكامنة 15/2 حواشيه فوعة 68/2 والبدر الطالع 401/1.

(6) البدر الطالع 401/1.

(7) النجوم الزاهرة 336/10.

(8) البدر الطالع 401/1.

لقد عرف ابن هشام كيف ينمي قدراته في العربية بالاستفادة من شيوخ عصره، فكان ينتقي من يأخذ عنهم في هذا المجال على اعتبار الجهد و تنوع (1) المعارف و المنزلة. و لذلك لازم الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف بن المرحل و أخذ عن أبي حيان (2) و إليهما "انتهت مشيخة النحو بالديار المصرية" (3). و قد أنزلهما ابن هشام منزلتهما معترفاً بجهودهما لأن "الاسم في زمانه كان لأبي حيان و الانتفاع بابن المرحل" (4).

ج- وظيفته

أهل للتكوين العلمي المتنوع لابن هشام و ثقافته الواسعة و الراسخة في شتى العلوم، و بخاصة علم العربية، و تبنيه للمذهب الشافعي ثم الحنبلي لأن يكون معلماً مبرزاً في العلوم الشرعية و اللغوية. لقد تصدر للتدريس فيهما، و كانت غايته في ذلك نفع الطالبين نفعاً علمياً رصيناً، فدل ذلك على إحساسه العميق بمسؤولية التعليم التي نصب نفسه لها، حتى تخرجت عليه جماعة كبيرة من أهل مصر (5). و تذكر الروايات أنه لاشتغل في الفترة التي كان فيها شافعياً مدرساً لعلم التفسير بالقبة المنصورية بالقاهرة. و حينما انتقل إلى المذهب الحنبلي قبل وفاته بخمس سنوات، لاشتغل معلماً بالمدرسة الحنبلية بالقاهرة (6)، فتزل في دروسها (7).

و لعل أداء ابن هشام لوظيفة التعليم على اختلاف مراحل عطائه، هي السبب في طبع مؤلفاته بمنهج تعليمي "خدم... تدريس النحو خدمة جليلة عبر ما يقرب من سبعة قرون، فمنذ ظهرت هذه المؤلفات، و هي كتب الدرس المعتمدة في المؤسسات المتخصصة في دراسة العربية إلى يومنا..." (8)

(1) كان إماماً فاضلاً و ففيها عارفاً باللغة و علم البيان و الفراءات. (توفي 744هـ)، انظر شذرات الذهب 140/6.

(2) أبو حيان الإمام أنير الدين محمد بن حيان الأنلسي القرناطي نحوي لغوي مقرئ (توفي 745هـ)، انظر حسن المحاضرة 534/1.

(3) شذرات الذهب 140/6.

(4) المصدر نفسه 140/6.

(5) الدرر الكامنة 415/2 و حسن المحاضرة 536/1 و البدر الطالع 401/1 و شذرات الذهب 191/6.

(6) دائرة المعارف الإسلامية 1/295، 296 و معجم المفسرين/ عادل نويهض 330/1.

(7) النجوم الزاهرة 336/10.

(8) ابن هشام الأنلسي آثاره و مذهبه النحوي د/ علي هودة نيل 381.

نال ابن هشام في حياته شهرة كبيرة، جعلت الناس يقبلون عليه للانتفاع بعلمه الذي انفرد بالفوائد الغريبة، والمباحث النقية والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البالغ والاطلاع المفرط، الذي ينم عن ثقافته الموسوعية، و نكاته العلمي في الاقتدار على التصرف في الكلام من حيث التعبير عن مقصوده بأسلوب يتناسب مع ذلك المقصود مسهباً و موجزاً⁽¹⁾. فيتعين من خلال ذلك إدراكه الواعي بطرق العطاء العلمي، وأساليبه المختلفة في إحداث التناسب بين المقامات والمفالات العلمية.

و مثل هذه الصفات العلمية، تعد ضوئاً ساطعاً يكشف عن جوانب كثيرة من شخصية ابن هشام المجتهدة المتنبية في منهجها وأسلوبها مبدأ التحقيق والتحليل اللذين طبعا طريقته في الدرس التحويي واللغوي، مما جعل للعلماء يشيدون بفضله و ينوّهون بمقدرته، إذ يقول فيه ابن خلدون:

تمثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر، يعرف بابن هشام. ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة، لم تحصل إلا لسيبويه و ابن جني و أهل طبقتها لعظم ملكته، و ما أحاط من أصول ذاك الفن و تفاريعه و حسن تصرفه فيه، و نل ذلك على أن الفضل ليس منحصراً في المتقدمين...⁽²⁾

و اعتراف ابن خلدون بفضل ابن هشام في خدمة العربية، دليل صريح على شخصية ابن هشام العلمية، و طول باعها في صناعة العربية و تفاريعها.

(1) الدرر الكلمنة 415/2، 416 ونية الرعاة 68/2، 69 وحسن المحاضرة 536/1 وشذرات الذهب 191/6، 192 ولبير

الطلع 401/1 .

(2) لمخمة 1022/1 .

عرف ابن هشام بالتواضع، والبر والشفقة ومائة الخلق و رقة القلب(1). كما امتاز بنكاه منقطع النظر، نلمس ذلك في قدرته الخارقة على حفظ مختصر الخرقى في أقل من أربعة شهور(2). وهذه الأخلاق الزفيمة لا نستغرب وجودها متكاملة في شخصية توسعت معارفها اللغوية و الدينية، و شغلت وقتها بالتحصيل و العطاء و إفادة الطلاب. فأدت رسالتها على أكمل وجه، واتخذت شعارها في العلم ما حرا: هذان البيتان اللذان يضافان دليلا على قدرتها في نظم الشعر إذ يقول:

و من يصطبر للعلم يظفر بنبيله و من يخطب الحسنة يصبر على البذل
و من لا يذل النفس في طلب العلا يسيرا يعيش دهرها طويلا أخا نل(3)
فحري بشخصية كهذه أن تكون على هذه الأخلاق الكريمة، لقد استوعب ابن هشام معارف متنوعة و خير الحياة، فمزج بين معارفه و أخلاقه، فكان معلما حكيما شعاره في الحياة قوله:
سوء الحساب أن يؤخذ الفتى بكل شيء في الحياة قد أنسى(4)

5- جهوده العلمية و اللغوية:

ترك ابن هشام زادا لغويا متنوعا و غنيا، لا غنى للدرس اللغوي و النحوي عنه، حيث أربت مؤلفاته على اختلاف أنواعها و مناهجها على العشرين، و عدت من أهم المراجع المعتمدة في التحصيل و البحث اللغوي. رصدها الجامعون، و تتبع ما فيها الدارسون و الباحثون، فكشفوا عن رسوخ علم ابن هشام في العربية، و نبوغه و وفرة عطائه غير الناضب و كثرة تأليف ابن هشام، تدل على مكنته العلمية، فما وضعه

(1) انظر الدرر الكامنة 416/2 و بنية الوعاة 69/2 و شذرات الذهب 192/6.

(2) تلمذة النحوية في مصر و الشام 359.

(3) من [المطرب] لابن هشام، انظر الدرر الكامنة 416/2، 417، و بنية الوعاة 69/2 و شذرات الذهب 192/6.

(4) من [الرجز] لابن هشام، انظر بنية الوعاة 69/2 - شذرات الذهب 192/6.

من كتب، و رسائل قيمة يكشف عن سعة علمه، و عن استيعابه المعرفي و دقة الاختصاص؛ و قد استقصى غير واحد من الباحثين آثار ابن هشام؛ و لكنني وجدت ما أثبتته الدكتور عصام نور الدين دليلاً وافيًا، يعرف إنتاج ابن هشام المتنوع، فنقلت عنه أهم ما أثبتته له في الميدان اللغوي. و لأن منهج البحث لا يلزماني بذكر كل آثار ابن هشام، و التعريف بها، فقد اكتفيت بعرض أسماء المؤلفات اللغوية الأدبية، و الصرفية، و النحوية، الذي طبع منها و الذي ما يزال مخطوطاً، مما عثر عليه، و مما لم يعثر عليه و أثبتته كتب التراجم بلا خلاف بينها.

-أ- مؤلفاته اللغوية الأدبية

شرح قصيدة باتت سعاد لكعب بن زهير (1)

الكوكب الدرية في مدح سيد البرية (2)

ب- مؤلفاته الصرفية (3)

إقامة الدليل على صحة التمثيل و فساد التأويل (4)

عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب (5)

كفاية التعريف في علم التصريف (6)

نزهة الطرف في علم الصرف (7)

(1) تم طبعها بالقاهرة 1290 هـ ، مطبعة حسن مصطفى.

(2) و قد طبعت مؤخرًا طبعة واحدة جيدة، قطر ابن هشام الأنصاري حيلته و منهجه النحوي د/ عصام نور الدين 30.

(3) و هذه المؤلفات لم يُعثر عليها مستقلة و قد أثبتتها الدكتور عصام نور الدين اعتماداً على مترجمي حياة ابن هشام.

(4) نشرها السيد هاشم طه شلاش في مجلة كلية الآداب ببغداد، قطر ابن هشام الأنصاري حيلته و منهجه النحوي 31.

(5) كشف الظنون 1020/2.

(6) هدية المعارف 465/1.

(7) الأعلام للزركلي 291/4.

ج- مؤلفاته النحوية المطبوعة

الإعراب عن قواعد الإعراب (1)

الألفاظ (2)

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (3)

الجامع الصغير في علم النحو (4)

شنور الذهب في معرفة كلام العرب (5)

شرح جمل الزجاجي (6)

شرح شنور الذهب في معرفة كلام العرب (7)

شرح قطر الندى وبل الصدى (8)

شرح اللوحة البدرية في علم اللغة العربية (9)

قطر الندى وبل الصدى (10)

مقني اللبيب عن كتب الأعاريب (11)

و قد ذكر لابن هشام مسائل و رسائل أخرى لم تطبع مستقلة، و إنما طبعت في مصنفات غيره، كالاشباه و النظائر للسيوطي، و بعض المجلات كمجلة المورد للبغدادية، و مجلة للمجمع العلمي العراقي.

د- مؤلفاته النحوية و اللغوية المخطوطة (12)

تلخيص الشواهد و تلخيص الفوائد (13)

تلخيص الدلالة في تلخيص الرسالة منه نسخة في مكتبة جامع القرويين بالمغرب.

حواش على الألفية منه نسخة بدار الكتب المصرية.

رسالة صغيرة في استعمال المنادى في سبع آيات قرآنية منها نسخة مخطوطة في برلين رقم 6884.

الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية منه نسخة ببرلين رقم 752.

-
- (1) نشرت مؤخرًا في بيروت، دار الفكر (1390هـ - 1970م)، تقديم و تحقيق عبد الرحمن العبيدي.
 - (2) طبع مرارًا، آخرها طبعة مؤسسة الرسالة بيروت (1386هـ - 1967م) تحقيق و ترتيب أسعد خضير.
 - (3) طبع مرارًا آخرها في مصر عام (1386هـ - 1967م) تحقيق محي الدين عبد الحميد.
 - (4) طبع في دمشق عام (1388هـ - 1968م)، و قد نشره و حققه و علق عليه محمد شريف سعيد الزريق.
 - (5) طبع مرارًا.
 - (6) تم طبعة بدراسة و تحقيق الدكتور علي محسن عيسى مال الله بيروت، عالم الكتب للطباعة الأولى (1405هـ - 1985م).
 - (7) (8) طبع مرارًا، و الطبعة المنشورة بين أيدي القراء بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر.
 - (9) تم طبعة بالعراق عام (1397هـ - 1977م) دراسة و تحقيق الدكتور هادي نهر.
 - (10) طبع مرارًا.
 - (11) طبع مرارًا و المتداول من طبعاته، طبعة دار الفكر، بيروت، تحقيق الدكتور مازن المبارك و محمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني.
 - (12) انظر ابن هشام الأتصاري حياته و منهجه النحوي 35-37.
 - (13) تم طبعة و نشره ببيروت عام (1406هـ - 1986م) بتحقيق و تعليق الدكتور عباس مصطفى الصلحي و قد جمعه د/ عصام نور الدين في قائمة المؤلفات المخطوطة 35.

شرح القصيدة اللغزية في المسائل النحوية يوجد في مكتبه برلين.
 المباحث المرضية المتعلقة بمن الشريطة منها ثلاث نسخ بدار للكتب المصرية.
 مسألة في تعدد ما بعد إلا على ثلاثة أقسام منها نسخة في مكتبة خسرو باشا بتركيا.
 مسألة في شرح حقيقة الاستفهام والفرق بين أدواته منها نسخة مصورة في مكتبة خسرو باشا بتركيا.
 مواقف الأذهان و مواقف الوصفان منه عدة نسخ خطية بدار للكتب المصرية و بمكتبتي برلين و باريس
 و منه نسخة بمكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت.
 النكتة النحوية منها نسخة في سبع أوراق في الجامعة الأمريكية ببيروت.

هـ- مؤلفات منسوبة إلى ابن هشام

التحصيل والتفصيل لكتاب التذيل و التكميل (1)

التذكرة في النحو (2)

الجامع الكبير في النحو (3)

حواش على التسهيل (4)

رسالة في أحكام لو و حتى (5)

رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة (6)

شرح أبيات ابن النافذ (7)

شرح التسهيل (8)

شرح الشواهد الصغرى و شرح الشواهد الكبرى (9)

القواعد الصغرى (10)

القواعد الكبرى (11)

-
- (1) بغية الوعاة 69/2 و هدية العارفين 465/1 .
 - (2) الدرر الكامنة 416/2 و بغية الوعاة 69/2 و هدية العارفين 465/1 و شرح التصريح على التوضيح 5/1 .
 - (3) بغية الوعاة 69/2 و شذرات الذهب 192/6 .
 - (4) بغية الوعاة 69/2 و شذرات الذهب 192/6 و شرح التصريح 5/1 .
 - (5) شرح التصريح 5/1 .
 - (6) الدرر الكامنة 416/2 و البغية 69/2 و هدية العارفين 465/1 و شرح التصريح 5/1 .
 - (7) لم أعتد إليه في كتب التراجم و قد ذكره الدكتور عصام نور الدين في مؤلفه ابن هشام الأنصاري حياته و منهجه النحوي 38 .
 - (8) الدرر الكامنة 416/2 و بغية الوعاة 69/2 و هدية العارفين 465/1 و شرح التصريح 5/1 .
 - (9) الدرر الكامنة 416/2 و بغية الوعاة 69/2 و شرح التصريح 5/1 .
 - (10) بغية الوعاة 69/2 .
 - (11) بغية الوعاة 69/2 و هدية العارفين 465/1 .

6 أشهر ما ألفه ابن هشام كتاب: 'مغني اللبيب عن كتب الأعريب'

لابن هشام مؤلفات كثيرة في اللغة و النحو، و لكن هذه المؤلفات على الرغم من أهميتها كرسيد تراثي لا يمكن إغفاله، فإنها لم تصل مجتمعة إلى ما وصل إليه كتاب 'مغني اللبيب' من الشهرة و الذبوع. لقد غطى هذا الكتاب فراغا هائلا في الدرس النحوي و اللغوي، و أثنى عليه المترجمون، و المنتبعون لأنار ابن هشام، فقد أجمعوا على أنه أشهر في حياته، وأقبل الناس عليه⁽¹⁾، فسمعه ابن خلدون لاتساعه و غزارة ما يحتويه بالديوان الذي يضم كثيرا من معارف العربية جمع فيها ابن هشام بين البراعة في التحصيل اللغوي، و المنهج العلمي الدقيق في العرض. و قد لخص ابن خلدون أهميته فقال:

'و وصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر، منسوب إلى جمال الدين بن هشام، من علمائها، استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة و تكلم على الحروف و المفردات و الجمل، و حذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها، و سماه بالمغني في الإعراب، و أشار إلى نكت إعراب القرآن كلها و ضبطها بأبواب و فصول و قواعد انتظمت سائرها، فوفقنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة و وفور بضاعته منها...⁽²⁾

و إذا كان كتاب 'مغني اللبيب' قد نال هذه الشهرة فلأن صاحبه أراد له أن يكون مقتردا و متميزا عن غيره من كتب الآخرين، فبذل كل ما في وسعه لوضعه على أحسن إحكام. و ها هو يصرح بقيمة هذا الكتاب و ينيه إلى فائدته فيقول:

'فنونك كتابا تشد لرحال فيما دونه، و تقف عنده فحول للرجال و لا يعدونه، إذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح قريحة بمثاله، و لم ينسج ناسج على مثاله.'⁽³⁾

(1) لدرر الكلمة 415/2 و بغية الوعاة 69/2 و شذرات الذهب 192/6.

(2) المغني 1/1058، 1059.

(3) مغني اللبيب 12.

فـ معني اللبيب من أهم كتب ابن هشام ، ولعل شهره ابن هشام في النحو إنما جاءت بعد تأليفه لهذا الكتاب الذي نوى ذكره، وطار صيته وكان في شهرته كما كان كتاب سيبويه⁽¹⁾.

لقد استوقف هذا الكتاب حشداً من الدارسين والشارحين له أولهم صاحبه ابن هشام الذي شرح شواهد فوضع فيها شرحاً كبيراً وشرحاً صغيراً⁽²⁾.

و نظراً لغزارة مادة الكتاب وكثرة شواهد فقد لجأ المصنفون إلى وضع شروح كثيرة⁽³⁾ لتلك المادة و متابعة شواهد ما متبعة علمية دقيقة، و صاحب كشف الظنون أحصى في هذا الغرض مصنفات كثيرة ألفت حول كتاب معني اللبيب، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- المنصف من الكلام علي معني ابن هشام للشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشعمي المتوفى في سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة للهجرة.

- تحفة الغريب بشرح معني اللبيب للشيخ محمد أبي بكر النعماني المتوفى سنة ثمان و عشرين و ثمانمائة للهجرة.

- كافي المعني لأبي باشر شمس الدين محمد بن عماد المالكي النحوي المتوفى سنة أربع و أربعين و ثمانمائة للهجرة.

- شرح شواهد المعني لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة إحدى عشرة و تسعمائة للهجرة⁽⁴⁾.

و إلى جانب هذه المؤلفات فقد أحصى صاحب كشف الظنون شروحا كثيرة للمعني⁽⁵⁾ مما يدل على غنى هذا الكتاب و حاجة ملته -دوماً- للدراسة و البحث و الكشف عنها بمناهج و أساليب مختلفة.

(1) المدرسة النحوية: في مصر و الشام 371 .

(2) كشف الظنون 1752/2 .

(3) هنية العارفين 465/2 .

(4) كشف الظنون 1753/2 .

(5) انظر المصدر نفسه 1753/2 .

و قد طُبع هذا الكتاب عدة مرات، و طُبع معه شرحان أو حاشيتان لمحمد الأمير و الدسوقي (1) و المشهور و المتداول من طبعاته:

طبعة دار الفكر، بيروت، تحقيق الدكتور مازن المبارك و محمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني.

طبعة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي ببيروت.

و استوقف الباب الأول من كتاب مغني اللبيب - في تفسير المفردات و نكر أحكامها - كثيرا من الشراح و أصحاب الحواشي، فوضعوا فيه مصنفات منها حاشية فتح الصمد على شرح المسبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب للعلامة الشيخ علي بن مبارك الورداني ثم الإدريسي على شرح العلامة الفقيه سيدي محمد الأغطف المغربي (2).

و لم يتوقف الشارحون عن التنويه بقيمة الكتاب من حيث مانتة و منهجه إذ يقول فيه محمد الأمير:

الإنما مغني اللبيب مصنفٌ جليلٌ به فنحويٌ يحوي أمانيه
و ما هو إلا جنةٌ قد تزخرت ألم تنظر الأبواب فيه ثمانية (3)
و أتمد فيه قمهات الخفاجي:

مغني اللبيب جنةٌ أبوابها ثمانية
أما تراها و هي لا تُسمع فيها لأغية (4)
و أتمد فيه البرهان القيراطي:

جلا ابن هشام من أعاريبه لنا عروسا عليها غيره قديم لا يني
ولبدى لنا من كنزِهِ قذهب الذي تفر له الشمس المنيرة بالحسن
و أهدى لأرباب اللسان مُصنفا يُغدى بعين كلما حل في أن
و لقبته مغني اللبيب فأصبحوا و ما منهم إلا فقير إلى المغني (5)

(1) المدارس فنحوية د/ شوقي ضيف 347 .

(2) تم طبعه بمصر عام 1325 هـ .

(3) من [الطويل] و هما في حاشية الأمير عبي المغني 8/1 .

(4) من [الرجز] و هما في حاشية الأمير على المغني 9/1 .

(5) من [الطويل] و هذه الأبيات أثبتها الشيخ العلامة محمد الأمير في حاشيته على المغني 15/1 .

الفصل الأول

الحروف من حيث المصطلح و الخصائص

المبحث الأول: الحرف و الأداة

المبحث الثاني: منزلة الحرف في الاستعمال اللغوي

المبحث الأول

الحرف و الأداة

- 1- معنى الحرف لغة واصطلاحاً
- 2- الأداة في اللغة
- 3- مصطلح الأداة في الاستعمال اللغوي
- 4- الاستخدام الأول لمصطلح الأداة
- 5- رفض الأداة كمصطلح بديل للحرف

أخذ جمهور النحاة و اللغويين الأوائل بالتقسيم الثلاثي للكلمة العربية اسم و فعل و حرف. وقد أجمع على هذا التقسيم لإقرار الأصول الأولى لمباحث اللغة العربية و علومها، و على الرغم من تردد مصطلحات هذا التقسيم بقوة في توجيه النثر النحوي و اللغوي، منذ بداياته إلى ما هو عليه الآن، فهذا لم يمنع من ظهور مسميات و مصطلحات مكمل أو موضح أو بديلة لسابقتها.

و لهذا السبب طُدت عملية تحديد المصطلحات منطلقاً أولاً لضبط مادة البحث، و لذلك فإن ما يعيننا إن هذا هو اختيار المصطلح الأصح، أو الأكثر دقة من بين كلمتي حرف و أداة و قد ترددنا كثيراً في الدراسات اللغوية و النحوية بالمفهوم نفسه، و أحياناً باختلاف في مفصود كل كلمة عن الأخرى.

1- معنى الحرف لغة واصطلاحاً:

إن مصطلح الحرف قد جرى عليه العرف النحوي في التقسيم الثلاثي للكلمة و لكن هناك من القدماء و المحدثين من تجاوز هذا العرف الاصطلاحي، و فضل استعمال مصطلح أداة على مصطلح حرف، دون الكشف عن حدود كل منهما إلى درجة الخلط بينهما، أو بتغليب مصطلح على آخر، بعيداً عن الأدلة و البراهين التاريخية و العلمية المقنعة، فماذا نعني بالحرف؟ و ماذا نعني بالأداة؟ و هل هما سيلتان لفظيتان لمفصود واحد؟

إن مثل هذه التساؤلات تلزم الباحث بالعودة إلى التوثيق المعجمي و التاريخي لحقيقة المصطلح حتى يتسنى له معرفة الفواتين للضابطة له.

1- الحرف لغة

استعمال لفظة حرف عند العرب قبل الاصطلاح عليها أخذ تفريعات كثيرة كما تشير إلى ذلك المعاجم إذ تتوزع معانيه على "...الطرف و الجانب و به سمي الحرف من حروف الهجاء... و حرفاً الرأس شقاه و حرف السفينة و الجبل جانبيهما و الجمع أحرف و حروف و حرفة... و حرف كل شيء طرفه و شفيره و حده. و منه حرف الجبل و هو أعلاه المحدد... و الحروف من الإبل النحسة... شبيه بحرف السيف في مضائنها و نجائها و نقتها، و قيل هي الضامر الصلبة شبيهت بحرف الجبل في شدتها و صلابتها... (1)³

و لفظة حرف عند ابن الأثير من الأضداد "...يقال للرجل القصير حرف، و يقال للناقة العظيمة حرف، و قال بعض البصريين، يقال للناقة الصغيرة حرف، و للعظيمة حرف، و إنما قيل للعظيمة حرف لشدتها و صلابتها شبيهت بحرف الجبل و يقال: بل قيل لها ذلك لسرعتها شبيهت بحرف السيف في مضائه... (2)⁴

هذه هي المعاني اللغوية الرئيسة لكلمة حرف، و هناك دلالات لغوية مجازية أخرى تكشف عنها المادة

(1) لسان العرب لابن منظور (حرف) .

(2) الأضداد 201 .

المعجمية، و لا أرى لنا في عني عنها، لأنها بمنزلة التحريف و نوره، نحو قول الفاعل...^١ و حرف الشيء ناحيته، و فلان على حرف من أمره أي ناحية منه و كأنه ينتظر و يتوقع، فإن رأى منه من ناحية ما يحب، و إلا مال إلى غيرها... قال ابن سيده: فلان على حرف من أمره أي ناحية منه إذ رأى شيئاً لا يعجبه عند عنه، و في التنزيل العزيز م و من الناس من يعبد الله على حرف^٢ (١) أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه قيل: هو أن يعبد على السراء دون الصراء.

... قال الأزهري كأن الخير و الخصب ناحية، و الضر و الشر و المكروه ناحية أخرى، فهما حرفان و على العبد أن يعبد خالقه على حالتي السراء و الصراء و من عبد الله على السراء وحدها دون أن يعبد على الصراء يبتليه الله بها فقد عبده على حرف^٣ (2).

و إذا حاولنا أن نتبين العلاقة بين المعاني الحقيقية و المجازية لكلمة حرف فانظر إلى قول الزمخشري: "...كتب بحرف القلم و قعد على حرف السفينة، و قعدوا على حروفها، و مالى عنه محرف أي معدل، و رجل محارف محدود... و هو يحرف لعياله يكسب من مهنا و مهنا أي من كل حرف... و فلان حريفك، و فيه حرفلة و من المجاز و هو على حرف من أمره أي على طرف و ناقة حرف شبيهة بحرف السيف في هزائها أو مصانها في السير^٤ (3).

ب- الحرف اصطلاحاً

أخذت كلمة حرف معاني اصطلاحية كثيرة، فقد نعني بها حرف من حروف الهجاء، أو حرف من حروف المعاني، أو قراءة قرآنية أو لغة من اللغات، و قد وردت هذه المعاني في معجم لسان العرب على النحو التالي:

المعنى الأول: "...الحرف من حروف لهجاء معروف واحد حروف التهجي^٥ (4).

المعنى الثاني: "... و التحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم و الفعل بالفعل كـ عن و على و نحوهما... قال الأزهري: كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها حرف و إن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل حتى و هل و هل و لعل^٥ (5).

و عبارة الحرف الأداة تفيد المعنى الاصطلاحي للحرف، و بذلك يتعين أن الأداة الرابطة بين أجزاء الجملة الأساسية، مرادفة للحرف، و منه يكون الحرف دائماً أداة و لا تكون الأداة دائماً حرفاً.

(1) الحج 11 .

(2) لسان العرب (حرف).

(3) أساس البلاغة (أدب).

(4) لسان العرب (حرف).

(5) المعصن نفسه (حرف).

المعنى الثالث: "كل كلمة تقرأ على الوجه من القرآن تُسمى حرفاً نقول هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود".⁽¹⁾

المعنى الرابع: على حد قول ابن سيده: "...نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف أراد بتأخلف اللغة".⁽²⁾

بعد هذا العرض البسيط للمعاني الاصطلاحية واللغوية التي جاءت في الحرف يمكننا الوقوف على العلاقة القائمة بين مختلف المعاني و إدراك ذلك يكمن في أن الحرف من خلال الكلام يكون طرفاً أو جانباً في موقعه، و يكون في أثناء تحديده للمعاني مؤثراً فيها بشدة ظاهرة و بدقة خفية، على الرغم من تشكيلة البنيوي العنصر، و إذا استعنا به على إimalة الكلام من ناحية إلى ناحية أخرى فذلك لأنه حرف معنى يراه ابن سيده "...أكثر في الاستعمال و أقوم دوراً فيه..."⁽³⁾

فالخلفية العقلية إذن للمفهوم الاصطلاحي هي تلك الدلالات اللغوية التي أوردتها المعاجم و كلها تتلقى عند معنى علم موحد رابط بينها .

يقول ابن سنان الخفاجي: "أما تسمية أهل العربية أدوات المعاني نحو من و قد حروفاً، فإنهم زعموا أنهم سموها بذلك لأنها تأتي في أول الكلام و آخره، فصارت بتأخروف و الحدود له، و قد قال بعضهم: إنما سُميت حروفاً لانحرافها عن الأسماء و الأفعال، وهي عندنا نحن كلام، لأنها منتظمة من حرفين فصاعداً..."⁽⁴⁾

إن في قول ابن سنان الخفاجي جانباً من الصواب، وجانباً من الخطأ فإذا تأملنا عبارة: هي عندنا كلام فإننا نخرج باعتراف غير صريح بأن للحرف وظيفة بلاغية، ولكن إذا وقفنا عند تعقيبه: لأنها منتظمة من حرفين فصاعداً، فمعنى هذا أنه لا اعتبار للحروف الأحادية في أداء هذه الوظيفة، و هذا غير صحيح، و كان بهذا الأخير يرى أن مصطلح الأداء خاص بحرف للمعنى الذي زاد على حرفين.

و ها هو الزجاجي يُعرّف حرف للمعنى تعريفاً تتضح فيه العلاقة العقلية بين المعنى اللغوي و المعنى الاصطلاحي فيقول: "...و سُمي القسم الثالث حرفاً لأنه حد ما بين هذين القسمين، و ربطاً لهما، و تحرف حد الشيء فكأنه لوصله بين هذين، كالحروف التي ما هو متصل بها".⁽⁵⁾ و من خلال هذا العرض لقول الزجاجي نقف على شيء آخر و هو سبقه لابن هشام في محاولة وضع تحليل دقيق لثلاثية الكلام العربي.⁽⁶⁾

(1) نسان العرب (حرف) .

(2) فمصدر نفسه (حرف) .

(3) فمخصص (سفر) 14 / 44 .

(4) سر الفصاحة 14 .

(5) الإيضاح في علل النحر 44 .

(6) سبأني الحديث عما جاء به ابن هشام في هذا الفصل 43 .

جاء في المعجم^١... لكل ذي حرفة أداة، و هي الشئ التي تقيم حرفته... و الأداة الآلة و الجمع الأدوات و أداة على كذا يؤتبه ليداء، قواه عليه و أعانه و من يؤدني على فلان أي من يعينني عليه...^٢ (1)

و في قول ابن فارس يصبح هذا المعنى أكثر، حين يثبت مادته الثلاثية على هذا النحو^٣... و هذا شيء مشتق من الأداة لأنها تعمل إعمالاً حتى يوصل بها إلى ما يراد... و يقال رجل مؤد عامل و أداة الحرب السلاح...^٤ (2)

إننا لا نرى في هذه المعاني إقراراً على أن الأداة اصطلاح يأخذ معنى الحرف من حروف المعاني أو اسم من الأسماء الشبيهة بالحرف، أو غير ذلك من المفردات، و إنما يتضح ذلك من خلال هذا العرض البسيط لمعاني الكلمة أن الأداة تحمل معنى الإعلان و القوة، إذ يفهم منها أنها وسيلة معينة و مقوية للكلام على تلبية المعاني المطلوبة و قد أثبت لها هذا المنول و الوظيفة بعض المعاجم المتخصصة التي رأت فيها:

"أنها الكلمة التي يتوصل بها قائلها إلى إفادة معان مختلفة يقتضيها التعبير كأدوات الاستفهام و الاستثناء...^٥ (3)

أو هي "مجموعة معينة من الكلمات التي تمتاز بكثرة ورودها و أهميتها الخاصة في التراكيب العربية...^٦ (4)

لما الأداة في مبحثنا هذا فهي تسمية لغوية تستفاد منها تنوع المعاني و تلوينها في الكلام بما يساعد المتكلم على توصيل مراده. و بالمقابل عند النحويين نجد مصطلح الحرف يختلف في مقصوده عن المفردات الأخرى الشبيهة به، في بعض خصائصها الجزئية، فالحرف أكثر دقة و دلالة و أصالة، لأن المباحث نحوية هي الأرضية الخصبة التي قامت عليها المباحث اللغوية^٧، فللأداة وظيفة نحوية لغوية، و للحرف وظيفة نحوية لغوية فإذا قصدنا حديثاً أحد الحروف نحو الكاف أو لم، نجد أنفسنا مدفوعين إلى القول: إن الكاف حرف جر و أداة تشبيه، و لم حرف جزم و أداة نفي. و عندما نقابلنا أسماء شرطية جازمة لفعالين فإن نختار كثيراً في تغليب معناها الدلالي على عملها النحوي، و لأنها ليست حروفاً فإننا حينئذ نقول أدوات الشرط الجازمة نحو من، متى، إيان... لأن الجزم فيها غير أصلي يزول بزوال وظيفتها الدلالية أي أسلوب الشرط، و كثيراً ما نستكثر قول القائل أدوات الجر، و نقبل قوله أدوات الإضافة، ففي العبارة الثانية تجاوز لغوي مشروع لا يؤثر في الأصول التقعيدية للنحو العربي.

فالوظيفة النحوية لهذا القسم الثالث من الكلمة العربية تجعلنا نثبت بمصطلح حرف معنا لأي ليس أو فوضى في أصول النحو العربي، إذ يخطئ بعض الدارسين حين يستعمل في دراسة النحو كلمة أداة فيقول أداة استفهام، أو أداة شرط، و ذلك كله خطأ لأن الكلمة العربية -كما حددها النحاة- ليست فيها أداة، و إنما هي

(1) لسان العرب (أد). .

(2) مقاييس اللغة (أد). .

(3) معجم المصطلحات النحوية و الصرفية د/ محمد سمير نجيب اللبدي 10.

(4) المعجم الوسيط لأبراهيم مصطفى و آخرون 15/1.

151 واقتصادها مباحث البلاغة والتفسير علوم اللغة .

اسم أو فعل أو حرف ليس غير و لو أنك أعربت الأمثلة الأخيرة، و قلت عن هل، متى، من، إنها أداة استعمال لما أعادك ذلك على معرفه موقعها الإعرابي، و لا على ارتباطها بما يتلوها من كلمات⁽¹⁾.

3. مصطلح الأداة في الاستعمال اللغوي:

إنّ تحديد المصطلح و وضعه في موضعه اللانق به، من المطالب التي يجب أن يتقيد بها الدرس اللغوي و النحوي، لأنه في ضوء تحديد المصطلحات و انتقائها، و المحافظة على أصولها العلمية المتفق عليها عن طريق المتابعة و الاستقراء، يمكننا أن نضع ضوابط تقى هذا الدرس اللغوي من القوضى و الاضطراب، و نمنع عن هذا الدرس اشحوي التمثل و التعقيد.

يقول الدكتور محمد علي سلطاني: الأدوات تسمية حديثة لما كان القدماء يطلقون عليه اسم الحروف ثم حروف المعاني فيما بعد...⁽²⁾

و يعني بقوله حديثة أن كثيراً من الدراسات اللغوية الحديثة تبنت التعامل بهذه التسمية و طرحت جانباً تسمية الحروف التي لاصطلح عليها النحاة الأوائل بعد طول استقراء و تمحيص⁽³⁾، لكن هذا لا يعني أن الأداة مصطلح حديث للنشأة و هذا هو السبب الذي أدى للدكتور محمد علي سلطاني إلى القول مرة أخرى بأن الأداة مصطلح يوناني راداً ذلك إلى ما ورد في كتابي الصلابة و فن الشعر لأرسطو، فإنه مما جاء فيه في شرح الفراهي للكتاب الأول أن الكلام ينقسم إلى الحروف الهجائي، المقطع، الرباط، الأداة، الاسم، الفعل، التصريف، القول⁽⁴⁾.

و يؤكد إبراهيم أنيس تأثر العرب بالتقسيم الاصطلاحي للكلمة العربية عند فلاسفة اليونان فيقول: "فتح اللغويون للقدماء بذلك التقسيم الثلاثي من اسم، و فعل، و حرف متبعين في ذلك ما جرى عليه فلاسفة اليونان، و أهل المنطق من جعل أجزاء الكلام ثلاثة سموها الاسم و الفعل و الأداة"⁽⁵⁾.

و إذا وافقنا أصحاب هذا الرأي، فإنه يحق لنا أن نسأل من الذي أخذ بهذا المصطلح اليوناني، و استعماله في المباحث اللغوية و المسائل النحوية عند العرب؟

إنّ التاريخ اللغوي و النحوي لا يذكر شيئاً يغنيننا عن البحث في هذا الأمر و كل ما أثير عن أصحاب الدرس النحوي و اللغوي ما يؤكد الدكتور مهدي المخزومي من أنّ الكوفيين سموها الحرف أداة لمبنيين: الأول: المغايرة بين لفظ على أحد حروف الهجاء، و لفظ يطلق على أحد حروف المعاني.

(1) التطبيق اللغوي د/ عبده فرجعي 13.

(2) أصول في النحو العربي هامش 109.

(3) نظر فتطبيق النحوي 13.

(4) أصول في النحو العربي هامش 110.

(5) من أسرار اللغة 279.

و الثاني: إنَّ الأدوات، عندهم هي حروف المعاني كهل، و بل و هن أدوات يستعان بهن على التعبير على الاستفهام و الاضرب و غيرهما⁽¹⁾.

و يضيف متحمساً لأصحاب هذا المصطلح قهيم إنَّ لنق من البصريين في مصطلحهم هذا، لأنَّ الحرف يطلق عند البصريين و الكوفيين جميعاً، و يراد منه أحد حروف الهجاء، أو أحد حروف المعاني، بل قد يطلق على الكلمة أيضاً كما جاء في كلام سيبويه في مواضع كثيرة من الكتاب، و كما جاء في كلام الفراء و غيره في مواضع كثيرة⁽²⁾.

إنَّ الدكتور مهدي المخزومي لم يقدم تعليلاً معقولاً لرايه لتوافقه عليه، و على الرغم من ذلك تجدنا لا نخالفه في كون الحرف كمصطلح، قد اتخذ دلالات مختلفة، و لكن هذا لا يعني أنه منعا لأي ليس أو إشكال نختار بديلاً آخر للكلمة، تحريفاً للدقة في المصطلحات، باعتبار أن الحرف هو حرف الهجاء، و هو حرف معني، و هو الكلمة أو القراءة، أو اللغة في الحروف على ثلاثة لضرب: حروف المعجم التي هي أصل مدار الألفاظ عريبها و عجميها و حروف الأسماء و الأفعال، و الحروف التي هي أبعاضها نحو العين من جعفر و الضاد من ضرب و ما أشبه ذلك، و نحو النون من أن و اللام من لم و ما أشبه ذلك، و حروف المعاني التي تجيء مع الأسماء و الأفعال لمعان⁽³⁾.

لقد كان كل ضرب يبيِّن في موضعه لا ليس فيه، و لا إشكال، و لو كانت الضرورة تستدعي منع هذه العمومية في الاستعمال لكان الأوائل أسبق إلى ذلك، لأنَّ الدقة كانت غايتهم في نشاطهم اللغوي و النحوي، و كم من كلمة في العربية استعملت بوجوه عديدة، و في مواضع مختلفة⁽⁴⁾، مما جعل بعضهم يخصص لها مصنفات و مباحث مستقلة و مع ذلك لم يُعدَّ النظر في التسميات و المصطلحات التي قُعدَّ عليها للدرس النحوي الأول، و لكن ما لم يتقن إليه الدكتور مهدي المخزومي أن اللغة العربية تتميز بخضوعها لظاهرة الاتساع طبقاً لمقتضى الحال. فالحرف اصطلاحاً قد نعني به حرف الهجاء و نعني به حرف المعنى في الجملة، و ما بقي من ذلك فهو على سبيل المجاز.

و إذا لم نختلف مع الدكتور مهدي المخزومي في قوله الأول فإننا لن نترأجع عن مخالفته، و تصحيح رايه لما أعقبه بعد ذلك، مجوزاً الاستغناء عن التخصيص الذي جاء به سيبويه حينما أعقب ذكره للحرف على خلاف الاسم والفعل بقوله إنَّ الحرف هو ما "...جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل⁽⁵⁾.

(1) منرسة الكوفة 242.

(2) المرجع نفسه 242.

(3) الإيضاح في علل النحو 54.

(4) و نعني بذلك ظاهرة لمشارك اللفظي في العربية في تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: عين الإنسان و عين الماء، و عين السحاب، انظر المزهري في علوم اللغة 217/1.

(5) الكتاب 12/1.

و مما لا شك فيه أن الدكتور مهدي المخزومي كان يرجع العبارة التالية:

الكلمة، اسم، و فعل، و أداة، فأبذل اختصاصه بالتعميم و ما نردّ به عليه هو القول بأن النقة ليست وليدة التعميم بقدر ما هي وليدة التخصيص الذي عيب على سيبويه، و ما استعمال سيبويه لمصطلح حرف إلا لأن الضرورة العلمية في تعيد النحو العربي ألحت وأملت عليه ذلك، ولو لم يكن الأمر كذلك لما راح سيبويه يمثل بالحروف المنققة على حرفيتها في حديثه عن القسم الثالث من الكلمة العربية نحو: ثمّ، وسوف، و واو القسم... (1)

و مهما حاول المحققون إيجاد بديل للتقسيم الذي جاء به سيبويه، فلن يهتدوا إلى تقسيم دقيق للكلمة كتقسيمه، و الذي يعترف لهؤلاء بالتوفيق في إيجاد تقسيم جديد فقد انحرف عن جادة الصواب و اعتقد خطأ حينما يقول: "و قد وفق للمحدثون إلى تقسيم رباعي أحسب أنه أنق من تقسيم النحاة الأقدمين .. الاسم، التصدير، الفعل، الأداة." (2)

و أغلب المحققين تداول مصطلح الأداة، و رفض مصطلح الحرف، فطرحه جانباً و من هؤلاء الدكتور فاضل مصطفى الساقى إذ يقول: "سمى الكوفيون الحروف أنوات، و هذه التسمية أقرب إلى النقة، تميل إلى الأخذ بها لتشمل حروف المعاني، و بقية الأنوات التي تؤدي وظيفة التعليق." (3)

لقد أخذ الدكتور مصطفى الساقى بمصطلح الأداة، و رفض مصطلح الحرف، و هذا يعني تغيير المصطلح الثالث من تقسيم الكلمة للعربية، و إحلال قسم آخر محله، و نحن إذا تتبعنا قوله فإننا ندرك أن الأداة عنده قد تكون حرفاً ك حروف الجر، أو تكون أسماء ك أسماء الشرط.

و لذلك نريد أن نسأل الدكتور مصطفى الساقى و كل من سار على رايه أو سبقه إليه، هل النقة و التيسير في الإقلال من المصطلحات و انتقاء المصطلح الذي ينل بالتحديد على جنس الكلمة، أم في الإكثار من المصطلحات و شمولها لأجناس مختلفة كقوله عن مصطلح الأداة "تميل إلى الأخذ بها لتشمل حروف المعاني و بقية الأنوات التي تؤدي وظيفة التعليق." (4)

و لو ذهبنا مذهب صاحب هذا الرأي فستضطرب بين أيدينا الأمور، و لن نجد مكاناً نضع فيه الخصائص النحوية للحرف، و التي قامت عليها قواعد معينة لا يمكن إخضاع الأداة الاسم لها، و ما جاء به مصطفى الساقى نلتمس فيه اعترافاً بأن الحرف غير الأداة، و قد بنى هذا الأخير رايه على فكرة الدكتور تمام حسن

(1) الكتاب 1/ 12.

(2) من أسرار اللغة 282، 294 .

(3) لسان الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة 92 .

(4) المرجع نفسه 92.

و تقسيمه الذي رد به على تقسيم النحاة الأول إذ يقول: "و أول ما نبدأ به أننا نجد التقسيم الذي جاء به النحاة بحاجة إلى إعادة النظر و محاولة التعديل بإنشاء تقسيم آخر جديد مبني على استخدام أكثر دقة لأعباري المبني و المعنى اللذين ذكرناهما، و فصلنا القول في كل منهما".⁽¹⁾

و على هذا الأساس لجأ الدكتور تمام حسان إلى إيجاد التقسيم التالي للكلمة العربية الاسم، الفعل، الصفة، الضمير، الخوالب، الطرف، الأدوات.⁽²⁾

و هذه التفريعات أبعد عن دقة تفرع سيبويه الثلاثي للكلمة العربية، لأن ما جاء به سيبويه كان تقسيمًا اصطلاحيًا دقيقًا وضع لخدمة أصول النرس النحوي و اللغوي، أما ما جاء به المحدثون فكان عبارة عن تقسيم جُمع فيه بين المصطلح و وجوه ذلك المصطلح المختلفة من غير تمييز دقيق بينها.

و هناك من يرى أن مصطلح الأداة يستعمل لما زاد على حرف واحد، و كان في حاجة لاسم أو فعل، و في هذا يقول المرزني⁽³⁾: "و أما ألف الأدوات فهي التي بأحرف سواها، فتصير هي و الزائدة أداة نحو ألف إن و لن و إيان و إذا و إذ و ما أشبه ذلك".⁽⁴⁾

لقد أجمع هذا الأخير ما هو غير حرف ضمن الأداة/بخاصة و المصنف الذي أورد هذا القول اختص بدراسة الحروف المعجمية المفردة، و ما يدخل منها في تكوين الأدوات.

و هذا الرأي يتفق و ما جاء به ابن سنان الخفاجي عند تعريفه للحرف⁽⁵⁾، كما به وفق ابن خلدون⁽⁶⁾ في كتابه الصحابي إذ يقول في ألف الوصل: "و ألف الوصل تنحل على الأسماء و الأفعال و الأدوات".⁽⁶⁾ و يشرح ذلك: "...أما التي تقع في الأدوات فقليلة على اختلاف فيها، و إنما هي في قولهم أيم الله. و الإلف في اللام في قولنا: الرجل".⁽⁷⁾

لقد ارتبطت كلمة أداة في نظر هؤلاء بتركيبها الذي يزيد على الحرف الواحد وبحاجتها لاسم أو فعل وهاهو الرماني يعترف في موافقه الخاص بالحروف بهذه التسمية للنبوية "و ألف الأداة نحو ألف إن و أو و أم و ما أشبه ذلك".⁽⁸⁾

4 - الاستخدام الأول لمصطلح الأداة:

كثير ممن تحرى دراسة أولية استعمال هذا المصطلح ذهب إلى القول بأن الفراء هو واضع هذا المصطلح

(1) اللغة العربية معناها و مبناها 88 .

(2) المرجع نفسه 88، 89 .

(3) هو أبو الحسن المرزني مؤلف كتاب الحروف-نظر فغمة الحروف في ثلاث العربية و سبكي ذكرها في الفصل الثاني 54-59 .

(4) الحروف للمرزني 48 .

(5) سر الصناعة 14 .

(6) 101 .

(7) 104 .

(8) معاني الحروف 144 .

في الدرس النحوي و اللغوي، و من هؤلاء الدكتور مهدي المخزومي اتفانل بأن الفراء هو الذي أعاد النظر في المصطلحات التي سبق للبصريين أن استخدموها فتوصل إلى مصطلحات أخرى بآرائها رآها أوضح دلالة على المفصود و أقرب إلى طبيعة الدرس كالنسق بإزاء العطف بالحرف... و كالأداة بإزاء الحرف⁽¹⁾ و يؤكد رأي الدكتور مهدي المخزومي قول من ذهب إلى أن الأداة هي: "مصطلح جعله الفراء في مقابل ما يسميه البصريون بحروف المعاني..."⁽²⁾

و قد تردد مصطلح أداة في كتاب معاني القرآن كثيرا و في موضع من المواضع يصرح الفراء بلفظة أداة مقابل ما عرف أنه حرف فيقول: "... إن العرب تجمع بين الشينين من الأسماء و الأدوات إذا اختلف لفظهما فمن الأسماء:

من التفر اللاني الذين إذا هم يهاب للنام خلقة لهاب قعقعا⁽³⁾

فجمع بين اللاني، و الذين و أحدهما مجزئ من الآخر.

و أما في الأدوات فقوله:

ما إن رأيت ولا سمعت به كالوم طلي لينق جرب⁽⁴⁾

و المتأمل لهذا القول يرى أن الأسماء عنده تختلف عن الأدوات حتى و لو كانت تشبهها في التركيب [لاني، و الذين] و في حاجتها لما يكمل معناها. و قد قصد بمصطلح أدوات الحروف حينما مثل لها بالحرفين ما و إن و بالتالي فقد تم استعماله لكلمة أداة محددا بها الجنس الثالث من أقسام الكلمة العربية. فتجاوز بذلك الخلط بين الأدوات الحروف و المفردات الأخرى التي تشبهها من أسماء كالظروف، و الأسماء التوصولة و أسماء الإشارة، مما وقع فيه المتأخرون، فاقصر إطلاق مصطلح الأداة على ما يطلق عليه مصطلح حرف المعنى.

فالأدوات إذن "مصطلح أطلقه الفراء على ما يقابل حروف المعاني عند البصريين، و ما كان من هذه الحروف للمعاني سماه أداة، و ما جاء لمعنى آخر أطلق عليه تسمية أخرى..."⁽⁵⁾ و يرى الدكتور مهدي المخزومي أن مصطلح أدوات الذي استعمله الكوفيون بديلا لحروف المعاني أقرب إلى ما يتطلبه المصطلح من دقة في الدلالة و اختصار في اللفظ⁽⁶⁾.

(1) الدرس النحوي في بعده 37.

(2) المصطلح النحوي نشأه و تنوره حتى أواخر القرن ثلث الهجري/ عومر حمد الفوزي 174.

(3) من [الطويل] قائله مجهول و هو في الحرة 529/3.

(4) من [الكامل] إدريد بن الصمة انظر شرح شواهد المعنى للسيوطي 955/2.

(5) معاني القرآن 85، 84/3.

(6) دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء/المحقق أحمد ديرة 274.

(7) مدرسة الكوفة 311/310.

لقد ذكرت انفا أن هناك من يرى أن الأداة في الأصل وردت في التقديم اليوناني للكلمة، كالـدكتور محمد علي سلطان، وقد أيدته في ذلك آخرون وهذا هو محقق كتاب الحروف للفارابي يقول: "الحروف قسمة كبرى من أقسام القول والألفاظ الثلاثة، وهي التي يسميها نحويو اليونان الأدوات ونحويو العرب حروف المعاني أو الحروف التي وضعت دلالة على معان." (1)

و بالنظر إلى هذه المعطيات نتساءل أيعقل أن يكون القراء، قد أخذ هذا المصطلح من اليونانيين؟ ربما كانت الإجابة بالإثبات، لأن هناك من يقول عنه أنه كان "ينفلسف في تأليفاته وتصنيفاته حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة." (2)

و لعل السبب في ابتاعه منحي فلسفيا في مؤلفاته كون "عقله أدق وأخصب من عقل الكندي إذ كان متغفقا ثقافة كلامية فلسفية مع التقوى إلى وضع مصطلحات جديدة والخلاف مع الخليل وسيبويه." (3) و إذا كان مصطلح الأداة يعني القراء قد أقي قبولاً و رواجاً عند أصحاب مدرسة الكوفة فنلك لأن "نحو الكوفيين في جملته هو نحو القراء..." (4)

إلى هذا الحد لا نجزم بأن القراء أخذ هذا المصطلح من اليونانيين، فليس لدينا الدليل التاريخي الذي يثبت ذلك و إذا أجزنا مثل هذا الرأي فنلك لأن التبادل الفكري الثقافي بين المجتمعات خاضع لصيرورة اتساريج، و لا يمكن إغفاله، و لو من باب التجوزه و لذلك يمكننا أن نضيف بعض الملاحظات التي مستقوننا إلى معرفة توافع اختيار هذا المصطلح [الأداة] و تفضيله على المصطلح الآخر [الحرف] و هذا ما لم يحصل مع القسم الأول و الثاني من الكلمة العربية.

و المتأمل للدرس النحوي في الكوفة يلاحظ أن الأرضية التي بُني عليها لغوية. فأصحاب مدرسة الكوفة كانت صلتهم وطيدة بالجانب اللغوي الدلالي للقرآن الكريم و قراءاته، و بالحديث النبوي الشريف، فكرسوا جهدهم لفهم معاني هذه المباحث فهما شرعياً عميقاً، فسيطرت هذه العلوم المختلفة على مناهجهم في انتقاء المصطلحات. (5)

فالقراء كان يسعى جاهداً إلى تبديل و تغيير المصطلحات البصرية بمصطلحات جديدة تسمح فيها روح الكوفة، وتصبح ذات مدلول له سمة خاصة به... (6)

و قد كانت المصطلحات عند الكوفيين تغلب عليها الطبيعة اللغوية مخالفين في ذلك ما جرى عليه الوضع

(1) الحروف للفارابي 28.

(2) الفهرست 303

(3) المدارس النحوية 196.

(4) مدرسة الكوفة 135.

(5) دراسة في النحو النحوي من حذل معاني القرآن للقرآن 209.

(6) المرجع نفسه 212.

بالنسبة للمصطلحات عند البصريين، فاختار الكوفيون مصطلح الأداة معاني مصطلح الحروف بخاصة و أن المعنى الاصطلاحي للحرف كان متعدياً إذ يقع على أمثل المعطوع من حروف المعجم، و على الكلمة الواحدة و يقع الحرف على الكلمة بأسرها، و الخطبة كلها، و القصيدة بكاملها. (1) (2)

و عند الفراء يأتي الحرف للدلالة على القراءة القرآنية نحو قوله: "و في حرف عبد الله و في حرف أبي (2)" و يأتي الحرف أيضاً للدلالة على حرف الهجاء نحو "... أرأيت ما يأتي بعد حروف الهجاء مرفوعاً مثل قوله: «الْمِصَّ كَتَبْتُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ» (3)... (4) و يأتي للدلالة على الكلمة اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً نحو "إن التين ضموا على معنى الألف شبهوا دخول الباء و خروجها من هذين الحرفين (5)" و يعني بالحرفين الاسمين، و تتمثل هذه الدلالة الأخيرة لمصطلح حرف في نحو قوله: "إذا رأيت حروف الاستفهام قد وصلت بـ ما مثل قوله ليثما... كانت جزءاً (6)"، و في قوله "أن تجعل إتما حرفاً واحداً... (7)"، و مثل هذا التعند في توظيف كلمة حرف كثير في الكتاب فالحرف قد يعني به القراءة، و قد يعني به الحرف من حروف الهجاء، أو الكلمة بغض النظر عن جنسها، أما لفظة أداة فكانت مصطلحاً وظيفياً وبنياً حسناً في نظر الفراء و أصحابه، حتى يميزوا بينه و بين الاسم و الفعل عند الضرورة، و يتخلصوا من مشكلة الخلط اللغوي. فالأداة بالنسبة لهم تعبير عن كلمة يستعان بها لتحقيق معنى في موقع اسمي، أو فعلي، هما موضوع تلك الأداة.

و مصطلح الأداة ترد استعماله عند المتقدمين من النحاة ككلمة يُعبر بها عن الألة التي تستخدم في العمل سواء أكانت حرفاً أم غيره إذ يقول المبرد: "أعلم أن الأفعال أوتت للأسماء، تعمل فيها كما تعمل الحروف للناسبة و للجارة. (8)"

أما المتأخرون من النحاة فالأداة عندهم قد تكون منصبة للحروف و الأسماء و الأفعال، و يتمثل هذا الاستعمال بوضوح في قول السيوطي: "و أعني بالأدوات، الحروف و ما شاكلها من الأسماء و الأفعال و الظروف. (9)"

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 35 .

(2) معاني القرآن 30/2 .

(3) الأعراف 1، 2 .

(4) معاني القرآن 368/1 .

(5) المصدر نفسه 19/1 .

(6) المصدر نفسه 85/1 .

(7) المصدر نفسه 100/1 .

(8) المقضب 80/4 .

(9) الإتقان في علوم القرآن 145/1 .

و قد يعتمد من الأداة، الدلالة على الحروف، و الأسماء الشبيهة بها في الانفعال إلى ما يكملها، كقول ابن مالك:

و اجزم بأنَّ وَمَنْ و مَا و مَهْمَا اني، متى، إيان، أين، إنمّا
و حَبْنَمَا، أُنَى، و حروف إنمّا كأنَّ و باقي الأدوات أسماء (1)

و عند الإسموني -أيضا- الأدوات هي حروف و أسماء و ذلك بين من خلال حديثه عن أدوات الشرط التي تتوزع على حروف و على أسماء ظرفية و غير ظرفية معينة. (2)

و حتى نقف على حقيقة استعمال مصطلح الأداة و منلوله عند النحاة و اللغويين، نرجع إلى ما أثبتته المعاجم اللغوية، فنستقرئ التعريف الذي أُعطي للحرف كاصطلاح نحوي، فنرى أن كلمة أداة من مفردات هذا المعنى الاصطلاحي، و ليست هي الحرف ذاته، كمن يقول الفعل حدث مقترن بزمن معين، و المصدر غير مقترن بزمن معين، فالفعل ابن شيء و المصدر شيء آخر. كذلك للحرف، فهو الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم و الفعل بالفعل كـ عن و على و نحوهما (3) أما ما أشبه الحرف كأسماء الشرط و أسماء الاستفهام فهي أدوات أيضا، و لكنها غير محففة وظيفته الرابطة. و لذلك فكل حرف أداة و ليس معنى ذلك أن كل أداة حرف، و لعل هذا هو السبب الذي حوّل لعلماء النحو و اللغة فيما بعد، تصنيف طائفة الأدوات بأسماء تشبه في تركيبها البنيوي و في انفعالها المعوي الحرف، و هو الأمر نفسه الذي جعل بعضهم يستغني فيما بعد عن مصطلح الحرف، و يجعله أداة فيستغني عنه، غير مشرك أن المصطلح يقوم أساسا على تحديد جنس الشيء تحديدا علميا دقيقا قائما على الإجماع و الاتفاق، لا على التأنيل أو المخالفة و الاتساع الاصطلاحي. و قد تتبع بعضهم استعمال لفظة أداة عند النحويين و اللغويين فلاحظ على النحويين غالبا استعمال لفظ الأداة في الموضوعات ذات العوامل المتنوعة، كالتي تتكون من أسماء و أفعال و حروف، كعوامل الاستثناء، أو من حروف و أسماء فقط، كعوامل الاستفهام و الجزم. إذ يقال لهذه العوامل جميعها: أدوات الاستثناء و أدوات الجزم و أدوات الاستفهام، و أدوات الجزم في حين يقل استعمال لفظ الأدوات في عوامل الجزم، و العوامل الناصبة للأفعال المضارعة لكونها حروفا ليس غير، و على هذا فإن كل حرف أداة و ليس كل أداة حرف. (4)

(1) الألفية 46 .

(2) حاشية الصبل على شرح الإسموني 8/4 .

(3) لسان العرب (حرف) .

(4) معجم المصطلحات النحوية و الصرفية 10 .

نحن لا نشك في أن الوظيفة النحوية الأولى هي الأرضية التي قامت عليها علوم اللغة المختلفة فيما بعد، أما إذا رحنا نبحث في الجملة من حيث الأسلوب، و رصد المعاني المختلفة لها، فقد نسمح لأنفسنا ببعض التجاوزات الاصطلاحية على نحو قولنا أداة سواء أكانت اسماً أم حرفاً كالأول والشرط، و لنوات الاستفهام، و يحتمل أن يكون هذا هو السبب الذي أدى إلى القول إن مصطلح الأداة كان تسمية يونانية بخاصة و أن الدرس اللغوي عند اليونانيين قد شهد إقبالا كبيرا من العرب الأوائل عند من قال بهذا التأثير من الدارسين والمؤرخين. (1)

و إذا سلمنا نحن بهذا المصطلح الأداة في الدرس اللغوي و البلاغي و عمناء على الدرس النحوي فإننا بذلك نقضي على خصائص الحرف الأداة و هي غير خصائص الاسم الأداة، و هذا سيؤدي إلى اهتزاز القاعدة الثلاثية في تقسيم الكلمة العربية مما يؤدي إلى حدوث فوضى في الدرس النحوي فتعكس آثارها على بقية العلوم التي لها صلة باللغة العربية.

و لقد تصدى لهذا الأمر الدكتور هادي نهر مدافعا عن أصول تقعيد اللغة العربية فقال: "لقد أدى سوء فهم بعض المحققين لمفهوم الحرف عند القدماء بأعْيابه أحد أجزاء الكلام إلى تقسيم النموذج جديد لتقسيم الكلام العربي فدعا الدكتور تمام حسان إلى تقسيمه إلى مبعغة هي الاسم، الوصف، الفعل، للضمير، الخالعة، الظروف و الأداة. (2)"

إن مثل هذا الرأي الذي يدعو إلى إعادة النظر في التقسيم القديم للكلمة العربية ليس مبنيا على أصول ثابتة علمية، فلا يعقل من خلال بعض الألفاظ و الكلمات التي نخشى أن صنفناها حسب ما نفهمه نحن من تلك التقسيم أن يجانبنا الصواب، و لكن إذا نظرنا و اعتمدنا التحليل العقلي و الاستقراء الدقيق للمصطلحات نرى بأن اللغويين العرب القدماء قد استطاعوا القيام بدراسة تحليلية وصفية للغتنا و تلك من أعقد و أشق المهام التي تسعى إلى تحقيقها في العصر الحديث أكاديميات العلوم اللغوية. (3)

فالقاعدة الثلاثية إن الكلمة العربية تتألف من تحليل و تمحيص دقيق فإما به النحويون الأوائل بنليل و توثيق علمي و ترتيب و تصنيف أصيل خص به كل قسم من أقسام الكلمة العربية "غير متطابقين من معناها كما يظن بعض الدارسين بل و بالاستناد إلى خصائص مميزة لكل نوع... (4)"

فمفردات مثل أين، كيف، من... هي أسماء، و ليس معنى ذلك أنها "أداة" ضمن تقسيم الثالوث لأنه لم يمثل في تعريف سيبويه للاسم كرجل و فرس و حائط. (5)

(1) انظر النهر العربي و منطلق أرسطر للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح 67-72 .

(2) مجلة أدب المستنصرية، الحروف و الأصوات العربية في مباحث القدماء و المحدثين د/هادي نهر ع 212/8 .

(3) المرجع نفسه ع 212/8 .

(4) المرجع نفسه ع 212/8 .

(5) الكتاب 12/1 .

و إذا لم يُمثل للمعزلات الأخرى نحو الظروف، و أسماء الأفعال، و الضمائر، في أمثلة التقسيم الثلاثي للكلمة فليس معنى ذلك أنها بمعزل عن هذه الثلاثية، بل هي ملحقات لكل من القسم الأول و الثاني، أما الحرف فإنه متفق عليه بالحصر . و لا خلاف في جنسه .

و بالاعتماد على هذه الرؤية العاصرة عد تعريف سيبويه ناقصا لاكتفائه بأمثلة معينة في حدود تمثيلية لكل قسم، و لكن مثل هذا الرأي لا يستند إلى دليل علمي مقنع، لأنه لم يعر للقيمة الإعرابية النحوية في تقسيم سيبويه أي عناية، و هي التي أقام على أساسها تحديده لأقسام الكلام في العربية، لتتعين بعد ذلك للمواقع الإعرابية لكل لفظة احتوتها اللغة العربية. و مما يدعو إلى الاستغراب أن بعض المحدثين لم يتورع عن الطعن في تقسيم للكلمة العربية إلى اسم، و فعل و حرف، لمجرد الطعن غير المرتكز على أسس موضوعية، فينسف بذلك ما ضمه التراث الأعوي عند العرب، و من هؤلاء الذين لم يقتنعوا بالتقسيم الثلاثي الدكتور إبراهيم أنيس القائل: "و لست أرى بل لعلي أدري... لم فرق النحاة بين على و فوق و بين في و داخل و بين إلى و نحو فجعلوا الأولى حروفا و الأخرى أسماء و على أي أساس كانت هذه التفرقة؟" (1)

و يبدو أن صاحب هذا القول قد نظر إلى تقسيم العرب للكلمة بمعزل عن الجملة و مواقع الكلام الواردة فيه، و قلّغم أساسا على الإعراب و تحديد كل لفظة ضمن سياقها و نسفها التركيبية، و لو لم يكن هذا هو الغرض المقصود، لما كان هناك تقسيم نهائيا، فرأي الدكتور إبراهيم أنيس تنظيري و "مهمل" للمقاصد اللغوية و البلاغية عند العرب كالإيجاز...

فإذا كان هناك من يتجرأ على عرض مثل هذا الرأي أو التساؤل فكيف لا يتجرأ بعضهم على تغيير المصطلحات و استبدال التقسيم الثلاثي بتقسيمات أخرى لا تكاد نمسك بها حتى يفلت من بين أيدينا كل ما استوعب من رصيد أعوي.

و من خلال هذه المعطيات، نقول: إن لفظة أداة لا يمكن أن تكون بديلة لمصطلح حرف. و ها هو الفارابي يعمم مصطلح الحرف على الأسماء، و الحروف، و الضمائر، و ما أشبه ذلك، و بعدها يستترك و يصحح خطأه فيقول "و ليس يخفى علينا أن قولنا ليس يرتبه كثير من أصحاب النحو في الكلام لا في الحروف، و كذلك كثير مما سنده في الحروف يرتبه كثير من النحويين لا في الحروف ولكن إما في الاسم و إما في للكلم... (2)"

إن صاحب هذا القول لم يأخذ بمصطلح الأداة و لم يستعمله، فكأنما به يرفضه مفضلا عليه مصطلح حرف، و هذا يقودنا إلى التشكيك في رأي من يذهب إلى أن الأداة تسمية للقسم الثالث من الكلمة العربية، أخذه النحويون و اللغويون العرب عن اليونانيين، و نحن إذا تصفحنا كتابي الفارابي الحروف و الألفاظ فلن نعثر

(1) من أسرار اللغة 280 .

(2) الألفاظ المستعملة في المنطق 46/45 .

على كلمة أداة كمصطلح نبأه المؤلف أو استشهد له بمثال واحد، على الرغم من تتبع هذا الأخير لأراء المناطق و اصطلاحاتهم وحججهم و تقسيماتهم الفلسفية.

و إذا لم يقتنعنا مثل هذا القول و فضلنا النظر فيما استعمله اليونانيون أنفسهم، فما هو رائد الدراسات اللغوية عندهم أرسطو يقول⁽¹⁾ هذه هي الأجزاء الداخلة في العبارة بوجه عام: الحرف و المقطع و الرباط و الاسم و للفعل و التصريف و الكلام⁽²⁾.

و نحن لا نرى وجوداً لمصطلح أداة ضمن هذه التسميات المذكورة، و قد تكون الترجمة هي التي تجاوزتها، فقصت بها الرباط، و لكن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا في هذا السياق: لماذا لجأ بعض المتأخرين إلى تحري حقيقة هذه التسمية في الدراسات اللغوية الأجنبية؟

و قد أحسن في الإجابة على مثل هذا السؤال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، حينما رد على المستشرقين ومن سار على طريقهم في إثباتهم للأثر اليوناني في النحو العربي فقال: "إن أشهر هذه الآراء التي ألبيست لباس البحث لنزريه، هي التي تنفي كل طرفة للمناهج العربية في النحو، و تنكر أن يكون النحاة أخرجوا شيئاً جديداً لعجزهم أو عجز البيئة الاجتماعية العربية على إثبات مثل هذا الصنع للمبتدع، و ذهبوا يقارنون بين مصطلحاتهم، و ما تواضع عليه اليونان من قبلهم في علم النحو، و رأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيماً أرسطوطاليساً محضاً. و يا ليتهم ما فعلوا هذا فينجوا من زلل لم يصب به أي عالم من قبلهم⁽³⁾". و التوزيع الذي جاء به أرسطو لعناصر الكلام لا يمكن أن نطبقه على التقسيم الثلاثي للكلمة العربية، لأن هذا التوزيع لا يراعي مراتب التقسيم، فأرسطو لا ينظر إلى الكلام نظرة نحوية محضة - و هذا قد أجمع عليه - فالمقولة عنده هي التعبير عموماً، و تلك هي أقسامها رغم اختلاف مراتبها، و إذا استثنينا ما لا يدخل في مرتبة الاسم و للكلمة، ففي منها الرباط و الفاصلة فهذه أقسام أربعة لا ثلاثة⁽⁴⁾.

و يذهب الدكتور عبده الراجحي المذهب نفسه في إثبات عدم مطابقة التقسيم اليوناني الأرسطي للتقسيم العربي الثلاثي بخامة في القسم الأخير الذي رأى أنه "قسم الذي غلب على ظن الناس أنه القسم الثالث عند أرسطو... و هو الذي يسمى الرابطة و هي عنده صوت بلا معنى... و نحن لا نعرف له اختصاراً...". الرابطة لتكون قسماً ثالثاً في تصنيف لم يفتحه أرسطو، و لم يشر إليه، ثم إن هذه الكلمة قد ورنيت عنده بين سبع كلمات حين كان يتحدث في الشعر عن صنعة الإلقاء و أربابها⁽⁴⁾.

و يخطئ من يظن أن كلمة رباط هي مرادفة لكلمة أداة التي حاول بعضهم جعلها بديلاً لمصطلح حرف، لأن كلمة حرف مصطلح متفق عليه يمثل القاعدة الأصل، و كلمة أداة بديل لغوي لم يرق بعد إلى مرتبة

(1) مرافق 108 .

(2) النحو العربي و منطق أرسطو 68 .

(3) المرجع نفسه 77 .

(4) النحو العربي والنحو الحديث 97 .

الاصطلاح المتعمل اختصاراً للدلالة على مسميات حرفية أو تقرب من الحرفية في خواص معينة. على حد قول السيوطي: "و أعني بالألوات الحروف و ما شكلها من الأسماء و الأفعال و الظروف". (١٢) ففي قول السيوطي إقرار بأسبعية الحرف في الوجود من الأداة التي هي تسمية لغوية ميسرة و عامة لم ترق بعد إلى رتبة الاصطلاح...

و لا نظن أننا سنكون مخطئين إذا قلنا بأن الخروج عن القاعدة الثلاثية و لو عن طريق تغيير مصطلح، سيسبب اضطراباً في الدرس النحوي، لأن الأصول النحوية الأولى لم تلجأ إلى اختيار الحرف كمصطلح للقسام الثالث من الكلمة العربية اختياراً عشوائياً، و إنما لجأت إلى اختياره بتوخي للنقطة و التحليل المنطقيين و لو لا هاتان الميزتان لاستطاع المتأخرون ممن تبنا مصطلح الأداة أن يتخلصوا من مصطلح الحرف كلية، و ها هو الدكتور مهدي المخزومي يردد مصطلح الحرف في كم موضع بأحد كتبه و هو يسوق حديثاً عن ابن فارس فيقول:

و جعل لألوات الإضافة أكثر من معنى، على أساس نيابة الحروف بعضها عن بعض و هو مذهب كوفي... و ذهب إلى أن ليس حرف... قال في باب إضمار الحروف... (١٣)

إن ابن فارس -كما ذكرت كتب الطبقات و التراجم- كان كوفي الاتجاه و على الرغم من ذلك لم يتمكن من تحديد مسأله و حدوده اللغوية و النحوية إلا باستعمال مصطلح الحرف في مواضع كثيرة. (١٤)

فإذا رحنا و سلمنا بتسمية أداة كبديل اصطلاحى للحرف، فإننا سنحتار في خصائص هذه الأداة فقبل أن تكون أداة هل هي اسم؟ أم فعل؟ أم ضمير؟ أم حرف؟ و لنلك نجد أنفسنا مدفوعين إلى الإقرار بمصطلح حرف حتى لو حاولنا تجاوزه لغوياً، خاصة و نحن ندرك خصائص كل قسم، فإذا كان الحرف يحذف، فالاسم لا يحذف، و إذا كان الحرف يزداد فالاسم لا يزداد، و إذا كانت الأسماء و أسماء الأفعال و الضمائر... أجزاء ضرورية تحصل بها فائدة للجملة من المسند و المسند إليه، فإن الحروف هي إلحاق و زوائد على للجمال. (١٥)

(١) الإقتل في علوم القرآن ١/١٤٥.

(٢) الدرس النحوي في بغداد ١٥٦.

(٣) انظر الفصلين في فقه اللغة ٢٨، ١٢٥، ١٢٧.

(٤) الخصائص لابن جني ٢/٢٧٨.

المبحث الثاني

منزلة الحرف في الاستعمال اللغوي

- 1- الحرف و خصائصه
- 2- تقدير مكانة الحرف
- 3- الحرف في المؤلفات النحوية العامة

أ الحرف

يكاد ينقو جمهور النحاة و اللغويين، على تقسيم الكلام العربي إلى اسم و فعل و حرف، فقد ذكر سيبويه هذا التقسيم الثلاثي في كتابه و تبعه في ذلك المناحرون إذ يقول سيبويه: «فالكلم اسم و فعل و حرف جاء لمعنى باسم و لا فعل» (1).

و ها هو ابن مالك من المناحرين يحافظ على التقسيم الثلاثي للكلمة فيقول:

«كَلِمَةٌ لَفْظٌ مُعَيَّنٌ كُنْتُمْ» و «نَسَمٌ وَ فَعْلٌ نَمَ حَرْفٌ كَلِمَةٌ» (2)

و ليس في قول سيبويه جاء لمعنى إشارة إلى أن الحرف مستقل بمعنى في ذاته، لأن مراد سيبويه من عبارة «أنه واسطة لتحقيق معنى من المعاني في تربط بين أجزاء الجملة» و من يقول بدلالة الحرف على معنى في نفسه ففي كلامه نظر، و هذا هو رأي ابن هشام حينما قال: «اشتبه بين النحويين أن الحرف يدل على معنى في غيره، و نازعهم الشيخ بهاء الدين في التعليق، و رعب أنه دل على معنى في نفسه، و هو موضع يحتاج إلى فضل نظر» (3).

إن في هذا تأكيداً للنزور اللطيف الذي يقوم به الحرف، فأني فانه يحسنها إذا قلب من، أو هل - بموردهما - دون حاجة للسم أو فعل فمن مالا تدخل في الكلام للتعبير فهي تدل على تبعد - غيرها - لا على تبعيبتها نفسها» (4).

وإذا دققنا النظر في العبارة السابقة، نرى أن الكلام في عبارة جاء لمعنى لفات التعليل، فعلة الإتيان بتأخر في الجملة، يكون لإفادة معنى لم يكن لدينا من قبل. و هذا للتعليل لا يحقق إلا بعيره، و لو كن الأمر غير ذلك لما راح سيبويه يوضح «جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل...» (5) و اكتفى عندئذ بقوله اسم، و فعل، و حرف فيهم من ذلك أن لكل قسم معنى في نفسه.

إن نحن متفقون على الأخذ بهذا التقسيم الذي يمثل الأصول الأولى التي قام عليها كل نشاط لغوي. فقد نسبر للنحاة على الإقرار بهذا التقسيم الثلاثي للكلمة العربية فأعزوا ما جاء به سيبويه مرفيع ذلك بتفصيل أو توضيح يدعم تلك القاعدة و لا يشذ عنها.

(1) الكتب 1/12.

(2) القصة 2.

(3) التبيين والمطالع في النحو للسيوطي 1/1.

(4) التوضيح في عل النحر 54.

(5) الكتب 1/12.

يقول المبرد: "فالكلّام كلّ اسم و فعل و حرف جاء لمعنى، لا يخلو للكلّام عربيا أو أعجميا من هذه الثلاثة".⁽¹⁾ أما ابن السراج فيعرف الحرف بتقييده بأهم خاصية تفرقه عن الاسم و الفعل فيقول: "الحروف ما لا يجوز أن يخبر عنها، و لا يجوز أن تكون خبرا نحو من و إلى...".⁽²⁾

أما ابن فارس، فيبدو أكثر التزاما بما جاء به سيبويه، فينقل لنا ذلك التقسيم على أنه تقسيم مجمع عليه و مسلم به فيقول: "أجمع أهل العلم أن الكلّام ثلاثة اسم، و فعل، و حرف"⁽³⁾ و يكتفي في تعريفه للحرف بإعادة فحوى عبارة سيبويه فيقول: "قال سيبويه و أما ما جاء لمعنى وليس باسم و لا فعل فتحو نم، و سوف، و ولو للقسام، و لام الإضافة".⁽⁴⁾

و للزمخشري، تعريف جامع شامل، اعتمد فيه للتوضيح، و التمثيل فأعرب عن عبارة سيبويه بصياغة أخرى فقال: "الحرف ما دل على معنى في غيره، و من ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل و اقتصر على الحرف فجرى مجرى الثائب نحو قولهم نعم، و بلى، و إي، و إبه و يازيد، و قد، في قوله: و كان قد...".⁽⁵⁾

و لابن جني تحليل دقيق، لاستعمال ذلك التقسيم الثلاثي للكلمة للعربية. إذ يلقي على تقسيم سيبويه ضوئا جديدا يكشف عن الحاجة المقامية و الكلامية القصوى لاستعمال ثلاثية تقسيم الكلمة للعربية فيقول عن وضع العرب لهذا التقسيم: "...إنهم وزنوا حينئذ أحوالهم و عرفوا صابر أمورهم، فعلموا أنهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني، و أنها لا بد من الأسماء و الأفعال، و الحروف، فلا عليهم بأيها بدأوا بل الاسم أم بالفعل لم بالحرف، لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهن جمعا إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن...".⁽⁶⁾

و عن تأكيد الدور الوظيفي للحرف، و حاجته لغيره من الأسماء و الأفعال يقول في موضع آخر موجهها رأي سيبويه الذي سمى الحرف كلمة من غير أن يربط وظيفة هذه الكلمة بغيرها يقول في ذلك ابن جني: "و قد قال سيبويه هذا باب أقل ما يكون عليه الكلام فنذكر هناك حرف العطف، و فاع، و همزة الاستفهام، و لام الابتداء، و غير ذلك مما هو على حرف واحد و سمي كل واحد من ذلك كلمة. فليت شعري كيف يستعذب قول القائل، و إنما نطق بحرف! لا بل كيف يمكنه أن يجرد للنطق حرفا واحدا...".⁽⁷⁾

(1) المقاطب 3/1 .

(2) الأصول في النحو 37/1 .

(3) الصاحبي في فقه اللغة 82 .

(4) المصدر نفسه 86 .

(5) الفصل 283 .

(6) الفصل 30/2 .

(7) المصدر نفسه 27/1، 28 .

و يذهب المتأخرون إلى إثبات التقسيم الثلاثي للكلمة، بسروح و تحليلات إنشائية، نعود إلى ترسيخ القاعدة التي جاء بها الأوائل في تقسيم الكلام العربي إلى ثلاثة أقسام فإن هشام يقول: " ثم قلت و هي [الكلمة] اسم، و فعل، و حرف، و أقول: الكلمة جنس تحته هذه الأنواع الثلاثة لا غير أجمع على ذلك من يعتد بقوله. (1)" و بلجا بعد ذلك ابن هشام إلى تقديم مفهوم لكل قسم و معناه فيقول:

" و دليل الحصر أن المعاني ثلاثة ذات، و حدث، و رابطة للحدث بالذات، فالذات الاسم و الحدث الفعل، و الرابطة الحرف، و أن للكلمة أن تلت على معنى في غيرها، و أن تلت على معنى في نفسها، فإن تلت على زمان متحمل فهي الفعل و إلا فهي الاسم. (2)"

حافظ ابن هشام في مقولته على القاعدة الثلاثية للكلمة العربية، و أعطى لكل قسم اسما يدل على معناه، و وظيفته في الكلام، فما زاد على ما جاء به سيبويه إلا توضيحاً جامعاً، و مصطلحاً مفسراً.

لقد أقام ابن هشام لكل قسم حداً، فأعاد من جديد وبعقليته التحليلية إثبات الحدود التي تردت في كتب النحو، و اللغة و الألب، بعبارة متباعدة تفصيلاً، و متفقة إجمالاً. و أكد على ضرورة المحافظة على الأنواع الثلاثة للكلمة العربية كما أثبتتها كتب الأصول، لأن "الدليل على تحصيل أنواعها في هذه الثلاثة الاستقراء. فإن علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب، فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع و لو كان ثم نوع رابع لعثروا على شيء منه. (3)"

ب- خصائصه

إن للحرف خصائص هي غير خصائص الاسم و الفعل و هذه الخصائص استقرت من خلال متابعة النحاة و اللغويين لأجزاء الجملة العربية فقد نقل ابن فارس عن الأخفش أن الحرف: " ما لم يحسن له الفعل و لا الصفة، و لا التنبيه و لا الجمع، و لم يجز أن يتصرف. (4)"

و يرى ابن فارس أن ما قاله سيبويه عن خواص الحرف أقرب إلى الدقة إذ يقول: " و أقرب ما فيه ما قاله سيبويه إنه الذي يفيد معنى ليس في اسم و لا فعل نحو قولنا: زيد منطلق ثم نقول: هل زيد منطلق؟ فأفئنا بهل ما لم يكن في زيد و لا في منطلق. (5)"

و لم يختلف النحاة و اللغويون في تعيين خصائص الحرف إلا من حيث الشرح و التفصيل في ذكر تلك الخصائص، و ها هو الصيمري يوافق ابن فارس فيعيد ذكر خصائص الحرف بصياغة و تمثيل آخرين فيقول إنه يتميز بـ "امتناع كون خواص الاسم و الفعل فيه أي أن الحرف لا تتخل عليه الألف و اللام، و لا يتثنى،

(1) شرح شذور الذهب 13 -

(2) المرجع نفسه 13، 14 -

(3) شرح قطر الندى وبل الصدى 14، 15 -

(4) الصلحي 86 -

(5) المصدر نفسه 86 -

و لا يجمع، و لا يتصرف تصرف الفعل (1) و يضيف أنه "لا يستحق الإعراب، لأنه لا يقوم بنفسه، و إنما يسمي كـ بعض حروف ما يدخل عليه، و بعض الكلمة لا يعرب فوجب ألا يعرب الحرف لذلك (2) أما ابن مالك فيختصر خواص الحرف في العبارة التالية: "ثم الكلمة إن لم تكن ركن الإسناد فهي حرف، و إن كانت ركناً له، فإن قبلت الإسناد بطرفيه فهي اسم، و إلا فهي فعل (3) و يميز ابن هشام خواص الحرف بقوله "بأن يعرف بأن لا يقبل شيئاً من علامات الاسم، و لا علامات الفعل، نحو هل، و بل فإنهما لا يعلمان شيئاً من علامات الأسماء، و لا شيئاً من علامات الأفعال، فاشتق أن يكونا اسمين، و أن يكونا فعلين، و تعين أن يكونا حرفين. إذ ليس لنا إلا ثلاثة أقسام، و قد اشغى اثنان فتعين الثالث (4) "

و قد نجد في ثانيا حديثنا عن حروف المعاني بعض الأسماء التي أشربت معنى حرف من الحروف كأسماء للشرط نحو من، ما، كيفما، حيثما و أسماء الاستفهام نحو من، ما، كيف، أين... فهذه الأسماء لها قيمة خاصة في بناء الجملة، لأن معانيها تكون للجملة كلها، فتحيلها شرطاً أو استفهاماً هكذا يتبين أن الفعلاء و الأموليين لم يهجووا نهج أهل اللغة في قصر الحروف على الحروف التي لا تأتي على شيء أهل اللغة، بل وجدناهم يوسعون دائرتها لتشمل بعض الأسماء غير المتمكنة و هي الأسماء المبنية (5) و هذه الأسماء التي أشبهت الحروف لا يمكن أن تحقق فائدة بمفردها إلا إذا ارتكزت على غيرها من اسم أو فعل. و هذا الارتكاز لا يأتي موقعها الإعرابي، وإنما يحدثه، و يرتبه و لا يسقط من قوته كركن من أركان الجملة شيئاً، فقولنا في مثل هذه الجملة من جاء؟ يتعين بوضوح أن من الاستفهامية وردت ركن إسناد في الجملة.

و قد وجد ابن يعيش فصلاً في هذا الأمر فقال: "و الجواب عن هذا الإشكال أن هذه الأسماء نلت على معنى في نفسها بحكم الاسمية ف أين نلت على المكان و كيف نلت على الحال و كذلك أسماء الأجزاء ف من نلت على من يفعل، و ما نلت على ما لا يفعل، و أما دلالاتها على الاستفهام فعلى تقدير حرفيهما، فيما شيئان دلا على شيئين. فالاسم دل على مسماه، و الحرف أفاد في غيره معناه (6) "

و لا نرى فيما ذكره ابن يعيش سبباً كافياً و مقنعاً للتمييز بين الاسم المبني الذي يسميه حرف المعنى، و الحرف المنفك على حرفيته كقسم ثالث من أقسام الكلمة العربية. لأن ابن يعيش اكتفى فقط بتحديد دلالاتهما

(1) النحوي و النكرة 75/1.

(2) المختصر نفسه 78/1.

(3) شرح التسهيل 3/1.

(4) شرح قطر الندى ويل الصدى 48.

(5) مجلة أسواء الشريعة بحث في أثر معاني الحروف في اختلاف الفقهاء د/ الطيب خصري السيد مسلم ع 157/13.

(6) شرح المفصل 3.2 / 8.

الاصطلاحية، و لعل أقرب ما يميز بينهما قولنا أن الاسم الذي أشبه الحرف قد يؤتى به ليكون طرفاً أساسياً من طرفي الجملة الرئيسيين المسند و المسند إليه، و قد يحدث موقعاً إعرابياً تحصل بواسطته فائدة الجملة نحويًا و ذهنيًا، كأن نقول: كيف أنت؟ ف كيف أشبهت الحرف في افتقاره لشيء يكمله، كما أشبهته أيضًا في البناء، و لكنها خالفته في احتلالها موقعاً بارزاً في الجملة، فبواسطتها تحققت العلاقة الإنسانية في الجملة. و هذا هو ما ذهب إليه ابن السراج إلى أن الحروف ما لا يجوز أن يخبر عنها و لا يجوز أن تكون خبراً نحو من و إلى (1) فنفى عن الحرف ما يكون للاسم و الفعل.

إن لا نستطيع أن نقول إلى جاء أو في أنت و يمكننا أن نقول من جاء؟ و كيف أنت؟. ف كيف في محل رفع على الخبرية، كما كانت من في قولنا من جاء في محل رفع على الابتداء.

أما الحروف فلا محل لها من الإعراب، يؤتى بها كواسطة لإحداث تأثير لفظي و معنوي في غيرها، نحو لم يذهب، سوف يذهب و قد غير أحدهم بإبطال كون تلك الأسماء حروفا حين حديثه عن كيف فقال: فكونها حرفاً باطل لأنها تغيب مع الاسم الواحد فائدة تامة كقولك كيف زيد؟ و الحرف لا ينفق به و بالاسم جملة مفيدة. (2)

أما عن أسماء آخر لا تتحقق بها تلك العلاقة الإنسانية فإنها تحتفظ بمحلها الإعرابي كفرع مكمل للمعنى السياقي في الجملة، نحو قولي: متى جئت؟ ف متى اسم مبني، خالف الحرف في محل نصبه على الظرفية الزمانية. و مثل هذه الأسماء التي تشبه الحروف في افتقارها إلى شيء تتعين به، قد تحتاج إلى ركن أساس مكمل لها في الجملة، تتطلبه العلاقة الإنسانية. أو تحتاج إلى جملة مستقلة تكون فرعاً يستقيم به التركيب الدلالي المطلوب في جملة متى جئت؟. و إذا كانت هذه الأسماء قد ارتبطت بمعان -كأنني ذكرها ابن يعيش- فإن هذه المعاني لا تشبه معاني الحروف و دلالاتها، لأنها تسميات مستقلة صنفت على أساسها تلك الأسماء حتى يحدد موقعها النحوي بعد ذلك ك الفاعل أو المفعول به أو الحال أو المبتدأ.

و قد يلتفت بهذا إلى أمر آخر مما قد يوقعنا في إشكال صعوبة التفريق بين الحروف و الأسماء الشبيهة بها، إن يقال لنا: هناك من الأسماء تسمية ما يؤثر لفظاً فيما يقترن به فيجزمه، و يخرج بالتركيب من مدلول سابق إلى مدلول يتحقق فيه معنى للجزاء و تلك هي أسماء الشرط الجازمة، نحو كيفما و أينما و حيثما، من... فما للسبيل إلى التفريق بينها و بين الحروف الجازمة؟ عندئذ نقول إن الفرق يكمن في إدراك الخلف بين هاتين الجمليتين:

- إن تجتهد تنجح -

من يجتهد ينجح

(1) الأصول في النحو 37/1

(2) مسائل خلاصية للمكبري 56

فالحرف إن حرف جزاء. جزم الفعلين، و أكسب الجملة السياق الشرطي من غير أن يكون ركنا إسناديا في الجملة.

و الاسم من اسم جزاء جزم الفعلين و أكسب الجملة السياق الشرطي و كان ركنا إسناديا في الجملة بمجيئه في موضع الابتداء.

و إذا كانت هذه الأسماء لإيهامها قد أثارت مثل هذه التساؤلات فشانها في تلك شأن الضمان نحو قولنا: هاء الغائب و تاء المخاطب و غيرها من الضمان الأخرى التي هي كليات صريحة عن الأسماء فلا يمكن أن تكون بذلك حروفا، لأن ما أشبه شيئا لا يكون بالضرورة مطابقا لذلك الشيء في خوصه، و بالتالي هذا جعلنا لا نخلط بين خصائص تلك الأسماء و خصائص الحروف، لنحاول بعد ذلك تغيير القاعدة التي أثبتنا سيبويه بعد تمحيص، و استقراء دقيقين، بخاصة و نحن ندرك جيدا أنه عند ذكره للحرف مثل بقوله: ^(١) أما ما جاء لمعنى و ليس باسم و لا فعل فتحو ثم، و سوف و واو القسم، و لام الإضافة، و نحوهما. (١٢)

و لو عكسنا قول سيبويه باتجاه تقابلي، و قلنا: وأما ما جاء لمعنى نحو، ثم و سوف... و نحوهما و ليس اسما و لا فعلا لأمكنا أن نحصر مع تلك الحروف بعض الأسماء لنقول: و ليست باسم و لا فعل... و ما جاء به سيبويه كان قانونا لغويا لا يمكن أن نحدث عنه، و لو حاولنا ذلك لأدى بنا الأمر إلى الخلط و اللبس فيرتفع الأمان عن اللغة و يقع بذلك في فوضى التفريعات اللغوية المبنية على التمدل و التي لا تستقيم معها اللغة.

و لمنتبع بدقة للأسماء لتشبيهة بالحروف، يلزم فيها دلالات تتوضح أكثر باتصالها بالجملة، التي تكون فيها جزءا لا طرفا، و قد تستعملها بمفردها في مواضع كثيرة خاضعة لضوابط من الحذف نحو من، أين. و هذا الاستعمال تطلبه السياق المعرون بالسوق، الذي لا يعوض الجملة كما في أحرف الجواب التي يؤتى بها لضرب من الإيجاز، و إنما هو مقام يوحي ببعية أجزاء الجملة المثبتة في الذهن، فتحفظ كل من و أين بموقعها الإعرابي، و كذا بعية الأسماء التي تشبه الحروف. و قد كانت للزمخشري التفاتة ذكية تدعم الشروح السابقة عندما شئ في ذكره أحد الحرف بحروف تستقل بنفسها لفظا، فأعطى بيانا عنها بقوله: ^(٢) الحرف ما دل على معنى في غيره و من ثم لم يتفك من اسم و فعل يصحبه، إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها اللام و اقتصر على الحرف، فجرى مجرى النائب نحو قولهم: نعم و بلى و إي و إيه، و يا لله، و قد، في قوله و كان قد. (٢٣)

و عبارة الزمخشري: ما دل على معنى في غيره هي التي فضلها ابن يعيش على عبارة سيبويه و من وافقه كالمبرد في قوله: جاء لمعنى. (٣)

(١) الكتاب ١/١٢.

(٢) المعمل ٢٨٣.

(٣) انظر في ذلك الكتاب ١/١٢، المقضب ٣/١.

و كان الزجاجي من الأولين الذين احرقوا عن عبارة سيويه حينما قيل: "و اما حدّ حروف المعاني، و هو الذي يلتمسه النحويون، فهو أن يقرّ الحرف: ما دل على معنى في غيره نحو من و إلى و ثمّ و ما أشبه ذلك". (1)

و إذا رجعنا ما قاله الصيمري و ابن هشام الأتصاري عن حد الحرف (2) فإننا نجد العبارة نفسها قد تردت عند كل واحد منهما، و قد عقد ابن يعيش تفسيراً للمفاضلة بين العبارتين إذ يقول: "و قولهم ما دل على معنى في غيره أمثل من قول من يقول ما جاء لمعنى في غيره لأن في قولهم ما جاء لمعنى في غيره، إشارة إلى العلة، و المراد من الحد الدلالة على الذات لا على العلة التي وُضع لأجلها، إذ علة الشيء، غيره... (3) و المرادي (4) يوافق ابن يعيش في مفاسلته هذه، فيختار للحرف حدا يراه الأحسن، فيقول: "و قد حد بحدود كثيرة، و من أحسنها قول بعضهم الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط. (5)

و مع أن ابن يعيش حاول أن ينعنا بما قدمه من تعليل لتفضيله عبارة دل على معنى في غيره على عبارة جاء لمعنى فإننا لا نوافق، و إنما نرى في تلك العبارة التي وردت عند كثير من النحاة مفهوماً لا يختلف عن المفهوم الذي أُعطي للاسم و الفعل في دلالة كل منهما على معنى معين، و لكن هؤلاء عند حديثهم عن الحرف أوردوا قولهم بعبارة في غيره ليضعوا حدا لكل لبس، و ظنوا أنهم قد وجتوا البئيل الحسن للعبارة الأولى، لكننا نرى في هذا البئيل فصلاً كبيراً بين وظيفة الحرف، و باقي أجزاء الجملة الداخلة عليها، فعند قولهم بدلالته على معنى اعترفوا من غير قصد باستقلاله بمعنى خاص، و حتى يميزوا بينه و بين كثر من الاسم و الفعل تداركوا عبارتهم بربط تلك الدلالة بالتحقق في غيرها، و في هذا تجاوز ظاهر لحد الحرف، إذ أقيم له وزن بمفرده، جعلنا لا نفرق بينه و بين ما يشبهه من الأسماء التي نرى أن معانيها المستقلة التي ذكرها لها ابن يعيش كالمكانية، و الحالية...

لا تتحقق كلية إلا بغيرها، بخاصة و أن هناك أسماء لا يمكن الوقوف على حدها إلا بوجودها في سياق تركيبى نحو على، و عن. (6)

و إذا رجعنا عبارة جاء لمعنى في غيره فلأنها تفصل بين الحرف و ما يشبهه من أسماء، ذلك لأنها لا

(1) الإيضاح في علل النحو 54 و انظر الجمل 2 .

(2) انظر في تلك التبصرة و التنكرة 94/1 و شرح سور الذهب 14 .

(3) شرح المفصل 2/8 .

(4) هو يتر الذين الحسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) عالم مصري في النحو و اللغة و الفقه، له شرح التسهيل و شرح المفصل

و شرح الألفية، و الجنى الداني في حروف المعاني، انظر حسن المحاضرة 536/1 .

(5) الجنى الداني في حروف المعاني 84 .

(6) جاء في الجمل للزجاجي 72 "فلما عن على فقد يكونان اسمين و ذلك أنهما قد تدخل عليهما حروف الخفض..."

تجاوز طبيعة الحرف ووظيفته الأساسية، فلا تفصلهما عن بقية أجزاء الجملة، وبتأدية الحرف لوظيفته في السياق الكلامي يكون قد حقق منلوله الذي أكسبه إياه غيره، و عندئذ لا يمكننا فصل الحرف عن غيره من الأجزاء الأخرى للجملة التي تحقق للحرف ذاته و يحقق لها الحرف معنى جديدا لا مندوحة من الوقوف عنده...

و نحن نستعرب لما ذهب إليه ابن يعيش بأن الحد هو دلالة على الذات، فإذا كانت هذه الذات لا توجد و لا تتحقق إلا بغيرها، فما السبيل إن لوضع تعريف لها، و هي غير متحققة أصلا إلا يحق لنا أن نجعل من كل وصف، و كل خاصية و كل ملاحظة، نقال عنها تابعة لحدها الممثل له ضمن التركيب السياقي الواردة فيه. و من خلال هذه الأقوال و التمرواح، نرى أن الحرف قد درج ضمن اهتمامات النحاة و اللغويين بعد الاسم و الفعل، فهو غير القسم الأول و الثاني في علاماته و خصائصه، و كلنا بأصحاب هذا التقسيم قد حاولوا إقناعنا بعد أن اقتنعوا بتأخر الحرف درجة في الكلام و رتبة في الدراسة. و قد يكون هذا هو السبب الذي جعل الدكتور مهدي المعزومي يقيم نيلته على إهمال دراسة الفعل ثم الحرف قياسا على عناية النحاة بالاسم بقوله: «أما للفعل و الأداة فلم يوفوهما حقهما ولم يتناولوهما بالدرس إلا بمقدار ما لهما من صلة بالعمل و العامل و إلا بمقدار ما لهما من تأثير في الأسماء رفعا، و خفضا، و نصبا»⁽¹⁾

و مما لا شك فيه أن طبيعة الدراسة النحوية و اللغوية هي التي فرضت على السابقين هذا التباين، في اهتمامهم بالأقسام الثلاثة للكلمة، و قد خضعوا في تلك للظواهر الكلامية الرئيسة التي ارتبطت بالدرس النحوي.

2- تقدير مكانة الحرف:

إذا كان هناك تفاوت في تقدير مكانة الحرف النحوية أو الدلالية في مصنفات الأوائل، فإن هذا الاختلاف لم يخرج عن إطاره المحدود، الذي رسمه له أصحاب الدرس النحوي و اللغوي و الشرعي. هؤلاء الذين رأوا في دراسة الحرف شيئا تحصل الفائدة به، فلم يحتد النزاع العلمي في إثارة النقاش حول الحرف، و توليد المسائل كما احتد حول الاسم و الفعل من جانبيهما النحوي و الصرفي. و مثل هذا النزاع حول الحرف، لا يمكن أن يقوم إلا معتمدا على البحث البلاغي الذي شهد نزوجه متأخرا، و الذي يسمح لنا بالنظر إلى حروف المعاني على أنها هي القرائن المعنوية التي تحدد السياق البلاغي في الكلام، و التي بواسطتها يوقف على مقاصد الأحكام الشرعية المرتبطة بها، لأنها تمثل وجها مختصرا و موجزا للجمال المفيدة. و يذهب إلى هذا الرأي علماء اللغة، في إجماعهم على أن حروف المعاني جيء بها اختصارا و نيابة عن الجمل، فحروف المعطف نابت عن أعطف و حروف النفي نابت عن أنفي و حروف الاستفهام نابت عن استفهم...⁽²⁾

(1) في النحو العربي قواعد و تطبيقات 6 .

(2) فتنر المقضب 258/4، شرح السهول 7/1، شرح المفصل 7/8 .

و لا نل على قيمة الحرف في استيعاب علم العربية، ما يبعثه من كوامنها الجمالية و ما يكشف عنه من معاصدها الغائبة، فمحذورة قوي في التوزيع و تاوين الأساليب العربية، إيه المفتاح الذي نلج به الباب لإدراك دقائق و أسرار هذه الأساليب و قد أشارت الكتب إلى لطائف الحروف، و سر استخدامها، و بيان فائدها التي لا يدركها إلا من اتقن العربية و قد ساق لنا أبو حيان التوحيدي محاوراة طريفة تكشف عن ضوابط خفية تتحكم في استعمال الحرف و لثر تلك الضوابط في توجيه الأساليب و معانيها. و في هذه المحاوراة يتحدى أبو سعيد السيرافي (1) متى بن يونس (2) في بيان مزايا اللغة العربية، و من مواضع تحية ما جاء به من حديث عن الحرف إذ يقول:

“... لسألك عن حرف واحد، و هو دائر في كلام العرب، و معانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطلق أرسطوطاليس الذي تنل به و تباهي بنفحيه، و هو الواو، ما أحكامه؟ و كيف مواقعه؟ و هل هو وجه أو جوه؟..”

فقال متى بكعني من لعنكم هذه، الاسم و الفعل و الحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هتبتها لي يونان. (3)

قلت [أبو سعيد] أخطأت لأنك في هذا الاسم و الفعل و الحرف فقير إلى وصفها و بنائها على الترتيب المتوقع في غرافز أهلها...

و مع هذا، فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن أبين أن تقويمك للمنطق لا يقتني عنك شيئا، و أنت تجهل حرفا واحدا في قلعة التي ندعو بها إلى حكمة يونان، و من جهل حرفا لمكن أن يجهل حروفا، و من جهل حروفا جاز أن يجهل للغة بكاملها، فإن كان لا يجهلها كلها و لكن يجهل بعضها، فقلعه يجهل ما يحتاج إليه...

و إنما سألتك عن معاني حرف واحد، فكيف لو نشرت عليك الحروف كلها، و طالبتك بمعانيها و مواضعها التي لها بالحق، و التي لها بالتجوز... (4)

إن قيمة الحرف التي يعرب عنها أبو سعيد السيرافي، تجاوزت حدودها التقنيّة الضيقة، إلى ترتيب دقيق مرهون بالسباق اللغوي حسب مقتضى الحال، و ها هو عبد القاهر الجرجاني يسوق محاوراة أخرى، يكشف فيها عن القيمة الوظيفية للحرف فيقول:

(1) نحوي منفق و ر ع له أخبار النحويين البصريين، و شرح كتاب سمويه و قد عُدَّ من أعلم الناس بنحو البصريين (ت 368 هـ)، انظر ترجمته في فهرست 282، 281 .

(2) هو بشر بن متى بن يونس الفلاني، كان نصرانيا عالما بالمنطق و إليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمانه (ت 328 هـ)، انظر ترجمته في الإمتاع و المذاقة هامش 1/ 108، 107 .

(3) و يقصد بذلك المعرفة اللغوية اليونانية نسبة إلى اليونان التي حملت لواء الحضارة العلمية في جنوب شرقي أوروبا.

(4) الإمتاع و المذاقة 1/ 114-117 .

ركب الكندي المتكلسف إلى أبي العباس و قال له: إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس (1) في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم ثم يقولون: إن عبد الله قائم ثم يقولون: إن عبد الله لقائم فالألفاظ متكررة و المعنى واحد، فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم إخبار عن قيامه، و قولهم: إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، و قولهم: إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني... (2)

و هاتان المحاورتان، تكشفان عن ضرورة الاحتراز في استعمال الحروف استعمالا دقيقا لارتباط صحة هذا الاستعمال بصحة المعاني التي تقوم عليها أحكامنا الفكرية و العملية، و على حد تعبير الخطابي: "فهذا الباب عظيم الخطر، و كثيرا ما يعرض فيه الغلط، و قدما عنى به العربي التصريح (3)".

3- الحرف في المؤلفات النحوية العامة:

عكف النحويون و اللغويون على تخصيص مباحث مبوبة ومفصلة للقسم الأول و الثاني من أقسام الكلمة العربية، و استنباط قواعد من تلك المباحث، تنفق و خصائص كل قسم، إلا ما اختلف فيه من تفاصيل فرعية.

و إذا بحث عن حظ الحرف من ذلك التوبيع و التفصيل فإننا لا نجده مستقلا بمبحث منفرد شامل واف، كما هو الحال بالنسبة للاسم و الفعل، و إنما نجده مقيدا بمباحث هذين القسمين نحو: بلب حروف أجريت مجرى حرف الاستلهام و حروف الأمر و النهي (4)، بلب الحروف التي تضرع فيها أن (5)، بلب ما يعمل في الأفعال فيجزمها (6)، بلب الحروف التي يجوز أن يليها بعدها الأسماء، و يجوز أن يليها بعدها الأفعال (7). هذه بعض تبويبات سببويه للحرف في كتابه، و قد كانت متفرقة لم يجمع بينها المصطلح الموحد [الحرف] حيث احتكم فيها إلى نظام الجملة بركنيتها الأساسيين المسند و المسند إليه، و ما يلحق بها من تأثير لفظي أو معنوي قد يكون ناتجا عن الحروف أو غيرها.

و علة عدم إفراد الأوائل الحرف بمباحث مستفيضة تنبئ إليها بعضهم، إذ أرجع ابن سيده هذه العلة إلى كون حروف المعاني أقل أقسام الكلام مع أنها أكثرها في الاستعمال من قبل أنها إنما تحتاج إليها لغيرها من الاسم

(1) قد يكون المبرد المتوفى (سنة 285 هـ) أو أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى (سنة 291 هـ)، والأرجح أنه أحمد بن يحيى ثعلب ثعلبي كثيرا إلى أبي العباس، فنظر في تلك طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي 101، 141 و الفهرست 335.

(2) دلائل الإعجاز 205، 206.

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن سيان إعجاز القرآن - 30.

(4) الكتاب 145/1.

(5) المصدر نفسه 5/2.

(6) المصدر نفسه 8/2.

(7) المصدر نفسه 116/2.

لو الفعل أو الجملة، و ليس كذلك غيرها لأنها يحتاج إليها في أنفسها فصارت هذه الحروف كالآلة و صار القسمان الآخران للذان هما الاسم، و الفعل كالعمل. (1)

و على الرغم من إجماع للحرف ضمن مباحث الاسم و الفعل في كتب الأوائل لارتباطه الوثيق بهذين القسمين، فإن هذا لم يمنع أصحاب كتب الأصول من الإشارة إلى الحرف، كقسم مستقل ببنية، و وظيفته في أبواب تعويدية مختصرة، إذ نجد عند سيبويه إشارة إلى بعض حروف المعاني مع التمثيل لها في باب سماء باب عدة ما يكون عليه الكلم. (2)

و نجد عند المبرد استقصاء جزئيا لبعض حروف المعاني في باب سماء باب ما يكون عليه الكلم بمعانيه (3) و نجد عند ابن السراج تحولا أكثر خصوصية في تناول الحرف و الحديث عنه من خلال باب سماء بباب الحروف التي جاءت للمعاني. (4)

و مثل هذه الإشارات و التبويبات الخاصة بالحرف، و المبنوثة في تضاعيف كتب الأوائل، لم تكن دراسات وافية، و مكتملة، لعدم إفرادها في مباحث شاملة و مستفيضة تعطي للحرف حقه من الشرح و التمثيل، و تؤكد أهمية دوره الوظيفي في تعيين لناليب الجملة العربية. و هذا الأمر هو الذي دفع بالمتأخرين إلى القيام بدراسات مستقلة و مستفيضة عن الحرف، و قد أعانت هذه الدراسات كل من النشاط التفسيري و البلاغي في كشف الغطاء عن دقائق اللغة العربية، و معرفة قوتينها، بخاصة إذا كان السابقون قد نثروا ملاحظاتهم حول الحرف في بطون كتب متنوعة من كتب النحو و اللغة و البلاغة و الأدب.

فقد ذكر أبو حيان التوحيدي في حديثه عن الحرف أنه سمع شيخا من النحويين يقول:

"و الحرف ما كان جامدا لا يدل على معنى نحو هل، و بل، و قد، و كأنه يزيد أن معاني الحروف تتضح بقرائنها، فكأنه لا تأثير لها بتجريدها حتى يصحبا غيرها. (5)

و قد ذهب قزجاني مذهباً نقدياً في توجيه ما قيل عن حد الحرف فقال: "قال بعضهم تحرف ما خلا من دليل الاسم و للفعل فلم يسغ فيه شيء مما ساع فيهما، و هذا وصف للحرف و ليس بحد له. (6)

و يقرب أبو محمد الصيمري [من نهاية القرن الرابع الهجري] لتعريف نفسه إلى ذهن القارئ فيقول: "و حد الحرف لفظ يدل على معنى في غيره... (7)

(1) لمخصص (السفر 14)، 44/4 .

(2) الكتب 216/4 .

(3) المقنن 36/1 .

(4) الأصول في النحو 206/2 .

(5) البصائر والفخائر 208/1 .

(6) الإيضاح في علل النحو 55 .

(7) التبصرة و التذكرة 94/1 .

الفصل الثاني

التأليف في حروف المعاني قبل ابن هشام

المبحث الأول: الحروف في تراث العربية

المبحث الثاني: من مناهج دراسة حروف المعاني قبل ابن هشام

المبحث الأول

الحروف في تراث العربية

1- الكتب المتخصصة بدراسة الحروف

2- الكتب التي اشتملت على دراسة لحروف المعاني

على علماء العربية منذ زمن مبكر بحروف المعاني لأهميتها في الدراسات النحوية و الشرعية، فخصوها بتأليف مستقلة شاملة، و مباحث مختصرة في تضاعيف مؤلفات متنوعة و قد حاولت وضع قائمة لما استطعت الوقوف عليه في كتب تراجم العلماء، و مقدمات محققي ما نشر منها. و كانت هذه المحاولة التي هي على سبيل المثال لا الحصر - كشافاً عن غنى تراث العربية بمثل هذه المصنفات فيما يخص القسم الثالث من أقسام الكلمة العربية.

1- الكتب المتخصصة بدراسة الحروف:

1- كتب جامعة

- رسالة في معاني الحروف أو العوامل للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) (1)

- كتاب الحروف لعلي بن حمزة الكسائي (ت 183 هـ) (2)

- كتاب الحروف لأبي العباس المبرد (ت 285 هـ) (3)

- حروف للمعاني لأبي القاسم الزجاجي (ت 339 هـ) (4)

- الحروف لأبي نصر الفارابي (ت 339 هـ) (5)

- الحروف لأبي سعيد السيرافي (ت 368 هـ) (6)

- الحروف في اللغة لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت 370 هـ) (7)

- معاني الحروف، لعلي بن عيسى الرمائي (ت 384 هـ) (8)

- معاني الحروف لأبي القاسم حسين بن العريف (ت 390 هـ) (9)

-
- (1) ذكرها الفقهني في إنباء الرواة 381/1، و ابن خلكل في وفيات الأعيان 17/2، و ابن النديم في الفهرست 199 و الدكتور عدنان درويش في فهرس المخطوطات العربية 19/2.
- (2) ذكر في الفهرست 297، بغية الوعاة 163/2.
- (3) ذكر في الفهرست 268، و إنباء الرواة 252/2.
- (4) نشر بتحقيق علي توفيق الحمد - بيروت 1984 - و سبأني الحديث عن هذا الكتاب في مباحث من مناهج دراسة حروف المعاني قبل ابن هشام 63.
- (5) نشر بتحقيق د/ محسن مهندي (بيروت 1970).
- (6) ذكر في الإمتاع والمؤانسة 114-117، و العنوان غير وارد بالتحديد فقد لورد صاحب الإمتاع و المؤانسة مفاظرة جرت بين السيرافي و الفيلسوف متى بن يونس ساق فيها حديثاً مطولاً عن الحروف و معانيها، ١٠٠ بيتاً بقول - غير جارمين - بل السيرافي قد يكون جمعها في مؤلف لم يصل إلينا. انظر ما جاء في الفصل السابق.
- (7) ذكرت في الفهرست 684، و البلغة للفيروز أبادي 56، 55 و بغية الوعاة 500/1.
- (8) نشر بتحقيق د. مصطفى جواد و يوسف يعقوب، ضمن مجموعة رسائل في النحو و اللغة (بغداد 1969) ثم نشر بتحقيق د/ عبد الفتاح اسماعيل شلبي (جدة 1984).
- (9) ذكر في فهرس ابن خبير 320.

- الحروف في النحو لأبي جعفر الفراز (ت 412هـ) (1)
- الأزهيه في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي (ت 415هـ) (2)
- الهادي في الحروف و الأدوات للميداني (ت 518هـ) (3)
- الحروف لأحمد بن محمد الرازي (ت في حدود 613هـ) (4)
- المدخل إلى علم الحروف للشيخ محي الدين محمد بن علي العربي (ت 638هـ) (5)
- لمحة الحروف للشيخ الإمام ابن سبعين الإشبيلي (ت 669هـ) (6)
- رصف للمباني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور الملقى (ت 702هـ) (7)
- الجنى لداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) (8)
- معاني الأدوات و الحروف لابن القيم الجوزية (ت 751هـ) (9)
- معاني الحروف لعبد الجليل بن فيروز الغزنوي (10) (ت ؟) (11)
- الحروف للمزني (12) (ت ؟) (13)
- للمحة في علم الحروف لنقي الدين عبد الله بن علي بن الحسن (14) (ت ؟) (15)
- كشف أسرار الحروف و وصف معاني الظروف لمؤلف مجهول (16)

-
- (1) ذكر في وفيات الأعيان 9/4 و إنباء الرواة 86/3 .
 - (2) نشر بتحقيق عبد المعين الملوحي [نمىق 1971] .
 - (3) ذكر في إنباء الرواة 122/1 .
 - (4) نشر بتحقيق د/ رمضان عبد النواب ضمن ثلاثة كتب في الحروف (القاهرة 1982) .
 - (5) ذكر في كشف الظنون 1641/2 .
 - (6) ذكر في كشف الظنون 1561/2 .
 - (7) نشر بتحقيق أحمد محمد الخراط (نمىق 1975)، و سياتي ^{المصدر} عن هذا الكتاب في مبحث من مناهج دراسة حروف المعاني قبل بن هشام 72 .
 - (8) نشر لأول مرة بتحقيق فخر الدين قبارة (حلب 1973) ثم نشر بتحقيق طه محسن (بغداد 1976) .
 - (9) ذكر في كشف الظنون 1729/2 .
 - (10) لم أهد إلى تاريخ وفاته في كتب الطبقات و التراجم .
 - (11) ذكر في بغية الوعاة 77/2، و كشف الظنون 1725/1، و قد حققه أحمد محمد الخراط في رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة نمىق 1973 .
 - (12) لم أهد إلى ترجمة له .
 - (13) نشر بتحقيق د/ محمود حسني محمود و محمد حسن عواد (عكا 1983) .
 - (14) لم أهد إلى تاريخ وفاته .
 - (15) ذكر في كشف الظنون 1561/2 .
 - (16) ذكر في كشف الظنون 1485/2 .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) (1)

ب رسائل متخصصة بحرف واحد

- اللامات للأخفش الأوسط (ت 210هـ) (2)

- اللامات لأبي زيد الأنصاري (ت 215هـ) (3)

- الألف واللام لأبي عثمان المازني (ت 249هـ) (4)

- اللامات لابن كيسان (ت 299هـ) (5)

- الألفات لأبي بكر الأتباري (ت 328هـ) (6)

- الهاءات في كتاب الله عز وجل لأبي بكر الأتباري (ت 328هـ) (7)

- اللامات لأبي بكر الأتباري (ت 328هـ) (8)

- اللامات لأبي القاسم الزجاجي (ت 339هـ) (9)

- الألفات لابن خالويه (ت 370هـ) (10)

- اللامات لأحمد بن فارس (ت 395هـ) (11)

(1) و هذا الكتاب أدرجته في قائمة الكتب المتخصصة بدراسة الحروف، اعتمادا على مئليتي لما جاء في بليته الأول، إذ استقصى فيه ابن هشام كل حروف المعاني وما شليها من مفردات أخرى لفسرها بلسانها و هذا ما سألرود له الحديث في الفصول اللاحقة.

و قد نشر مغني اللبيب لأول مرة بمراجعة وتعليق محي الدين عبد الحميد (د.ت) ثم نشر بتحقيق مازن المبارك، و محمد علي حمد الله (نمشق 1964).

(2) ذكرت في فهرست 172.

(3) ذكرت في فهرست 248.

(4) ذكرت في فهرست 258.

(5) ذكرت في فهرست 370.

(6) ذكرت في فهرست 339، و قد شرحها، و نُشر الشرح بتحقيق الكريم معصومي في مجلة المجمع اللغوي بنمش مجلد 1959/34

(7) ذكرت في فهرست 339.

(8) ذكرت في فهرست 172.

(9) نشرت بتحقيق مازن المبارك (نمشق 1969).

(10) ذكرت في فهرست 384، و نشرت بتحقيق د/ علي حسين الباب في مجلة المورد المجلد 11

ع/1-2 (بغداد 1982).

(11) نشرها لأول مرة للمستشرق برجسترير في مجلة Islamica المجلد 1 (77،99) ذكر ذلك في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 267/2 و نشرت بتحقيق د/ شاهر القحطام مجمع اللغة العربية المجلد 48 (نمشق 1973).

اللامات لعلي بن محمد الهروي (ت 415هـ) (1)

اللامات لنود أبي طيبة (ت ؟) (2)

اللامات لمحمد بن سعيد (ت ؟) (3)

و نصل إلى القول بأن عند المصنفات التي اختصت بدراسة الحروف لا يتوقف عند حدود هذه القائمة، إذ هناك تأليف أخرى لم يوقف عليها و قد أثبتتها كتب التراجم نذكر من تلك كتاب الحروف المنسوب للنضر بن شميل (4) كما أن هناك تأليف أخرى تجاوزت وضعها في القائمة لبعدها مضمونها عن الحديث عن الحرف كقسم ثالث من أقسام الكلمة العربية. و أذكر من تلك رسالة الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي (5) وكذلك رسالة الحروف لأبي يوسف يعقوب بن السكيت (ت 244هـ) (6)

2- الكتب التي اشتملت على دراسة لحروف المعاني:

لم تكن العناية بدراسة الحرف و البحث فيه مقصورة على التأليف التي خصصت له، فاستقلت مباحثها به، إذ نجد هناك رصيذا حرفيا آخر موزعا على مصنفات متنوعة، و قد عُد ما بث في بعضها أصولا لمباحث المتأخرين المستفيضة من تلك المصنفات نذكر منها :

أ- كتب اللغة مثل:

- أدب الكاتب لابن قتيبة (ت 276هـ) الذي اشتمل على أبواب تحدث فيها عن الحروف و عوارضها نحو بلب حروف توصل بـ "ما" و بـ "إذ" و غير ذلك؛ بلب دخول الصفات مكان بعض.
- الخصائص لابن جني (ت 392هـ) الذي اشتمل على أبواب تحدث فيها عن الحروف و عوارضها نحو: بلب زيادة الحروف و حذفها، بلب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض.
- الصحابي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها لابن فارس (ت 395هـ) الذي اشتمل على مباحث مسبية في الحروف نحو بلب الكلام في حروف المعاني، بلب الحروف.
- فقه اللغة و أسرار العربية (7) للثعالبي (ت 429هـ) الذي اشتمل على فصول تحدث فيها عن أحرف

(1) نشرت بتحقيق يحيى علوان البغدادي (الكويت 1981).

(2) ذكرت في الفهرست 172 من غير إثبات تاريخ وفاة صاحبها .

(3) ذكرت أيضا في الفهرست 172 من غير إثبات تاريخ وفاة صاحبها .

(4) الحروف لمجهول يقال إنه النضر بن شميل (ت 203هـ) نشر في آخر كتاب البلغة في شذور (بيروت 1908)

(5) نشرت بتحقيق د. رمضان عبد التواب ضمن ثلاثة كتب في الحروف (القاهرة 1982) وهي غير الرسالة التي ذكرت سابقا في أول القائمة للخليل، و هذا يبدو من خلال الاختلاف الواضح في اسمي الرسالتين.

(6) نشرت بتحقيق د/ رمضان عبد التواب ضمن ثلاثة كتب في الحروف (القاهرة 1982).

(7) سئلني الحديث عن هذا الكتاب في ميحت من مناهج دراسة حروف المعاني قبل أن هشام 85.

بحو: فصل مجمل في الزوائد و الصلات التي هي من سنن العرب، و فصل في الألفات، و فصل في الباءات،
و فصل في التاءات... و فصل مجمل في وقوع حروف المعنى مواقع بعض.

ب - المعاجم

- الصحاح للجوهري (ت 393هـ) الذي اشتمل الجزء الأخير منه على مبحث مفصل في حروف المعاني.
- المختصر لابن سيده (ت 458هـ) و قد اشتمل الجزء الأخير منه على مبحث مفصل في حروف المعاني.
- لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) و اشتمل أيضا الجزء الأخير منه على مبحث مفصل في حروف المعاني.

ج- كتب النحو مثل :

- الكتب لسبويه (ت 180هـ)
- المقتضب للمبرد (ت 285هـ)
- الأصول في النحو لابن السراج (ت 316هـ)
- لجمل في النحو للزجاجي (ت 337هـ)
- المفصل في علم العربية للزمخشري (ت 568هـ)
- شرح المفصل (1) لابن يعيش (ت 643هـ)
- تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد لابن مالك (ت 672هـ)
- الأشباه و النظائر في النحو للسيوطي (ت 911هـ)
- د - كتب الموسوعات الأدبية مثل :
- الكامل للمبرد (ت 285هـ)
- الإمتاع و الموانسة لأبي حيان التوحيدي (ت 414هـ)
- هـ- كتب الدراسات القرآنية مثل :
- معاني القرآن للفراء (ت 207هـ)
- معاني القرآن للأخفش (ت 215هـ)
- إعراب القرآن للنحاس (ت 338هـ)
- البيان في إعراب القرآن للعكبري (ت 616هـ)
- البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت 794هـ)
- الإقناع في علوم القرآن للسيوطي (ت 911هـ)

(1) سيأتي الحديث عن هذا الكتاب في مبحث من مناهج دراسة حروف المعاني قبل ابن هشام 94.

و - كتب التفسير مثل:

الكشاف للزمخشري (ت 568هـ)

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت 671هـ)

- البحر للمحيط لأبي حيان الأنلسي (ت 745هـ)

ز - كتب أصول الفقه مثل:

المحصول في علم أصول الفقه لفخر الدين قراري (ت 606هـ)

- الإحكام في أصول الأحكام لأبي علي بن محمد الأمدي (ت 631هـ)

- الإبهاج في شرح المنهاج لعلي بن عبد الكافي السبكي (ت 756هـ) و لولده تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت 771هـ).

و على الرغم من هذه للتأليف الكثيرة عن الحروف، فإننا قد تخرج منها بحصيلة مكررة و معادة، لم تعط للحرف حقه الكامل من الشرح و التحليل. لأن ما قُتِمَ عن الحرف فيها كان معظمه عروضاً مسهبة أو مختصرة، مبثوثة في الكتب و تاليفاتها، أو نقولاً اختلفت مناهج جمعها و مقاصدها. و مهما يكن من قصور في التحليل و المنهج، فهذا الغرض من الفيض يؤكد العناية التي أولاهها علماء العربية، على اختلاف مناهج دراستهم لهذه الحروف نتيجة شعورهم بأهميتها في الاستخدام اللغوي.

المبحث الثاني

من مناهج دراسة حروف المعاني قبل ابن هشام

1- حروف المعاني للزجاجي

2- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي

3- فقه اللغة و أسرار العربية للثعالبي

4- شرح المفصل لابن يعيش

إن دراسة مناهج كتب حروف المعاني قبل ابن هشام، ليست دافعا لحصر المعلومات، وجمعها في إطار الموضوع الواحد، وإنما هي دراسة نستعين بها للوقوف على نفرد منهج ابن هشام و تميزه في مصنفه معاني اللبيب عن كتب الأعراب عن مناهج الكتب الأخرى التي سبقتها، سواء أكانت متخصصة أم غير متخصصة في عرض مادتها. و من خلال تحديد مناهج تلك الكتب يمكن للدارس أن يكشف عن التفاوت النسبي فيما بينها، و عن قصورها في العرض أمام ما جاء به ابن هشام في كتابه المعاني، الذي يعد من أحسن ما ألف في موضوع الحروف⁽¹⁾، و ما شاكلها من حيث المنهج و المادة و التوثيق.

لقد تعددت الضوابط المنهجية في تلك المباحث الحرفية، و تباينت مادتها و مصادر توثيقها باختلاف للزمن، و الدافع إلى التأليف و إذا رحنا ننقضي قائمة كتب حروف المعاني و أشهر ما حفظته لنا المكتبة اللغوية، فإننا نجد من بين تلك القائمة للطويلة كتباً مختلفة المراحل، متنوعة للمادة، من حيث تبين عناوينها و مسمياتها. و لا شك أن أول كتاب متخصص قدر له للوصول إلينا، هو كتاب حروف - اللساني تيزجاني، و هناك كتاب آخر يشبه الأول في اختصاره و تركيزه، و يختلف عنه في تنظيم مادته، و منهج عرضه، و هو معاني الحروف⁽²⁾ للرماني، و قد كان هذان الكتابان و غيرهما من الكتب الأخرى، بمرتبة الحافظ الذي جعل المتأخرين يعطون للحرف عناية كبرى بتفصيل مستفيض و شرح واف، كما نجد ذلك واضحا في كتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي.

و لم تكن العناية بالحرف مقصورة على الكتب المتخصصة، إذ هناك من لخصف الحرف في مباحث مبثوثة في تضاعيف كتبه، و رأى أن الغاية من هذه المصنفات لا تتحقق إلا بإفراد مبحث للحروف، و وجوه استعمالها، و ما يعرض لها من دلالات مختلفة.

و من أشهر هذه المصنفات الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس⁽³⁾، و من بعده كتاب فقه اللغة و أسرار العربية للثعالبي. و إذا كان هذان الكتابان متميزين بوقوفهما على ضوابط الحروف عند حدودها اللغوية التفسيرية، فإن هناك كتباً أخرى صنفت الحرف تحويلاً و لغوياً، و لم تعزله عن وظيفته الحقيقية، نجد ذلك مثلاً - في شرح المفصل لابن يعيش. و هذه الكتب غير المستقلة في مباحثها الحرفية كانت هي الأخرى تحنكم إلى مناهج متباينة و مختلفة شكلاً و موضوعاً في عرضها للمادة.

و بالإضافة إلى هذه الجهود فهناك كم كبير من الملاحظات، و الإشارات الحرفية متفرقة في تضاعيف كتب أخرى لا غنى للباحث عنها، نحو ما نجده في كتاب معاني القرآن للقراء، و الخصائص لابن جني، كما نجد

(1) انظر مقدمة المحقق علي توفيق الحمد لكتاب حروف المعاني للزجاجي 39.

(2) تم توزيع مادة كتاب معاني الحروف للرماني ضمن ترتيب بنيوي للحروف في مجموعة متتابعة، هي الحروف الأحادية ثم الحروف الثنائية، ثم الحروف الثلاثية، و بعدها الحروف الرباعية و في الأخير الحروف الخمسية.

(3) عرض ابن فارس في كتابه الصاحبى في فقه اللغة مبحثين في حروف المعاني، ركز في المبحث الأول على تناول الحروف الأحادية فقط مرتبة ترتيباً ألفبائياً، أما المبحث الثاني فقد ركز فيه على تناول حروف المعاني غير الأحادية، مرتبة ترتيباً ألفبائياً.

نوعاً آخر من الدراسات خُصَّ به الحرف الواحد دون غيره من الحروف الأخرى كـ اللامات للهروي، و اللامات للزجاجي... و غير هذا كثير مما ألفينا عليه الضوء في قائمة الحروف في تراث العربية (١)، و التي سنعرض لأهمها محتكمين في اختيارها إلى اختلاف مراحل تأليفها و تبين مناهجها لنخلص إلى وضع آيينا - فيما سيأتي - على تميز و تفرد ابن هشام في عرضه لحروف المعاني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(١) انظر قائمة الحروف في تراث العربية التي ورد ذكرها في المبحث الأول من هذا الفصل 54-59.

١ حروف المعاني للزجاجي*:

١ أولية كتاب حروف المعاني

لقد وجدت قبل الزجاجي كتب ألفها أصحابها باسم الحروف، و كانت مادتها لغوية عامة، مثل الحروف للخليل وأحمد الفراهيدي، و الحروف المنسوب للنضر بن شميل، و الحروف لابن السكيت، كما وجدت مصنفات أخرى لم تصل إلينا، و لم نستطع الحكم على موضوع مادتها، ك الحروف للكسائي، و الحروف للمبرد. (١)

و على الرغم من أسبقية هذه التأليف لكتاب الزجاجي، فإنه يمكننا القول إن كتابه حروف المعاني يعد أقدم كتاب قدر له أن يصل إلينا، مفرداً دراسة مستقلة عن هذا الموضوع. و قد ذهب إلى هذا الرأي محقق الكتاب على توفيق الحمد، الذي قال باحتمال كونه أول مصنف مستقل في الأنوات و حروف المعاني. (٢)

و إذا راجعنا مقدمة المؤلف التي يقول فيها: * أما بعد حفظك الله و هدانا و إليك للسداد و وفقاً و إليك فيما نحاول ديناً و دنياً للرشاد، فإنك سألتني أن أصنع لك كتاباً أشرح فيه جميع معاني الحروف، و على كم وجه يتصرف الحرف منها، فأجبتك إليه و أحسنت عوناً عليه... (٣)، فإننا لا نعثر على ما يشير إلى أسبقية المؤلف في مثل هذا العرض، و لكننا بمعرفة الدافع إلى تأليف هذا الكتاب يمكننا أن نذهب إلى أمرين:

١ - القول بأن السائل لو وجد ضالته في كتب السابقين لما لجأ إلى سؤال الزجاجي بإخراج مصنفه هذا، حتى يملأ به الفراغ الموجود في الدرس اللغوي في موضوع حروف المعاني.

٢ - قد يكون ما ألف قبل الزجاجي في الحروف غير واف للغرض و الفائدة، من حيث الإلمام للمركز و اقتناص المفيد، و سهولة المأخذ، و الإيجاز المستحب مما دفع بالسائل إلى البحث عما يكفيه طلبه في مصنف آخر يلبي رغبته اللغوية.

ب- مصادر الكتاب

إن الدارس لمادة الكتاب يقف على استقلالية الزجاجي في كتابه كمصدر رائد في بابها، لأنه قليل ما يشير إلى اسم تحوي لو لغوي، و ربما وجد في الإكثار من ذكره لأراء الآخرين ما يدعو إلى شروح مستفيضة لا تتلاءم و منهجه في الاختصار و التركيز. فتجاوز بذلك عرض للخلافات و التحليلات، فكانت المادة في معظمها شروحات مختصرة لا تستند إلى توثيق مصدري إذ يقول -مثلاً- في موضع حديثه عن نعم هي:

"عدةٌ و تصديقٌ، و هي تقع جواباً للسؤال الموجود كقولك أخرج زيد؟ فيقال: نعم و لا تقع جواباً للنفي، كما أن بلى لا تقع جواباً للواجب". (٤)

* أبو القاسم عبد الرحمن أبي إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ أو ٣٣٩ هـ) نظر ترجمته في مطبقات التعويين و اللغويين للربيعي ١٢٩، و نزعة الألباء لابن الأثيري ٣٦٠، و إنباء الرواة ١٦٠/٢ و بنية الرعاة ١٦٠/٢ و كشف الظنون ١٥٣٥/٢.

و قد اعتمدت على طبعة حروف المعاني بتحقيق علي توفيق الحمد (بيروت ١٩٨٤)

(١) نظر قائمة الحروف في تراث العربية في المبحث الأول من هذا الفصل ٥٤.

(٢) مقدمة محقق حروف المعاني ١٩.

(٣) حروف المعاني ١.

(٤) المصدر نفسه ٦.

و هو حينما يستعين بآراء غيره فمن أجل إلقاء الضوء على خلاصاته، و قد كان نصيب علماء اللغة ممن استعان بهم- كبيرا إذا ما قورن بنصيب علماء النحو في الكتاب، فمن علماء اللغة الذين استند إلى آرائهم الخليل (1) و أبي عبيدة (2)، و الأصمعي (3) و ابن الأعرابي (4) و أبي عمرو بن العلاء (5)... و من علماء النحو سيبويه (6)، و الكسائي (7) و الفراء (8).

و هو لا يقتصر في شرحه اللغوي على قول واحد، بل يتعداه إلى ما قيل من آراء أخرى، فيجمع بين رأي نحوي كسبويه، و رأي لغوي كالأصمعي فيقول في موضع حديثه عن ويل: قال سيبويه هي كلمة، يقال لكل من وقع في ملكة، و في التفسير الويل واد في جهنم. قال الأصمعي: تقول العرب له للويل و الأويل، فالأويل هو الأئين. (9)

فهو يحتاج إلى آراء غيره لتقوية و تعميق خلاصاته و شروحه المختصرة، ففي موضع حديثه عن قد يورد رأيا للخليل على النحو التالي: قد: معناه للتأكيد، و قيل: للتقريب إذا دخل على الماضي، و معناه لتحقيق مع المضارع (10)، قال الخليل: هي لقوم يتوقعون أمرا، فيقول لهم، قد كان ذلك. (11)

ج - منهجه العام

لم ينهج للزجاجي في كتابه حروف المعاني ترتيبا معينا في أثناء عرض المادة بحيث جاءت متداخلة، لم يسلك فيها ترتيبا ألفبائيا، و لا ترتيبا بنويا عدديا، كالحروف الأحادية ثم الثنائية ثم الثلاثية، و لا حصرا نوعيا يصنف بالدخول على الأسماء أو الأفعال أو الاشتراك بينهما... و لا عرضا وظيفيا كحروف العطف، و حروف الجزم، و حروف الجز... و ما نقوله عن منهجه: إنه توخى في مصنفه جمع عدد من المفردات جمعا كيفما اتفق، فبعد الحرف قد يأتي الظرف، و بعد الظرف يأتي الاسم أو الفعل، و بعد الفعل قد تأتي العبارة مما سيتضح أكثر من خلال الجدول الذي سيأتي عرضه بعد حين.

لم يراع للزجاجي من خلال عرضه، و جمعه للمفردات أن يتبع ترتيبا ألفبائيا معجميا، و مما جاء من ترتيبه

(1) انظر حروف المعاني 13، 20، 68، 74 .

(2) انظر . المصدر نفسه، 54 .

(3) انظر المصدر نفسه، 17 .

(4) انظر المصدر نفسه، 70 .

(5) انظر المصدر نفسه، 55 .

(6) انظر المصدر نفسه، 3، 18، 20، 69، 77، 78 .

(7) انظر المصدر نفسه، 67، 68، 76، 77 .

(8) انظر المصدر نفسه، 71، 72، 73، 74 .

(9) المصدر نفسه، 17 .

(10) المشهور إلفتها للرفع مع المضارع، أما إلفتها للتحقيق ليسا قال به الزجاجي، و قد وضع ذلك ابن هشام في المضي 231 .

انظر مقدمة المحقق لكتاب حروف المعاني 33 .

(11) حروف المعاني 13 .

للافاظ و المفردات: عند، كل، هل، مثل، قبل، نولك، لو، لولا، ليت، قبل، بعد، سوف و هكذا... (1)
و مع هذا يمكن أن نجد عنده بعض الأمور المنهجية على نفضها كجمعه في مواضع متتالية بين بعض
الأفعال الجامدة: نعم، بنس، حبذا. (2)

و بين بعض أسماء الأفعال: صه، مه، حيّهل، هلم. (3)
و بين بعض المصادر غير المنصرفة: لبيك و سعديك، معاذ الله... (4)
و بين بعض الأسماء: تحت و فوق، خلف و أمام. (5)
و بين بعض الأفعال: كان، أمسى، أصبح و أضحى، ما تفك و ما فتى و ما برح. (6)
و بين بعض الحروف: منذ و مذ (7)، لوما و آ و هلا (8)، عن مكان الباء، اللام مكان على، على بمعنى
إلى، اللام مكان إلى... (9)

و بين بعض العبارات: التحيت لله، غفرتك لا كفراتك. (10)
و قد تعين منهج الجمع بين بعض مفردات الكتاب بخاصة في آخره بحيث خصصه لتتالوب مجموعة من
حروف الجر في الوظيفة، و لم يلتزم الزجاجي في هذا العرض بمنهج النجاشي أو بنيوي، و إن كانت الوظيفة
لواحدة قد جمعت بين هذه الحروف فإن المؤلف قد تجاوز حروفا تؤدي هذه الوظيفة، كما تجاوز مواضع
أخرى للتتالوب، و هذه الأمور جميعها تتضح من خلال الجدول الآتي ذكره. (11)

د بحثه للحروف و أسلوب عرضه لها

إن الزجاجي في كتابه حروف المعاني لا يشير إلى عمل الحرف أو وظيفته إلا نادرا فهو يركز على بيان
دلالة اللغوية كقوله في موضع ذكره لعل: "... لها ثلاثة أوجه، تكون شكا، و إيجابا، و استفهاما..." (12)
و إذا كانت المفردة تستدعي تنوعا جنسيا في إمكان توظيفها فإنه يوضح ذلك -مثلا- أثناء حديثه عن على.
"... لها ثلاثة مواضع، تكون أسماء، و فعلا، و حرفا.

(1) انظر حروف المعاني 1-87 .

(2) انظر المصدر نفسه 16 .

(3) انظر المصدر نفسه 16 .

(4) انظر المصدر نفسه 16، 17 .

(5) انظر المصدر نفسه 26، 27 .

(6) انظر المصدر نفسه 6، 7 .

(7) انظر المصدر نفسه 14 .

(8) انظر المصدر نفسه 5 .

(9) انظر المصدر نفسه 74، 75، 76 .

(10) انظر المصدر نفسه 22 .

(11) انظر الجدول الآتي 61-94 .

(12) حروف المعاني 30 .

فالفعل في قولك: علا فلان على فلان، و الحرف قولك: على زيد مال و الاسم قولك: جنت من عليه بمعنى من فوقه... (1)³

و يستمر الزجاجي بعدها في عرض دلالات و استعمال الحرف فيقول:
"... و تجيء في مكان من... و تقع بمعنى عند... (2)³

و قد يمثل للفروق في الاستعمال الوظيفي للمفردة من خلال التنوع في الرسم الإملائي فيقول عند ذكره و شرحه لـ سوي

"... فإذا كانت مصدراً كانت ممدودة.

و إذا كانت اسماً مدت و قصرت.

و إذا كانت ظرفاً كانت بمنزلة وسط... (3)³

و قد يستدعي ذكره للدلالة المعجمية للحرف أن لا يفصل المفردة عن التركيب الكلي للجملة ولئلا يستعملها، فيقول في موضع حديثه عن لكن:

"... استترك بعد الجحد، كقولك: ما خرج زيد لكن عمرو، و لا يغني في الواجب، لو قلت خرج زيد لكن عمرو، و لم يصح إلا أن تأتي بعدها بكلام تام و كذلك لكن المشددة إلا أنها تنصب و ترفع الخبر. (4)³

هـ- التوثيق اللغوي

لقد اعتمد الزجاجي، في توثيق معاني الحروف، و ما عرضه من آراء فيها، على مصادر التوثيق المعروفة كالشاهد القرآني أو كلام العرب شعراً كان أو نثراً.

و لما كانت مادة الكتاب مختصرة و مركزة فإن شواهد توثيقها كانت نماذج و قطوفاً مختارة لثري بها الزجاجي شرحه لمعاني الحروف التي أوردتها، على نحو قوله:

"في معناه الوعاء، الظرفية، و قد تأتي مكان على كقوله تعالى: .
و لَأَصْلَبُ بَنَكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ (5). أي على و قال الشاعر:

هُمْ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جُدْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَظَمَتَ شَيْبَانٍ إِلَّا بِأَجْدَعَا (6) (7)³

(1) حروف المعاني 23 .

(2) المصدر نفسه 23 .

(3) المصدر نفسه 24 .

(4) المصدر نفسه 15، 16 .

(5) طه 71 .

(6) من [الطويل] و هو لسويد بن أبي كاهل، أو لفراد بن حنش أو لامرأة من العرب. انظر شرح شواهد المعاني 497/1 و شرح

أبيات المعاني للبغدادي 4/64، 65 .

(7) حروف المعاني 12 .

و على الرغم من الاختصار الذي سلكه الزجاجي فإن هذا الأمر لم يمنعه من تتبع موضع الاحتجاج أينما وجده لتوثيق معاني الحروف، فثبت معنى الحرف بكل مصادر التوثيق المعروفة، من القرآن الكريم، و كلام العرب شعرا و نثرا من ذلك قوله:

«و نفع إلى مكان مع. قال الله تعالى ﴿و لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ (1) أي مع أموالكم و قوله تعالى ﴿مَنْ قَضَىٰ إِلَى اللَّهِ﴾ (2) أي مع الله. و تقول العرب: الذود إلى الذود (3) أي مع الذود... (4)»

و هو لا يناقش الشواهد، و لا يلجأ إلى تحليلها، و توليد للمسائل اللغوية منها وإنما يكتفي بالشرح و التمثيل لمعنى الحرف إذا حضرته الشواهد و قد يكتفي بذكر معنى الحرف، و غر استعماله دون الاستعانة بمصدر من مصادر التوثيق، على نحو قوله:

«رُبَّ: للمشيء يقع قليلا، و لا يقع بعدها إلا منكرا و لا يقع إلا في صدر الكلام» (5) و قوله أيضا:

«الفاء: تكون عاطفة تدل على أن الثاني بعد الأول و لا مهلة، و تكون جوابا للجزاء، فيكون منقطعا مما قبله في الإعراب.» (6)

و الملاحظ أن المادة الشعرية للتوثيق في الكتاب كانت مقيدة بمراحل صلاحيتها للتوثيق اللغوي، إذ لم يخرج الزجاجي عن العرف السائد في الاحتجاج بالشعر، فتوَّع في شواهد الشعرية في إطار الحد المسموح به في الاستشهاد، فلم تخل مادته من شعر الجاهليين كأمراء القيس (7) و الأعشى (8) و عنتره (9)... و شعر الإسلاميين كجرير (10)، و الكميت (11) و قيس بن الخطيم (12)...

و يبدو أن الزجاجي كان صارما، في سلك خط سابقه من حيث توظيفهم لمصادر التوثيق و تعاملهم معها، إذ أنه إلى جانب القرآن الكريم و الشعر فقد دعم مادته أيضا بما شاع في العرف اللغوي العربي من كلام منثور في نحو العبارات البسيطة و بعض الأمثال و الأقوال المأثورة و لم يكن للحديث النبوي الشريف مكان في مساحة مصادر التوثيق التي اعتمد عليها الزجاجي في كتابه.

(1) النساء 2 .

(2) آل عمران 52 .

(3) أي إن القليل مع القليل كثير، و هو في مجمع الأمثال للميداني 288/1 .

(4) حروف المعاني 65 .

(5) المصدر نفسه 14 .

(6) المصدر نفسه 39 .

(7) انظر المصدر نفسه 82، 77، 74، 51، 10 .

(8) انظر المصدر نفسه 28، 24 .

(9) انظر المصدر نفسه 48 .

(10) انظر المصدر نفسه 19 .

(11) انظر المصدر نفسه 61 .

(12) انظر المصدر نفسه 79، 63 .

و - مأخذ على الكتاب

في المنهج العام

إن خطبة الكتاب خلت من توضيح لمنهجه العام، ذلك لأن المؤلف كان مهتما بإجابة السؤال إلى طلبه من غير تحديد منهج لتلك الإحالة و لذلك لم تكن مادة الكتاب مرتبة في عرضها لشكلي و الموضوعي، فقد وردت متداخلة غير خاضعة لمنهج معين، و نظرا للاختصار الذي غلب عليها فإننا لم نلمس غياب المنهج العام إلا عند تتبع المقررات تتبعاً دقيقاً...

في العرض

عنوان الكتاب حروف المعاني لم يكن مطابقاً لمادته، إذ أن مادته لم تقتصر على الحروف فقط، بل تناولت مجموعة من الظروف و الأسماء و الأفعال و حتى بعض الجمل، مما يكثر دورته على الألسن؛ فالظروف نحو: عند و حيث و دون... و الأسماء نحو: مثل، غير، سوى... و الأفعال نحو: كان، أمسى، أضحي... و الجمل أو العبارات نحو: التحيت لله، لا جرم. (1)

و نظراً للإيجاز الذي تميز به شرحه فإن الزجاجي أغفل ذكر بعض الحروف، و لم يشر إليها فجاءت مادته في عمومها غير وافية و مستقصية لجميع الحروف، إذ لا نعتز في كتابه على بعض أحرف الجواب نحو أجل و أي... و بعض حروف الجر نحو باء القسم، و ناء القسم، و حاشا و خلا و حرف السين الذي يدخل على الفعل المضارع... و غير هذه الحروف كثير مما تجاوز شرحه الزجاجي في كتابه حروف المعاني. و على الرغم من توخي المؤلف للإيجاز، فإنه لم يلتزم به التزاماً موضوعياً دقيقاً، إذ نراه يكرر ذكر بعض المفردات في أكثر من موضع ففرق في ذلك بين أجزاء مبحث الحرف الواحد على نحو ما نجده في شرحه إلى الموزع على أربعة مواضع. (2)

و في شرحه لـ الهاء الموزع على ثلاثة مواضع (3)

وفي شرحه لـ أو الموزع على موضعين (4)

وفي شرحه لـ إن الموزع على موضعين. (5)

- في الشرح

لم يناقش الزجاجي كثيراً مادة الكتاب، و قد يحدث أن يعرض لبعض الخلافات بين اللغويين، فيتركها بلا تعقيب أو تحليل، فيتولى أمر نقلها و تقديمها على هذا النحو أثناء حديثه عن هلم: "... قال الخليل أصلها لم

(1) انظر الجدول الذي سيأتي ذكره بعد قليل .

(2) انظر حروف شمعني 84، 83، 82، 12 .

(3) انظر المصدر نفسه 87، 86، 47 .

(4) انظر المصدر نفسه 50، 13 .

(5) انظر المصدر نفسه 56، 30 .

ثم زينت الهاء في أولها، و خالفه الفراء فعال أصلها هل ضُم إليها أم... (1)
و الملاحظ أنه في أثناء التفسير المعجمي للمفردة، لا يراعي للترتيب الأصلي في تقسيم للكلمة إلى اسم ثم فعل
ثم حرف، إذ جعل شرحه لـ على كحرف متوسطا بين الفعل و الاسم. (2)

- في التوثيق

تخلّى عن توثيق كثير من معاني المفردات و الحروف التي لوردها، فاكتمى بالتحديد الهنيوي أو الجنسي
للكلمة دون حاجة منه إلى شاهد يحتج به على ذلك، ففي موضع حديثه عن مذ و منذ يقول:
" أما منذ فحرف خالف لما بعده، دال على زمان .
و هذا اسم يدل على زمان، يرفع ما بهني، و يخفض ما أنت فيه. (3)
و يوضع حديثه عن سوى يقول: " لها أربعة مواضع تكون اسما و ظرفا، و تحقيقا، و مصدرا. (4)
ز - جدول المفردات كما وردت في أصل الكتاب (5)

المفردة	نوعها (6)	المفردة	نوعها	المفردة	نوعها
عند	ظرف	نعم	حرف	غير	اسم
كل	اسم	إذن	حرف	سوى	اسم
هل	حرف	كلن	فعل	سواء	اسم
مثل	اسم	لمسى	فعل	متواء	ظرف
يُقبل	ظرف	أضعى	فعل	بني	اسم فعل
نولك	اسم فعل	ظل	فعل	لما	حرف
لو	حرف	بلى	فعل	الآ	حرف
لولا	حرف	ما تفك	فعل	لما	حرف
لوما	حرف	ما فتى	فعل	كلا	حرف
إلا	حرف	ما برح	فعل	ليان	ظرف
هلا	حرف	إلا	حرف	لولىك	اسم فعل

- (1) حروف المعاني 74 .
- (2) المصدر نفسه 23 .
- (3) المصدر نفسه 14 .
- (4) المصدر نفسه 23 .
- (5) و الفائدة من إيراد هذا الجدول، هي الكشف الخارجي عن غياب المنهج الترتيبي الفائق لحروف المعاني، مع اعتماد التناول
و الاستقصاء في عرضها لورودها متلفعة و متكررة في مواضع كثيرة.
- (6) تحديد نوع المفردة المختلص من شروح الزجاجي في ثلث كتابه حروف المعاني.

تابع للجدول السابق ز

المفردة	نوعها	المفردة	نوعها	المفردة	نوعها
أَيْت	حرف	لَنْ	حرف	فِي	حرف
قَبْلُ	ظرف	لَمْ	حرف	لَوْ	حرف
يَعْنِي	ظرف	لَيْسَ	فعل	قَدْ	حرف
سَوْفَ	حرف	لَا	حرف	حَسَبَ	اسم
حَيْثُ	ظرف	ثُمَّ	ظرف	رُبَّ	حرف
بَلَى	حرف	رَوَيْدًا	اسم فعل	مِنْذَر	حرف
مَنْذَر	اسم	أَلْفَ الْإِسْتِفْهَامِ (١)	حرف	لَا	حرف
بَلْ	حرف	مَهْمَا	اسم	كُلُّ	حرف
لَكِنْ	حرف	وَسَطَ	ظرف	لَكِنْ	حرف
ثُمَّ	حرف	شَبِيهَ	اسم	لَيْنَ	ظرف
يَعْنِي	فعل	شَبِيهَ	اسم	كَمَا	حرف
بِنَسَبِ	فعل	تَعَالَى	اسم فعل	كَيْفَ	اسم
حَبْذَا	فعل	حَتَّىٰ تَكُونَ	مصدر سماعي	قَطَّ	ظرف
صَهْ	اسم فعل	التَّحْيَاتُ لِلَّهِ	عجالة	الْوَلَوُ	حرف
مَهْ	اسم فعل	غُفْرَتِكَ لَا كُفْرَتِكَ	عجالة	الْقَاءَ	حرف
لِيَبْكُ	مصدر سماعي	دُونَ	ظرف	الْكَافَ	حرف
سَعْدِيكَ	مصدر سماعي	أَعْلَى	ظرف	الْقَامَ	حرف
مَعَادُ اللَّهِ	مصدر سماعي	أَسْفَلَ	ظرف	الْقَاءَ	حرف و ضمير
وَيْلٌ	اسم	عَلَى	اسم و فعل و حرف	الْبَاءَ	حرف
وَيْحٌ	اسم فعل	سِوَى	اسم	أَمْ	حرف
وَيْسَرٌ	اسم فعل	لَدَى	ظرف	مِنْ	حرف
وَيْبٌ	اسم فعل	لَنْ	ظرف	لَوْ	حرف
وَيْلُهُ وَ عَوْلُهُ	اسم فعل	تَحْتَ	ظرف	مَا	حرف
سُبْحَانَ اللَّهِ	مصدر سماعي	فَوْقَ	ظرف	مَنْ	اسم
تَبَا لَهُ	مصدر	خَلْفَ	ظرف	بَيْنَ	حرف
صَدَدُكَ	اسم فعل	أَمَامَ	ظرف	أَنْ	حرف

(١) وردت هكذا في أصل الكتاب باصطلاح الألف و ليس الهمزة، انظر حروف المعاني ١٩.

تأيم للجدول السابق ز

المفردة	نوعها	المفردة	نوعها	المفردة	نوعها
قر لبتك	ظرف	بين	ظرف	لن	حرف
حيث	اسم فعل	كأن	حرف	كيف	اسم
هلم	اسم فعل	لعل	حرف	متى	ظرف
يا	حرف	لن	حرف	كم	اسم
كأين	اسم	غير	اسم		
لنى	اسم	لعمرك	عجاءة		
أنى	اسم	كاد	فعل		
إن	ظرف	ويكأن	اسم فعل		
إذا	ظرف	لأن	حرف		
إما	حرف	الآن	ظرف		
لما	حرف	لأجرم	عجاءة		
حتى	حرف	ها	اسم فعل		
على	حرف	هات	اسم فعل		
إلى	حرف	هلم	اسم فعل		

جدول تناوب الحروف (1) كما وردت في أصل الكتاب بعد عرض المفردات السابقة

عن مكان الباء	عن بمعنى اللام	اللام بمعنى عند
اللام مكان على	عن بمعنى على	اللام بمعنى مع
على بمعنى إلى	من بمعنى على	اللام بمعنى بعد
اللام مكان إلى	في بمعنى من	اللام بمعنى من أجل
من مكان الباء	في بمعنى الباء	الباء بمعنى عند
من كان في	في بمعنى نحو	الباء بمعنى في
إلى مكان في	في بمعنى الباء	الباء بمعنى إلى
إلى مكان على	في بمعنى إلى	الباء بمعنى اللام
عن مكان بعد	في بمعنى من	
عن مكان من أجل	في بمعنى ... (2)؟	

(1) لوردها لرجاجي في آخر مصنفه حروف المعنى.

(2) الأرجح أنها بمعنى "حول" لاستشهاده بقوله تعالى: ﴿لَتَجْزِيَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَكْتُمُوهَا﴾ الأعراف 71.

2- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي :

لما كانت دراسة الحروف دراسة غير مستقلة متأثرة في كتب السابقين، فقد قامت بعد ذلك محاولات لتخصيص مصنفات تعنى بالحروف و عرض معانيها، ولكن تلك المحاولات بقيت قاصرة سواء أكان ذلك من حيث عرض المادة و شمولها (1) أم من حيث المنهج و ضبطه في استقراء الحروف و ترتيبها. (2) و كتاب المالقي يعد محاولة رائدة في مجاوزة ذلك القصور من حيث المنهج و العرض المنضبطين في استقصاء الحروف و ترتيبها و عرض دلالاتها. (3)

أ- مصادره

لقد اعتمد المالقي في مصنفه على مصادر عديدة و متنوعة توزعت على المادة النحوية و اللغوية و الصرفية و الصوتية التي عرضها في الكتاب، و على هذا الأساس تردت فيه أسماء كثيرة لعلماء نحويين و لغويين، و علماء في الفقه و التفسير و القراءات، و قد صرح بأسماء هؤلاء في مواضع كثيرة من ذلك قوله: "و أعلم أن النحويين اختلفوا في الناصب للاسم المستثنى بعد إلا، فذهب سيبويه و من تبعه إلى أن الناصب له الفعل الذي قبل إلا أو ما جرى مجراه بواسطة إلا.

و ذهب بعض الكوفيين إلى أن الناصب له أن، مقترنة بعد إلا، تقديره عندهم في قلم القوم إلا زيدا: إلا أن زيدا لم يقم، و في ما قام القوم إلا زيدا إلا أن زيدا ما قام، فحنف ذلك لدلالة الكلام عليه... و ذهب أبو العباس المبرد إلى أن العامل فيه إلا لأن الناصب إنما كان بها، و لولاها لم يكن اسم، و لا نصب، و هي بمعنى: استثنى و حالة محله.

و الصحيح من هذه المذاهب، مذهب سيبويه لأن الفعل الذي قبل إلا أو ما جرى مجراه هو الطالب للاسم الذي بعدها و المتضمن له، و لولاه لم يكن، العمل إنما هو في كلام العرب للطالب للمتضمن، فلا عمل إلا بذلك... (4)

* أحمد بن عبد النور المالقي (ت 702هـ) انظر ترجمته في بغية الرعاة 331/1-البليغة 55-الإحاطة في أخبار غرناطة للسليمان بن الخطيب 203/1 وكشف الطنون 1579/2 هدية العارفين 103/1. و قد اعتمدت على طبعة رصف المباني في شرح حروف المعاني بتحقيق أحمد محمد الخراط (نمط 1975).

(1) نحو: كتاب معاني الحروف للمالقي، فقد اعتمد فيه صاحبه منهجا بنوييا في ترتيب الحروف و عرضها على النحو التالي: حروف أحادية، حروف ثنائية، حروف ثلاثية... ولكن الكتاب كان يقتصر إلى الشمول و الاستقصاء.

(2) نحو: كتاب حروف المعاني للزجاجي و قد مر الحديث عنه.

(3) يرى محقق كتاب رصف المباني أن هذا الكتاب أول مصنف يدرس حروف العربية دراسة جامعة شاملة، و خاضعة لمنهج منضبط لأن "...المحاولات التي سبقت المالقي كان ينقصها أمران ضروريان هما الرصد و الشمول" انظر مقدمة المحقق من (ع-ف).

(4) رصف المباني شرح حروف المعاني 91، 90.

و من غير هذه الأسماء فقد استعان المؤلف بعلماء كثيرين في اللغة منهم عيسى بن عمر (1)، و اللحياني (2) و يونس بن حبيب (3)... كما رجع في كل مرة إلى ما أثبتته علماء النحو كالأخفش (4) و الزجاجي (5)، و الفراء (6) و الكسائي (7) و السهيلي (8) و ابن عصفور (9).
و كان للقراء و قراءاتهم حضور قوي في دعم مادة الكتاب و إثرائها من ذلك قراءة ابن عمر (10)، و قالون (11)، و قتيل (12) و ابن كثير (13).

ب- منهجه العام

لقد توخى المؤلف منهجاً معيناً في ضبط المادة، قسمها إلى قسمين منتقلا في ذلك من العرض الكلي العام، إلى العرض التفصيلي المرفق بالشرح و التمثيل، فحدد القسم الأول باسم المقصود الأول، و قسمه بدوره إلى ثلاثة فصول:

أولها: فصل إحصاء الحروف مفردة و مركبة.

ثانيها: فصل تقسيم الحروف إلى العامل منها، و غير العامل، مع تعيين نوع العمل بالنسبة للحروف العاملة.

و ثالثها: فصل تسمية الحروف وظيفياً على أساس الاصطلاحات الوظيفية التي أعطيت لها.

و حدد القسم الثاني باسم المقصود الثاني، و لم يقسمه إلى فصول، و إنما عرض فيه ما تقدم من حروف مع

الشرح و التفصيل متبعاً في ذلك ترتيباً ألفبائياً مبتدئاً بالالف و الهمزة ثم الحروف نون الهمزة في أولها ثم

الباء، ثم الحروف الأخرى المبتدئة بهذا الحرف. و هكذا إلى أن نصل إلى الحرف الأخير و هو الياء. (14)

و من خلال اسم الكتاب و خطبته (15)، يحدد المؤلف منهجه في دراسة الحروف، بحيث بدأ كتابه برصف

(1) انظر رصف المباني في شرح حروف المعاني 64 .

(2) انظر المصدر نفسه 403،251 .

(3) انظر المصدر نفسه 27 .

(4) انظر المصدر نفسه 22،21،9 .

(5) انظر المصدر نفسه 234 278 .

(6) انظر المصدر نفسه 68،42،17 .

(7) انظر المصدر نفسه 229 .

(8) انظر المصدر نفسه 338،277 .

(9) انظر المصدر نفسه 150 .

(10) انظر المصدر نفسه 381،25 .

(11) انظر المصدر نفسه 229 .

(12) انظر المصدر نفسه 439،327 .

(13) انظر المصدر نفسه 439 .

(14) انظر المصدر نفسه 3،2 .

(15) انظر المصدر نفسه 2 .

- أما المفردة قسمان: قسم أصل، و قسم بدل من أصل.
- القسم التي هي أصل، لها في الكلام ثلاثة عشر موضعاً.
- الموضع الأول: أن تكون للتوصل إلى النطق بالسكان في ابتداء الكلمة، و اختلف فيها هل يقال لها همزة أو ألف؟ فبعضهم يسميها ألفاً مراعاة لأصلها من السكون الذي هو مد الصوت، و بعضهم، يسميها همزة مراعاة للنطق بها و هو الأبين و لكلا الوجهين نظر... (1)³
- و يستمر المألقي في ذكر كل ما يحضره من تفاصيل عن الحرف على المستوى اللغوي و النحوي و الصوتي، فمما ذكره عن الألف قوله:
- «أن تكون إطلافاً للقولاني، كما تكون لولو و ليا، لأنها لا يكون ما قبلها إلا متحركاً، و إذا سكن فهو مقيد، فكأنما تطلق الحرف من عقل التقييد و هو السكون إلى حال الحركة للضمة، و للفتحة و للكسرة... (2)³»
- 3- لا يهمل تعيين عمل الحروف العاملة التي أوردتها و صنفها في المقصود الأول، مستعينا في ذلك بشروح مفصلة و تمثيل واف.
- فمن أحاديثه عن عمل الحرف يقول في موضع شرحه لـ إلى³ علم أن إلى حرف يخفض ما بعده من الأسماء... (3)³
- و في موضع شرحه لـ لن يقول:
- «... و هي حرف ناصب للفعل الذي بعدها بنفسها على مذهب سيبويه... (4)³»
- 4- يورد كل ما قيل عن الحرف فيرصده ثم يعرضه من ذلك قوله عن الأ:
- «أن تكون جواباً و هو قليل، فيقول الفائل: ألم تقم؟ ألم تخرج؟ فنقول: ألا، و هو شاذ بمعنى بلى (5)³»
- فهو لا يكتفي بعرض الآراء دون ترجيح، بل يلجأ إلى التصحيح و التفصيل بين الآراء، فيقول في موضع حديثه عن أو و نصب الفعل بها:
- «... و بذلك صح عندنا إضمار أن بعدها ليصير ما بعدها مصدراً معطوفاً في المعنى على مصدر آخر من معنى الكلام خلافاً للكوفيين، فإنهم ينصبون بها نفسها، و لو كانت ناصبة بنفسها لكانت ناصبة في كل موضع، فعند اطراد ذلك يدل على فساد مذهبهم فقف عليه (6)³»
- 5- و يجتهد أحياناً و يصرح بذلك، فعن كيفية كتابة إنن يقول:

(1) رصف المبني في شرح حروف المعاني 38 .

(2) المصدر نفسه 28 .

(3) المصدر نفسه 80 .

(4) المصدر نفسه 285 .

(5) المصدر نفسه 79 .

(6) المصدر نفسه 134 .

...و الذي عندي فيها الاختيار أن ينظر، فإن وصلت في الكلام كتبت بالنون، عملت أو لم تعمل، كما يفعل بأمثالها من الحروف... و إذا وقف عليها كتبت بالالف لأنها إذ ذاك مشبهة بالأسماء المنقوصة المذكورة في عدد حروفها و أن النون فيها كالتنوين، و أنها لا تعمل مع الوقف مثل الأسماء مطلقاً. (1) (2)

6- كان يولي عناية كبيرة للمادة النحوية في شروحه أكثر من عنايته بالمادة اللغوية الدلالية، ففي معرض حديثه عن الألف التي تكون علامة للتنبيه يقول:

«هذه الألف إذا تقطعت على الأسماء فهي عند البصريين علامة للتنبيه و مثلها الواو و النون لتي لجماعة المؤنث إذا اتصلت بالفعلين المذكورين نحو: ضربوا الزيدون، و يضربون الزيدون، و ضربن الهندات، و يضربن الهندات، و هي لغة قليلة، و الأكثر حذفها، لكونها تؤهم الضمير، و حكم الضمير أن يتقدمه اسم يعود عليه، و لا اسم هنا متقدم فيعود عليه، و لأن معناها يلزم الفعل للزومه الاسم بخلاف ناء التانيث فإنها مبنية للتانيث. و أما غير البصريين فهي عندهم ضمائر و إن تأخرت الأسماء و هم في ذلك طائفتان: طائفة تزعم أن الأسماء بعدها مرفوعة بالابتداء، و الجملة من الفعل و ما بعده من الألف و الواو و النون في موضع خبره، و إن كانت متقدمة فالمراد بها التأخير... و طائفة تزعم أن الأسماء بعدها مرفوعة على البدل من الضمائر، و كلا المذهبين فاسد، لأنه لو كانت تلك الحروف ضمائر أسماء، لكثير النطق بها كما كثير النطق و استتب مع تقدم الأسماء، و إنما الكثير حذفها مع التأخير، و إثباتها قليل حكى عنهم لكلوني للبراغيث... (2)»

7- و يستدرك في شروحه ما يمكن أن يُحمل عليه في وصفه للحروف، فمن إدراج للضمائر ضمن حروف المعاني يقول موضحاً: «... و إنما ذكرتها في الحروف لأنها قد تكون في بعض المواضع لها محل من الإعراب، فليست بأسماء فيحكم عليها بالحرفية، وذلك في باب الفصل الذي يسميه الكوفيون العماد». (3)

د- التوثيق اللغوي

وثق المالقي مادته بشواهد غزيرة، إذ لم يكتف بتوثيق استعمال الحرف أو دلالاته، و إنما كان يعتمد أيضاً على توثيق ما يجيء في استطراداته واستدراكاته و شروحه الموسعة، من أحكام و ضوابط مختلفة و متنوعة، و هو غالباً ما يستشهد بأكثر من شاهد قرآني لو بأكثر من شاهد شعري في الموضع الواحد، و المعنى المتفق عليه، فمن احتجاجة بالشواهد القرآنية للكثيرة ما جاء في حديثه عن الآ التي تفيد التنبيه و الاستفتاح قال عز و جل: ﴿الْأَيَّامُ لِيَقْبِهِمْ﴾ (4) و ﴿الْأَحْيَٰنَ تَسْتَفْشُونَ بُكْبَهُمْ تَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ﴾ (5)،

(1) رصف المباني في شرح حروف المعاني 68 .

(2) المصدر نفسه 18، 19.

(3) المصدر نفسه 128 .

(4) هود 8 .

(5) هود 5 .

و ٥ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ صُدُورَهُمْ ٥ (١)... (2٣)

و من اعتماده لأكثر من شاهد شعري في الموضع الواحد قوله مع همزة النداء ".... أن تكون للنداء ك يا
و تستعمل في نداء الغريب المصغي إليك، و تُمد إذا بعد فتقول أزيد و أصر و أخالد.

قال الشاعر:

أَعْبَدًا خَلَّ فِي شُعْبَى غَرِيْبًا لَوْ مَا لَا أَبْلَكَ وَ اغْتَرَبًا (3)

و قال آخر:

أَحَارِ تَرَى بَرَقًا أُرِيكَ وَ مِصْنَةً (4)

و قل آخر:

أَفَاطِمُ مَهَلًا، بَعْضَ هَذَا فَتَنَزَّلِي (5) (6)*

و قد تردد في مُصنّف المألفي إضافة إلى الشواهد القرآنية، أكثر من ستمائة بيت لشعراء جاهليين و إسلاميين
نحو: امرؤ القيس (7)، زهير بن أبي سلمى (8)، النابغة الذبياني (9)... حسان بن ثابت (10)، الفرزدق (11)،
جرير (12).

هذا و لم يخل للكتاب من شواهد نثرية أخرى كالأمثال و الأقوال المأثورة و التراكيب العربية الفصيحة
القياسية و السماعية (13)...

هـ مأخذ على الكتاب

في المنهج العام

على الرغم من شمول و الاستقصاء الذي تميز به هذا الكتاب فإنه يمكن أن يؤخذ عليه من حيث المنهج
ما يلي:

-
- (1) هو: 5.
 - (2) رصف المعاني في شرح حروف المعاني 78.
 - (3) من [الواف] لجرير الديوان 650، و هو من شواهد سيبويه انظر الكتاب 339/1.
 - (4) و سماعه: كُلِّيعُ الْوَيْثَنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ مِنْ [الطويل] لأمري القيس. و هو من شواهد سيبويه، انظر الكتاب 252/2.
 - (5) و سماعه: وَ إِنْ كُنْتُ لَدَى أَرْمَعٍ حَرَمِي فَلَجَلِي مِنْ [الطويل] لأمري القيس الديوان 147، انظر شرح شواهد المعاني 20/1
و شرح أبيات المعاني 13/1.
 - (6) رصف المعاني في شرح حروف المعاني 52.
 - (7) انظر المصدر نفسه 328، 133، 52.
 - (8) انظر المصدر نفسه 275.
 - (9) انظر المصدر نفسه 83، 72، 125.
 - (10) انظر المصدر نفسه 80.
 - (11) انظر المصدر نفسه 315، 75، 18.
 - (12) انظر المصدر نفسه 293، 52.
 - (13) انظر المصدر نفسه 336، 335.

جامعة الأمير
عبد القادر للعطوم الإسلامية

الفصل الثالث: التقسيم الاصطلاحي | الوظيفي الدلالي | للحروف

حرفا الكف	حروف الإشباع	حروف المضارعة	حروف التأنيث
الألف ما	الألف الواو الياء	الهمزة القناة النون الياء	الألف الهمزة القناة
حرف التنبية و الوصل و الفصل	حرفا التحية	حرف التفرير و التوبيخ و النقل	حروف التنبيه
الألف	الهمزة الياء	الهمزة	الهمزة الا أي وا يا ها هيا وي ليا
حروف النداء	حروف الشرط و الجزاء	حروف الجواب	حرف المفاجأة
الهمزة أي يا هيا أيا وا	إن إذ + ما إن	إن أجل بجل جل جير بلي	إذا
حرف التعريف	حرفا الغاية	حرف الاستفتاح + تنبيه	حروف الاستثناء
أل	إلى حتى	إلا	إلا حاشا خلا عدا

حرفا العرض	حروف التحضيض	حروف التفصيل	حروف التوكيد
ألا	إلا	أما	إن
أما	لوما	إما	إن
	لولا	لو	إن
	هلا		إن
			إباء
			ما
			من
			للام
			لنون
حروف العطف	حروف القسم	حرفا التمام	حروف الابتداء
الواو لكن	إباء	لنون	إن أما
الفاء أو	الواو	للتوين	إن أما
ثم	الناء		كان
حتى	اللام		لكن
بل	من		إيا
لا			لعل
حروف النفي	حرفا التقليل	حروف السبب	حروف الجواب
لم ليس	رب	إباء	لواو
أما	قد	اللام	لفاء
إن		كي	إن
حروف نصب الفعل (مجرأ)	حروف الإخبار	حرف التعظيم	حرف زجر و ردع
الفاء	قد	الميد	كلا
لواو	هل		
أو	الهمزة		
حتى			
لام كي			

تابع لجدول الفصل الثالث

حرفا الخطاب	حرفا التشبيه	حروف مصدرية	حرفا عبارة و تفسير
الذاف الناء	الذاف كان	ان ان ما كي	ان اني
حرف دعامة	حرفا إضراب	حرف شك و إيهام و تخيير و ابلعة	حروف العهد و الفصل
إيا مع المحسم	بل بلى	لو لبا	لنا لنت لتما لتم لتن نحن
حرفا التنفيس	حرفا الاستدراك	حرف وجوب و جوب و حرف امتناع لامتناع	حرفا الترجي
أسين سوف	لكن لكن	لو لولا لما	عل عن
حرف التمني	حرفا ابتداء الفاية الزمكية	حرف ابتداء الفاية الزمكية	حرفا التبعيض
ليت	مد منذ	من	من للباء
حرف المصاحبة	حرف المزولة و المجوزة		
مع	على		

3. فقه اللغة و أسرار العربية للثعالبي *

فقه اللغة و أسرار العربية للثعالبي من بين الكتب التي عنت بدراسة حروف المعاني بشكل غير مسجل و موجز فقد قسم المؤلف كتابه إلى قسمين:

القسم الأول: كان عرضاً عاماً لموضوعات شتى في فقه اللغة.

القسم الثاني: و فيه كشف المؤلف عن بعض أسرار العربية، فتناول في هذا القسم فصلاً مجملًا في الزوائد و الصلوات التي هي من سنن العربية، إلى جانب ما تلاها من فصول تعريفية أخرى للحروف في العربية. و قد أصاب المؤلف في عده دراسة الحروف من أسرار العربية، لأنه لا يقف على نقلها إلا من كشف الغائب عن مسمياتها و استعمالاتها و أحكامها، و جلى سرها و دورها في الكلام العربي...

أ مصادر الكتاب

لعل الظاهرة التي تستوقف الدارس عند وقوفه على مبحث الحروف، في كتاب فقه اللغة للثعالبي، خلوص المؤلف في مجملها من التحليل و التفات، و تخريج الرأي للصاب من بين الآراء المختلفة، إذ أنه أثناء عرضه لمادة الحروف كان يتحرى النقول المتفق عليها، يقدمها و كأنها مسلمة لا تناقش. لقد كانت مادته تشبه بأحكام عامة، أو مفاتيح لآراء، و مناقشات فرضتها طبيعة موضوع الكتاب فقه اللغة و أسرار العربية - الذي تناول فيه موضوعات شتى بما فيها للحروف، عند حدود الخاصية اللغوية من غير إسهاب في ذكر الأحكام و التعلل... و لمثل هذه الأسباب ندر ذكر المصدر عنده، و لم تتردد المادة مقيدة برأي لو بمذهب إلا في مواطن قليلة جداً على النحو التالي: ⁽¹⁾قال بعض أهل العربية...⁽²⁾، ⁽³⁾قال أبو عبيدة...⁽⁴⁾ الخفيفة...⁽⁵⁾، ⁽⁶⁾قال أبو عبيدة...⁽⁷⁾

ب منهجه العام

بدأ الثعالبي مبحثه في الحروف بالحديث عن فصل مجمل في الزوائد و الصلوات التي هي من سنن العربية⁽¹⁾، نحو: الباء، التاء، لا، ما، من، اللام، كان، الاسم، الوجه، مثل⁽²⁾ و قد أتبع هذا الفصل بفصول أخرى مرتبة ترتيباً لغوياً مبنياً على حروف أختية بالشكل التالي:

فصل في الألفات، فصل في الباءات، فصل في التاءات...⁽³⁾

* أبو منصور الثعالبي (ت 431هـ)، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 350/2، شذرات الذهب 246/3، دائرة المعارف الإسلامية 19/6، و كان اعتمادي في دراسة كتاب فقه اللغة و أسرار العربية على طبعة مكتبة الحياة ببيروت (دلت)

(1) انظر فقه اللغة و أسرار العربية 235 .

(2) انظر المصدر نفسه 235 .

(3) انظر المصدر نفسه 229 .

(4) المصدر نفسه 224 .

(5) انظر المصدر نفسه 224-226 .

(6) انظر المصدر نفسه 226-232 .

و بعد إيراد مؤلف هذه الفصول، ينتقل المؤلف إلى إيراد الفصل الأخير بمبحث سماء فصل مجمل في وقوع حروف المعنى مواقع بعض⁽¹⁾، و قد حاول النعالي في هذا الفصل اتباع الترتيب الألفبائي، و لكن هذا الترتيب لم يستمر معه حتى نهاية الفصل، من ذلك حديثه عن مجيء:

أم بمعنى بل.... و بل بمعنى أن.... و ثم بمعنى ولو للعطف.... وكأين بمعنى كم.... و لو بمعنى أن.... وما بمعنى من.... و في بمعنى على.... ومن بمعنى على.... و حتى بمعنى على...⁽²⁾

جـ بحثه للحروف و أسلوب عرضه لها:

1 إن عرض النعالي للحروف اتسم بالإيجاز الشديد، و لكن هذا الإيجاز لم يمنع المؤلف من الحديث عن حروف المعاني و استخداماتها، و حصر شواهدها، و تعدد معانيها من سياق إلى آخر. و للملاحظ أن هذه الحروف في كتاب النعالي أشبه بالنتائج المحصلة لما جاء في كتب الأوليين، و ما استخلصوه من كلام العرب فيها. و قد قدم النعالي هذه النتائج مكثفاً بتركيز على الرصص من دون ذكر لعلل و الأحكام التي قلما شير إليها بالتناسب شديد كقولته: "قال أبو عبيدة: لا من الحروف أنزوائد، كتثمة للكلام، و المعنى الأعزها"⁽³⁾

2 لم يفصل كسابقه⁽⁴⁾ بين حروف المعاني و غيرها من الأسماء و الأفعال، في الفصل الأول الذي سماه فصل مجمل في الزوائد و الصلوات التي هي من سنن العربية. و مما أورده في هذا الفصل قوله في زيادة مثل و هي اسم: "و منها زيادة مثل كقوله تعالى ﴿ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾"⁽⁵⁾ أي عليه...⁽⁶⁾

و قوله في زيادة كان و هي فعل: "و منها زيادة كان كما قل عز ذكره ﴿ وَ مَا عَلَّمِيَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾"⁽⁷⁾ أي بما يعملون⁽⁸⁾

و هو أخصاً لم يفصل بين حروف المعاني، و حروف المباني من صيغ الزيادة، و بعض العلامات الصورية. و الإعرابية، في الفصول التي تلت للفصل الأول، من ذلك قوله في فصل الألفات: "...منها ألف التوصل.

(1) فقه اللغة و أسرار العربية 233.

(2) انظر المصدر نفسه 233-237.

(3) المصدر نفسه 225.

(4) منهج النرجاجي في كتابه حروف المعاني و قد مرّ الحديث عنه، و ابن فارس في كتابه الصحاحي في فقه اللغة في المبحث السدس سائر باب الكلام في حروف المعاني. انظر الصحاحي في فقه اللغة 125.

(5) الأحكام 10.

(6) فقه اللغة و أسرار العربية 226.

(7) السمر 112.

(8) فقه اللغة و أسرار العربية 226.

و ألف الفصح، و ألف الأمر، و ألف الاستفهام، و ألف التعجب و ألف التثنية، و ألف الجمع، و ألف التعدية،
و ألف لام المعرفة... (1).

3- أم يحدد الحروف بمصطلح يعرفها، و إنما تناولها بطريقة العموم يتجلى ذلك من خلال مسمياته
لفصول نحو: فصل مجمل في الزوائد و الصلات التي هي من سنن العربية، فصل في الألفات، فصل في
الباءات، و ذلك كانت دراسته للحروف لفئات مقتضبة خالية من التحليل و النقاش و سرد الآراء، كقوله:
"لنون ترك أولي، و ثانية، و ثالثة، و رابعة، و خامسة، و سابعة، فالأولى في نعل و الثانية في قولهم ناقة
عسل... (2)"

4- و في عرض الثعلبي للفصل الأخير الذي سمّاه فصل مجمل في وقوع حروف المعنى مواقع بعض.
لم يمنعه الإيجاز و الاختصار من الاستطراد في عقد بعض المقارنات الدقيقة من ذلك المقارنة بين إذ
و إذا. (3)

5- و في فصل وقوع حروف المعنى مواقع بعض ركز الثعلبي على تناوب بعض الأتوات و حروف
المعاني في الوظائف الدلالية، و ما ذكر من هذه الأتوات و الحروف كان ينتمي إلى طائفة الحروف غير
الأحادية (4)، و لعلّ تمثيل المؤلف بهذا النوع من المعردات في الفصل الأخير، يعود سببه إلى ذكر الثعلبي
و سببه لظاهرة تناوب الحروف الأخرى الأحادية، و وقوعها مواقع بعض في الفصول السابقة، كقوله في
فصل الباءات "...الباء الواقعة موقع من، و عن، و الباء الواقعة موقع في..." (5)

6- لقد أورد الثعلبي بعض المصطلحات غير المتداولة للحروف و معانيها نحو قوله في فصل الباءات
"و منها باء الاعتمال كقولك كتبت بالقلم و ضربت بالسيف" (6)، و في فصل السينات يقول عن سين
الاستقبال "... و تختصر من سوف للعل، فيقال سأفعل و يقال لها سين سوف" (7)

د التوثيق اللغوي

كانت مادة كتاب الثعلبي في مبحثه للخاص بالحروف، قائمة أساساً على الشواهد أكثر من قيامها على
الشرح و التحليل، فالمؤلف كان يعطي موضع الحرف و معناه، ثم يردفه بالشاهد القرآني أو الشعري أو بيانياً

(1) فقه اللغة و أسرار العربية 226 .

(2) المعاصر نفسه 231 .

(3) انظر فقه اللغة و أسرار العربية 234، 235.

(4) انظر ما جاء من الحروف و الأتوات في فصل مجمل في وقوع حروف المعنى مواقع بعض 233-237 .

(5) فقه اللغة و أسرار العربية 227 .

(6) المعاصر نفسه 227، و مصطلح الاعتمال ورد عند ابن فارس، انظر الصحاح في فقه اللغة 105 .

(7) المعاصر نفسه 229، و تسمية سين الاستقبال بـ سين سوف، ليست تسمية مطلقة، انظر معنى اللبيب 184 .

معاً، و قد يستعني عنهما بالجمال و الدراكيب العصبية. و هو في شواهده يختار المتفق عليه ممّا تردد في كتب السابقين له سواء أكان ذلك بالنسبة للآليات العرابية أم بالنسبة للشعر، ذلك لأنّ الثعلبي كان في عروضة نقلاً مختصراً و ملخصاً لمحتوى الدلالة بالشاهد. و هو لم يكتف في مواضع كثيرة بالتمثيل فقط بل يتبع التمثيل بتحذير موضع الشاهد ضبطاً، كاشفاً عن دلالة، أو موضحاً استعمالاً، من ذلك قوله في موضع الباء الرائدة: "...كما تقول أخفت بزمام الناقة و قال الشاعر الراعي:

سودّ للمحاجر لا يفران بالسّور سودّ للمحاجر لا يفران بالسّور (1)

أي لا يفران السور كما قال عنتره:

شربت بماء النحرَضين فأصبحت شربت بماء النحرَضين فأصبحت (2)

أي ماء النحرَضين. و في الفران حكاية عن هارون: لا تأخذ بلحيتي و لا يزليسي (3)... (4)

لقد كان في كل مرة يستشهد فيها ببيت من الشعر ينسبه إلى أصحابه إلا في مواضع قليلة جداً كقوله: قال الشاعر الراعي.... قال عنتره.... قال الشاعر؟.... قال عبدة بن الطيب.... قال زهير.... قال الآخر.... و قال أبو النجم.... (5)

و يعف الثعلبي من شواهد موقف المجتهد أحياناً فيخالف الذين سبقوه في تخريج بعض دلالات الحروف أو إيرادها في شواهد معينة من تلك قوله بزيادة الباء (6) في بيت عنتره السابق:

شربت بماء النحرَضين فأصبحت شربت بماء النحرَضين فأصبحت (7)

و غيره (8) لوردها بمعنى من الدلالة على التبويض في البيت نفسه.

هـ مأخذ على الكتاب

في المنهج العام

لم يلتزم كلياً بالترتيب الأبجدي، بخاصة في الفصل الأول و الأخير. (9)

(1) و سردها هُنَّ الحرائِرُ، لا رَبَّتْ أَخْمَرَةً من [بسيط] منسوب إلى الراعي النميري عبيد بن حصين من شعراء الإسلام. شرح شواهد المعنى 336/1 و شرح أبيات المعنى 369/2.

(2) و معناه: زوراء تنفر عن حواض التّوكّم من [الكامل] لعنترة و هو في لسان العرب لخص، و هي حروف المعاني للرجاجي 48 و هي الصلحي في فقه اللغة 105.

(3) منه 94.

(4) منه النّعة و أسرار العربية 224.

(4) انظر المصدر نفسه 224, 225.

(6) انظر المصدر نفسه 224.

(7) سبق توثيقه برقم 2.

(8) أعادت بذلك الرجاجي. انظر حروف المعاني 48.

(9) انظر جدول الفصل الأول و الأخير و سيأتي ذكرهما بعد قليل.

اكفى في العصول التي بين الفصل الأول و الأخير بعرض الحروف الأحادية دون غيرها من الحروف الأخرى كالثنائية و الثلاثية(1)...

في العرض

أطلق تسمية حروف المعنى على الفصل الأخير الذي أورده، و لكنه لم يستعمل هذا المصطلح استعمالاً دقيقاً حيث أدرج بعض المفردات من أسماء و ظروف في مبحثه من ذلك قوله: "بعد بمعنى مع يقال فلان كريم وهو بعد هذا أديب أي مع هذا... (2)". و قوله: "كأين بمعنى كم فيها لغتان بالهمز و التشديد، و بالتخفيف. قال الله جل جلاله: وَ كَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ (3)، أي و كم من قرية عتت عن أمر ربها و رسله. (4)".

في الشرح

غلب على المبحث طابع العموم الخالي من التحليل و الشرح إلى جانب النقول الملخصة التي اعتمدها الثعالبي على مستوى مادة المبحث.

أهمل الثعالبي ذكر حروف كثيرة من حروف المعاني غير الأحادية، مما جعل مبحثه هذا يتسم بالإيجاز و البعد عن الاستقصاء و الشمول...

لم يفرق المؤلف في الشروح التي أوردها في أثناء عرضه للحروف الأحادية بين استعمال الحرف الواحد كحرف معنى، و بين استعماله كحرف مبنى من ذلك قوله: "قد تكون الواو زائدة في الأول و قد تزداد ثانية نحو: كثر، و ثالثة نحو جرول، و رابعة نحو قرنوة، و خامسة نحو قمحودة، و من الواوات، أو التسيق... (5)".

في التوثيق

جاءت بعض العصول خالية من الشواهد القرآنية و الشعرية على خلاف الفصول الأخرى، من ذلك فصل في السينات (6)، و فصل في الميمت (7)، و فصل في النونك (8). و هذه الفصول لم يعتمد فيها المؤلف على الاستعانة بأية قرآنية أو بيت من الشعر، لتوثيق وجوه استعمالات هذه الحروف و اكتفى فقط بالمشتر الوضحي كقوله: "السين تزداد في استعمل، و يقال للذي في استهدى و استوهب و استعظم و استمقى سين السؤال، و تختصر من سوف أفعل فيفعال سافعل... (9)".

(1) انظر جدول الحروف في القسم الثاني من ترتيبها و سجلي ذكره بعد قليل .

(2) انظر منه اللغة و لسان العربية 235 .

(3) فملاق 8 .

(4) انظر منه اللغة و لسان العربية 235 .

(5) المصدر نفسه 232 .

(6) انظر المصدر نفسه 228 .

(7) انظر المصدر نفسه 231 .

(8) انظر المصدر نفسه 231 .

(9) المصدر نفسه 229، 228 .

و جدول الحروف كما وردت في أصل الكتاب

فصل مجمل في وقوع حروف المعنى موقع بعض	فصول في الحروف الأحادية (2)	فصل مجمل في الزوائد و الصلات التي هي من سنن العربية (1)
عن بمعنى بعد كلير بمعنى كم لو بمعنى إن لولا بمعنى هلا لما بمعنى لم لا لا بمعنى لم لئن بمعنى عند ليس بمعنى لا لعل بمعنى كي ما بمعنى من في بمعنى على من بمعنى على حتى بمعنى إلى	أم بمعنى بل أم بمعنى همزة الاستفهام أو بمعنى ولو للعطف أو بمعنى بل أو بمعنى إلى أو بمعنى حتى إن بمعنى لعل إن بمعنى إذ إن بمعنى لقد إلى بمعنى مع إلا بمعنى بل إلا بمعنى لكن إذا بمعنى إذا أي بمعنى كيف أيان بمعنى متى بل بمعنى إن بعد بمعنى مع ثم بمعنى ولو للعطف	فصل في الألفات فصل في الباءات فصل في التاءات فصل في السينات فصل في الفاءات فصل في الكافات فصل في اللامات فصل في الميمات فصل في النونات فصل في الهاءات فصل في اللولوات

(1) و هذا الفصل لم يفصره التعليلي على حروف و ما شليها فقطير ذلك واضح من خلال الاسم الذي أعطاه له.

(2) هذا الاسم ليس من وضع التعليلي و إنما تطلبه القظام العام للجدول.

4. شرح المفصل لابن يعش:

دعّس ابن يعش في شرحه للمفصل فسمّا بالحروف فشرحها. وقد صدر قسمه هذا بتقنين حلّ فيه التعريف الذي أعطاه الزمخشري [صاحب المفصل] للحرف، و وافقه عليه، مصححاً ما جاء به السابقون. إذ يقول: "أو قولهم ما دلّ على معنى في غيره أسلّ من قول من يقول ما جاء لمعنى في غيره لأن في قولهم ما جاء لمعنى في غيره إشارة إلى العلة، والمراد من الحد الدلالة على الذات لا على العلة التي وضع لأجلها..." (1) وقد توخى المؤلف في مقدمته منهاجاً خاصاً بدأه بمناقشة تعريف الحرف و حدّه، لينتقل بعد ذلك إلى تصنيفه، ضمن أقسام معينة حدّها بثلاثة أضرب و هي كالتالي:

الضرب الأول: ما أفاد معنى فيما يدخل عليه، و يرد في ثلاثة مواضع كلامية هي:

- 1 دخوله على الاسم لإفادة التعريف نحو الرجل، الغلام.
- 2 دخوله على الفعل و تقريبه من الحاضر أو الاستقبال نحو: قد قلم، سيقوم.
- 3 دخوله على الكلام للتام، و الجملة المفيدة نحو: أزيد عندك؟ وما قام خللد. (2)

الضرب الثاني: ما قام بعملية الربط بين أجزاء كلامية و يرد في أربعة مواضع هي:

- 1 ما يُربط به اسم باسم نحو جاء زيد و عمرو.
- 2 ما يُربط به فعل بفعل نحو قام زيد و قد.
- 3 ما يُربط به فعل باسم نحو: نظرت إلى زيد.
- 4 ما يربط به جملة بجملة نحو: إن تعطيني لشكرك. (3)

الضرب الثالث: ما زيد لإفادة معنى التوكيد، و يرد في نحو قوله تعالى:

فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ... (4) و قوله: فِيمَا نَقَضِهِمْ... (5)

و في قولهم: ما قام زيد و لا عمرو.

فالباء و لا حرفان زائدان وردا في الأمثلة السابقة لتأكيد معانيها المحققة من قبل دخولها عليها. (6)

أ. مصادر الكتاب

كانت مادة قسم الحروف من كتاب شرح المفصل معظمها نقولاً، قامت أساساً على شرح عروض و اقوش

* موقع الدير بن يعش (ت 643هـ) انظر ترجمته في بعية الرواة 419/2، البلية 289 شذرات الذهب 228/5، وفيلت الأعيان 411/2، و كن اعتمادني في دراسة كتاب شرح المفصل على طبعة بتصحیح و تعليق جماعة من العلماء، إدراة الطباعة المعنوية مصر (....).

(1) شرح المفصل 2/8.

(2) المرجع نفسه 5/8.

(3) المرجع نفسه 5/8.

(4) ال عمران 159.

(5) النساء 155.

(6) شرح المفصل 5/8.

سابقه في كتاب المفصل للمحتمري، و حتى يكون الشرح وافيا فقد لجأ ابن يعيش إلى تجلية المعاصير الأولى في كتاب المزمخشري، و بدعمها بمصادر أخرى وإثراء عرض القاعدة و مناقشتها، أو عن طريق المعارضة بين الآراء و محاولة تحليلها، مستعينا في ذلك بأقوال علماء النحو أمثال: الأخفش (1)، و ابن السراج (2)، و سيبويه (3)، و الفراء (4) و المبرد (5). و كان كثيرا ما يرجع الآراء إلى مطلقها الأصلية معتمدا فتوثيق الدقيق للمادة من ذلك قوله مثلا: *...نص عليه أبو علي في الإيضاح... و كذلك ابن جني في سر المساعة... (6)*

و لما كانت المادة النحوية تطفئ على شروحه، فقد كثر تردد مصادر النحو المتنوعة على اختلاف مراتبها في هذا القسم. أما مصادر اللغة، فكانت عبارة عن لغات تخللت تلك للشروح، لم يغفل ابن يعيش عن الرجوع إليها أصحابها من اللغويين أمثال: الخليل (7)، و الأصمعي (8)...

و حملة القول بأن ابن يعيش تعامل مع المعاصر تعاملًا كثيرًا من غير مثل، و كانت غايته في كل مرة بعينه هذه الحروف تقديمًا نقيضًا نقيضًا، من ذلك قوله عن الحروف: بأنها *لا يخبر بها و لا عنها، لا تقول إلى قائم على أن يكون إلى مبتدأ و قلتم الخبر كما تقول زيد قلتم، و لا عن ذاهب، كما تقول زيد ذاهب، و قد صرح ابن السراج بهذا المعنى في تحديد الحرف فقال: هو الذي لا يجوز أن يخبر عنه، و لا يكون حبراً... (9)*

ب منهجه العلم

بعد دراسة الاسم و الفعل في أقسام سابقة، من شرح المفصل يجد للدارس نفسه منصبا على دراسة الحروف في القسم الثامن من هذا الكتاب، الذي عرض فيه ابن يعيش عددا كبيرا من الحروف (10)، فحدد فيه كيفية توظيفها، و طرق التفريق بين استعمالاتها، و دلالاتها المختلفة. لقد وصى ابن يعيش ابن في ترتيب الحروف و شرحها منهاجا وظيفيا مخالفا في ذلك مناهج السابقين (11). أن

(1) شرح المفصل 14.13.9/8.

(2) معجم المرجع نفسه 103.3/8.

(3) معجم المرجع نفسه 113.72.46.16.14.13/8.

(4) معجم المرجع نفسه 128.45/8.

(5) معجم المرجع نفسه 47.11.9/8.

(6) معجم المرجع نفسه 89/8.

(7) معجم المرجع نفسه 128.111/8.

(8) معجم المرجع نفسه 150/8.

(9) معجم المرجع نفسه 3/8، و انظر الأصول في النحو 37/1.

(10) معجم الدول الذي سيلي عرضه بعد حين.

(11) معنى ذلك أن ابن يعيش في تصنيف الحروف و شرحها لم يجمعها في مؤلفاته كالرجاجي و غيره.

نسبها إلى طوائف، و كانت الوظيفة المشتركة هي الحيز الرابطة بين حروف مجموع كل طائفة على النحو التالي: حروف الإضالة، حروف العطف، حروف النفي... وهذا التقسيم الوظيفي للحروف غلبت عليه المصطلحات السياقية و الأسنوبية نحو: حروف التنبيه (1)، حروف التنداء (2)، حروف التصديق (3)، والإيجاب (3)، و لم تكن هناك إشارة إلى الوظيفة النحوية إلا من خلال مسميات طوائف تلك الحروف، و ارتباط هذه المسميات السياقية بمجموعات حروف تؤدي فيها كل مجموعة معينة وظيفة نحوية مشتركة، فالحروف الجارة نجدها في طائفة حروف الإضافة (4)، و الحروف المناسبة للاسم و الرفع للخبر نجدها في طائفة الحروف المشبهة بالفعل (5).

و الممتنع لمجموعات هذه الحروف يقف على انعدام الترتيب الأبجدي في عرض كل مجموعة. و كان ترتيب ابن يعيش للحروف على اعتبار كثرة دوراتها و شيوعها في الكلام. و لذلك اتخذ للمنهج داخل كل مجموعة منحى و طيفا، و العبرة في تقسيم حرف على غيره بكثرة نواته في الاستعمال، نحو قول ابن يعيش في معرض حديثه عن من "...قد صغر صاحب الكتاب كلامه و ابتداء بـ من و هي حرية بالتقديم لكثرة دورها في الكلام، و سعة تصرفها، و معانيها و إن تعددت فمتلاحمة..." (6) ابن يعيش سلك في ترتيبه لطوائف مجموعات الحروف مسلك الزمخشري في مفصله، و لذلك نجده لم يذكر علة ذلك للترتيب، كما أنه لم يحاول أن يقدم فيه مبررا أو يعتد له تفسيره و أرجح الظن أن هذا الترتيب بُني على تدرج هذه الطوائف في الاستعمال من الأكثر إلى الأقل، بخاضعة و أن آخر ما ذكر من هذه الحروف يعد نائرا في الاستعمال نحو شأن الوقف، حرفا الإنكار، حرفا التذكير. (7)

و قد لا ينطبق هذا التعليل على مبحث اللامات الذي ورد متأخرا في عرض ابن يعيش، و لكن تأخر هذا المبحث مرده إلى حاجة حرف اللام، و استعمالاته إلى كثير من الشرح و التفصيل. فالمؤلف عرض لهذا الحرف في طائفة حروف الإضافة من غير شرح مطول ولف، ليعود إليه بعد ذلك في هذا المبحث قائلا: "اللام من حروف المعاني. و هي كثيرة الاستعمال منتشرة للمواقع، و قد أكثر العلماء للكلام عليها و أفرد بعضهم لها كتابا تختص بها..." (8)

(1) انظر شرح المفصل 113/8 .

(2) انظر المرجع نفسه 118/8 .

(3) انظر المرجع نفسه 121/8 .

(4) المرجع نفسه 7/8 - 52 .

(5) انظر المرجع نفسه، 8/54 - 85 .

(6) المرجع نفسه، 10/8 .

(7) انظر ترتيب هذه الحروف في الجداول الذي سيلي ذكره بعد قليل .

(8) شرح المفصل 17/9 .

ج بحثه للحروف و أسلوب عرضه لها

1 كان عرض ابن يعيش للحروف خاصصا في مادته لترتيب شكلي و موضوعي، خال من التحليلات النوعية و الاستطرادات الفردية الذكية، إذ ركز ابن يعيش على الشروح العامة المسببة عن طريق إعطائه بعض التعليقات، و إكثاره من الملاحظات التي غلب عليها اتجاه الترس التحوي المنظم، من ذلك قوله عن الحروف المشبهة بالفعل : "قد تقدم الكلام على هذه الحروف قبل مفصلا، و نحن نشير إلى طرف منه مجملا، فعول: هذه الحروف تنصب الاسم و ترفع الخبر لشبهها بالفعل، و ذلك من وجهين أحدهما من جهة اللفظ و الآخر من جهة المعنى... (1)"

2 كان يبدأ شرحه للحرف، معتمدا على منهج متدرج، انطلاق فيه من مناقشة المصطلح العام لمجموعة الحروف، وبعدها ينتقل إلى تحديد جنس الكلمة في انتمائها إلى قسم هذه لطائفة من الحروف، ليصل في الأخير إلى عرض شروحه مع التمثيل، و إقامة المقارنات.

فمن مناقشاته للمصطلحات قوله عن طائفة حروف الاستفهام : "الاستفهام و الاستعلام و الاستخبار بمعنى واحد، فالاستفهام مصدر استفهم أي طلبت الفهم، و هذه السين تغيد الطلب و كذلك الاستعلام و الاستخبار مصدران استفهم و استخبرت، و لما كان الاستفهام معنى من المعاني لم يكن بد من أدوات تدل عليه، إذ الحروف هي الموضوع لإفادة المعاني، و حروفه ثلاثة: الهمزة، و هل، و أم... (2)"

و من أرائه في تحديد جنس الكلمة قوله عن رُبَّ : "... و من التلذذ على كون رب حرفا فنها توصل معنى للفعل إلى ما بعدها ليصال غيرها من حروف الجر... (3)"

و من شروحه المدعمة بالتمثيل قوله عن كي [حرف التعليل] : "... و ذلك أن من العرب من يقول: كيـمه فيدخل كي على ما الاستفهامية و يحذف ألفها تخفيفا و فرقا بينها و بين الخبرية ثم يدخل عليها هاء السكت لبيان الحركة فلو كانت كي هنا غير حرف جر، لم تدخل على ما الاستفهامية لأن عوامل الأفعال لا تدخل على الأسماء، و يدل على أن ما هنا استفهام حذف ألفها، و لا تحذف ألف ما إلا إذا كانت استفهاما عند تحول حرف الجر عليها نحو قوله: لمه؟ و يمه؟ و عمه؟ و إذا كانت حرف جر فالفعل بعدها ينتصب بنحسار أن كما يكون كذلك مع اللام في نحو قولك قصدتك لتكرمني و المراد لأن تكرمني... (4)"

3 دراسة ابن يعيش للحروف تميزت بتقديم القواعد الجاهزة من غير فحص و متابعة نقدية لما يقدمه، من ذلك قوله: عن الحرف رُبَّ : "... و هو نقيض كم في الخبر لأن كم للخبرية للتكثير و رُبَّ للتقليل تعود

(1) شرح المفصل 54/8 .

(2) المرجع نفسه 150/8 .

(3) المرجع نفسه 27/8 .

(4) المرجع نفسه 14/9 .

رُبَّ رَجُلٍ لَقِيْتَهُ أَيْ ذَلِكَ قَلِيلٌ، وَ هِيَ تَعِ فِي جَوَابِ مَنْ قَالَ، أَوْ قَدَرْتَ أَنَّهُ قَالَ: مَا لَقَيْتَ رَجُلًا فَقُلْتَ فِي
جَوَابِهِ رُبَّ رَجُلٍ لَقِيْتَهُ... (١)٣

٤- يعتمد ابن يعيش كثيرا إلى التقسيم الدقيق في الطائفة الواحدة من الحروف، مما يجنبه كثرة
الاستطرادات و الاستراكات، فبعد أن تناول مثلا مصطلح حروف الإضافة انتقل إلى تقسيمها إلى ثلاثة
أصرب هي: ضرب استعمله العرب حرفا، و ضرب استعمل اسما وحرفا، و ضرب استعمل حرفا
و فعلا. (2)

٥- لا يهمل ذكر عمل الحروف إذا كانت عاملة من ذلك قوله عن طائفة حروف الإضافة "... و تسمى
حروف الجر لأنها تجر ما بعدها من الأسماء أي تخفصها..." (3) و عما يعمل من حروف النفي قوله مثلا:
"... حملوا لا في ذلك على لم إلا أنهم لم يغيروا لفظ فعل بعد لا كما غيروا بعد لم لأن لا غير عاملة و لم
عاملة فاذك عيروا لفظ الفعل إلى المضارع ليظهر فيه أثر العمل." (4)٣

٦- تجاوز ذكر كل معاني الحروف، و هذا يعود إلى سببين هما:
كان مهتما بعرض القواعد و شرحها نحويا، أكثر من اهتمامه بعرض الدلالات و المعاني.
لم يعترف بظاهرة تناوب الحروف في قوله: "... و أما قوله تعالى ﴿لَا صَلَواتُكُمْ فِي جَنُوعٍ النَّخْلِ﴾ (5)
فليست في معنى على، على ما يظنه من لا تحقيق عنده، و لما كان الصلب بمعنى الاستقرار و التمكن، عُدِي
بفي كما يُعدى الاستقرار... (6)٣

د التوثيق اللغوي

كانت مادة التوثيق اللغوي الذي خصَّ بها ابن يعيش قسم الحروف يغلب عليها التمثيل و الاستشهاد بالشواهد
الكريمة أكثر من الشعر، بل إن المادة الشعرية، التي وفق بها المؤلف مواضع استعمال الحروف و توظيفها
هي التي استُعين بها في مفصل الزمخشري.

و قد فرصت طبيعة الشرح في الكتاب، شواهد قرآنية و شعرية أخرى، أملاهما لغرض الداخلي للمادة على
المؤلف لاعتماده منهج تفصيل المجل من القواعد و الأحكام التي بنى بها الزمخشري في مفصله. و لهذا السبب
ندت شواهد ابن يعيش منحى تعليميا تلقينيا، فعند حديثه عن عن و مجيئها ظرف مكان بمعنى الجهة يقول:

(1) شرح المفصل 26، 27، 8، إن إغادة رَبِّ للتقبل غالبا، صَحَّحَهُ وَ وَجَّهَهُ بعضهم، فقال ابن مالك: "أكثر النحويين يرون رَبَّ
معنى رَبِّ التَّعْبِيلِ، و أن ما يصدر بها المعنى هو الصحيح لأن معناها في الغالب التكثير، نصَّ على ذلك سيوريه و دلت شواهد النثر
و انظم عليه" انظر شواهد التوضيح و التصحيح لابن مالك 104، و الكتاب 161/2.

(2) انظر شرح المفصل 10/8 .

(3) المرجع نفسه 7/8 .

(4) المرجع نفسه 109/8 .

(5) منه 71 .

(6) شرح المفصل 21/8، انظر في ذلك الكتاب 226/4 و المنقصب 46، 45/1.

٩... نحو قول بعض العرب: بهمت من عليه أي من فوقه كقول الشاعر:

عَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْضُ الطَّلِّ بَعْدَ مَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ لَشَوَى فَتَرَقَّعَا (١)

فأما البيت الذي أئتمده صاحب الكتاب و هو:

عَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُوهَا نَصِلُ وَ عَنْ قَبَضِ يَزِيدَءَ مَجْهَلُ (٢)

البيت لمزاحم بن الحارث المعقلي و قبله:

قطعت بشو شاء كأن قسودها على خاضب يعلو الأماعر مجفل
ألك أم كثرية طلل فرخها لفسى بشروري كاليتبع المعيل

فالشو شاء الخفيفة، و الخاضب ذكر النعام، و الأمعر أرض غليظة، و مجفل، سريع لذهاب و قوله: ألك إنشاره إلى الظليم، أي ألك الظليم يشبه ناقتي في خفتها و سرعتها أم كثرية يعني قطاة هذه صفها، و بشروري جبل معروف و المعيل الميمل، و انظما ما بين الشريبتين، و نصل، تصوت... (٣)

لأنه لم يكن شواهد المفصل التي جاء بها التزمخشري، و إنما راح يدعمها بشواهد موضحة و متنوعة في الموسع الواحد. إذ يقول عند حديثه عن لا... و أمّا لا فحرف ناف أيضا، موضوع لنفي الفعل المستقل... و ربما نقوا بها لماضي نحو قوله تعالى ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٤)، أي لم يصدق و لم يصل، و منه قوله تعالى أيضا ﴿فَلَا اتَّخَذَ الْعَقَبَةَ﴾ (٥) أي لم يتخذه... (٦) و يواصل حديثه عن لا و شرحه لمواضع استعمالها فيقول: ... و قد تكون نهيا، فتجزم الأفعال، نحو قولك: لا ينطلق بكر و لا يخرج عمرو و قال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (٧)، و قال ﴿وَلَا تَطْغَبْ مِنْهُمْ آيَةً، أَوْ كَفُورًا﴾ (٨)، ﴿وَلَا تَطْغَبْ كُلَّ خَلْقٍ مَهِينٍ﴾ (٩)، و هو كثير جدا... (١٠)

و جملة القول إن شواهد ابن يعيش بخاصة الشعرية أعقبها في الغالب شروح لغوية مسهبة لمعانيها، و ألفاظها؛ مما جعل هذه الشروح تسيطر على مادة دلالات الحروف و شروحها.

هـ مأخذ على الكتاب

ما يمكن أن نلمسه من نقص في القسم الذي خصّصه ابن يعيش للحروف يتعلق أساسا بالعرض الداخلي للمادة لأن المنهج الوظيفي الذي التزمه المصنف، كان منهجا محكما و لو تخلله الترتيب الأبجدي لكان أكثر

- (١) من [المناويل] لم أجد إلى معرفة قائله.
- (٢) من [المناويل] لمزاحم بن الحارث المعقلي و هو من شواهد سيبويه، فطر الكتاب 231/4، و شرح شواهد المعنى 425/1.
- و شرح أبيات المعنى 265/3، و المفصل 288 .
- (٣) شرح المفصل 39، 38/8، فطر المفصل 288 .
- (٤) القيلة 31 .
- (٥) البلد 11 .
- (٦) شرح المفصل 108/8 .
- (٧) الإراء 37 .
- (٨) الإنسان 24 .
- (٩) القلم 10 .
- (١٠) شرح المفصل 109/8، فطر المفصل 306 .

أحكاماً. و لذلك يمكن إجمال مآخذ دراسته ابن يعقوب للحروف فيماني:

في العرض

- كرّر ذكر بعض الحروف و شرحها في أكثر من موضع في كتابه كاللام (1)، و لا (2)، و أن (3)،

و كي (4).

أما ذكر بعض الحروف نحو: لعلّ، و متى في طائفة حروف الإضافة، و بجل في طائفة حروف الإيجاب، و الهمزة الممدودة في طائفة حروف النداء، و لكاف في حروف الصلة، و غيرها من الحروف التي تجاوز الحديث عنها (5).

في الشرح

خاؤ مباحثه من الاجتهادات المبنية على الأسلوب التحليلي.

سيطرة المادة النحوية بشكل كبير على شروحه.

التعبد مع الإطناب في ترويض ما جاء به السامعون من غير تمحيص دقيق.

العرض الجاهز لمعاني الحروف و تقييدها بالمصطلحات و التفرعات الكثيرة.

- تغليب القواعد و الأحكام العامة الجاهزة على التحليل و الاستنباط.

في التوثيق:

- الالتفات بخاصة إلى قسرح و المعجمي و اللغوي لمفردات لشواهد شعرية، من غير التركيز على التخريج النقي لدلالات الحروف و استعمالها.

و الخلاصة التي يمكن أن نصل إليها في حديثنا عن هذا الكتاب في قسمه الخاص بالحروف، هي إقرارنا بأنّ عرضه للحروف هو العرض الوحيد المخالف للعروض السابقة (6) في إقتصاره على الحروف فقط دون غيرها من سائر المفردات الأخرى.

(1) انظر شرح المفصل 25/8 و 17/9 .

(2) انظر المرجع نفسه 136، 108/8 .

(3) انظر المرجع نفسه 142، 130/8 .

(4) انظر . المرجع نفسه 49/8 و 14/9 .

(5) انظر في تلك الجداول الذي سيأتي ذكره بعد قليل .

(6) أعني بذلك الكتب التي سبق الحديث عنها، و هي حروف المعاني للزجاجي، و وصف المباني في شرح حروف المعاني للمنفذ، و فقه اللغة و أسرار العربية للتمالي.

و جدول الحروف كما وردت في أصل الكتاب:

حروف الإضافة		حروف الإضافة		حروف الإضافة	
ما كان منها حرفاً و فعلاً		ما كان منها حرفاً و اسماً		ما كان منها حرفاً	
معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف
الاستثناء	حاشا	الاستعلاء	على	ابتداء الغاية	من
الاستثناء	عدا	المجاورة	عن	انتهاء الغاية	إلى
الاستثناء	خلا	التشبيه	الكاف	منتهى ابتداء الغاية	حتى
		ابتداء الغاية	مذ و منذ	الظرفية والوعاء	في
				الإصاق	إباء
				الاختصاص	اللام
				التقليل و التكثير	ربّ
				القسم	الواو
				القسم	الناء
				التعليل	كي
حروف التنفي		حروف العطف		الحروف المشبهة بالفعل	
معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف
نفي الحال	ما	مطلق الجمع	لواو	للتأكيد والتحقيق	إنّ
نفي تمسيع	لا	الترتيب بغير مهلة (التعقيب)	الفاء	للتأكيد والتحقيق	إنّ
نفي الماضي	لم	الترتيب بمهلة (الترأخي)	ثمّ	الاستدراك	لكنّ
نفي الماضي	لمّا	الترتيب مع (التدريج)	حتىّ	التشبيه	كأنّ
التنفي المؤكّد	لن	التسوية مع المتعاطفين	أو	التمني	ليت
نفي الحال	إنّ	مع التخيير التسوية بين المتعاطفين	أمّ إمّا	الترجي	لعلّ
		التسوية بين المتعاطفين	لا		
		التنفي	بل		
		الإضراب	لكن		
		الاستدراك			
حروف النداء		حروف التنبيه		حروف التنبيه	
معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف
نداء لقريب	إي	نداء القريب و البعيد	يا	تنبيه القريب	ها
نداء للقريب	أ	نداء البعيد	أيّا	تنبيه في الاستقبال	ألا
التنبيه	وا	نداء البعيد	هيا	تنبيه في الحال	أما

حروف التصديق والإيجاب		حروف الاستثناء		حرفا الخطاب		حروف الصلة	
للحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه
نعم	عده و تصديق	إلا	استثناء و حصر	الكاف	للخطاب	إن	التوكيد
بلى	رفع النفي و إبطاله	حاشا	الاستثناء		في ذلك ذلك	ما	التوكيد
أجل	التصديق	عدا	الاستثناء		هناك .	لا	التوكيد
جزر	التاكيد	خلا	الاستثناء	التاء	للخطاب	من	التوكيد
أي	تصديق مقرون بتقسم				في أنت	الباء	التوكيد
إن	أجل						

حرفا التفسير		الحرفان المصدريان		حروف التحضيض		حرف التقريب	
الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه
أما	تفسير لما قبلها .	ما	تحقيق مصدر في معنى الحال .	لولا	امتناع الشيء لوجود غيره ، و نفي التحضيض إذا كان ما بعدها في المستقبل .	قد	- التوقع مع الماضي و التشتت مع المضارع .
أن	التفسير بعد فعل في معنى للقول .	أن	تحقيق مصدر في معنى الحال .	لوما	للتحضيض إذا كان ما بعدها في المستقبل .		
				هلا	الامتناع و التوبيخ إذا أتى ما بعدها يدل على الماضي		
				إلا	الامتناع و التوبيخ إذا أتى ما بعدها يدل على الماضي		

حروف الاستقبال		حرفا الاستفهام		حرفا الشرط		حرف التعليل	
الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه
سوف	تفيس مُتَمَع .	لهمة	استفهام فيه طلب الفهم مع التصور .	إن	المستقبل	كي	التعليل بمعنى لام التعليل .
السين	تفيس .	هل	استفهام فيه طلب الفهم دون التصور .	لو	الماضي و التمني		
إن	الاستقبال .						
لا	الاستقبال						
إن	الاستقبال						

حرف الرفع		اللامات		تاء التانيث		التنوين		النون المؤكدة	
الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه
الرفع		لام	المعريف	التاء	للتانيث في دَهَرَتْ	التنوين	مثل	النون	
						اللاحق	تنوين	المؤكدة	
						للأسماء	للتكثير	للأحقة	
						لغير	و تنوين	للفعل	
						توكيد	التكثير	(ن) خفيفة التوكيد	
							و تنوين	(ن) ثقيلة التوكيد	
							المقبلة		
		لام	جواب القسم						
		اللام	للموطنة						
		اللام	للقسم						
			جواب						
			لو ولولا						
		لام	الأمر						
		لام	الابتداء						
		لام	للفارقة بين إنَّ						
			المعقبة						
			والنافية						
		لام	الجر (الوعد)						

هاء السكت		شين الوقف		حرفا الإكرار		حرفا التنكير	
الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه	الحرف	معناه
الهاء	للسكت في أمه؟	الشين	لوقف في عيش	الباء	للإكرار في أريدني	الألف	للتنكير في قال - قال
				الألف	للإكرار في أريدني	الواو	للتنكير في يقول - يقول

الفصل الثالث

المفردات وأسلوب عرضها عند ابن هشام

المبحث الأول: التجديد في منهج ابن هشام في معنى اللبيب

المبحث الثاني: طريقة عرض المفردات عند ابن هشام

المبحث الأول

التجديد في منهج ابن هشام في مغني اللبيب

1- مظاهر التجديد في المنهج العام للكتاب

2- مظاهر التجديد في منهج الباب الأول من الكتاب

1 مظاهر التجديد في المنهج العام للكتاب:

إن خطبة ابن هشام في كتابه **مغني اللبيب**، لم تحالك خطب الكتب السابقة له، التي لم تعتمد في غالب الأمر التتويه بالمصنف، و ذكر الدافع إلى وضعه دون تتبع معالمه الرئيسية التي تحدد المنهجية العلمية له. و كتاب ابن هشام **مغني اللبيب** من الكتب التي حاولت أن تتدارك القصور المنهجي في الكتب القديمة، و لذلك لجأ فيه صاحبه إلى اتخاذ أسلوب منهجي تعليمي يحثكم إلى الوضوح و الدقة. صدر ابن هشام مؤلفه بمقدمة سجل فيها لغات علمية عامة، و بوارق كاشفة عن أهمية الكتاب و قيمته و مكانته، و مستوى ملأته. و هذه المقدمة تشبه إلى حد كبير للمقدمات العلمية في عصرنا الحاضر، و التي يذكر فيها الباحث الأسباب و الحوافز التي دعت به إلى وضع مثل هذا التأليف، و الحديث عن الظروف و الملابسات التي ميزت الكيفية التي تم بها هذا الجهد، و إدراك الغاية منه، و تتبع التقسيم الذي يراه المؤلف صالحا لإيفاء الكتاب لغرضه العلمي، مع تحري الجديد في التقسيم و التفصيل... و إذا كان ابن هشام لم يشر إلى تلك الأسباب بترتيب منهجي دقيق، فإنه قيد كل شاردة بذليل، و وثق كل سبب بتاريخ أو ظرف معين، مما ساعدنا على حصر تلك الأسباب في ثلاثة أمور هي:

إرادة ابن هشام العلمية وحبه للاجتهاد من غير ياس أو ملل إذ قال:

«... و قد كنت في عام تسعة و أربعين و سبعمائة أشأت بمكة - زادها الله شرفا - كتابا في ذلك، متورا من أرجاء قواعده كل حال، ثم إنني أصبت به و بغيره في منصرفي إلى مصر، و لما من الله تعالى علي في عام ستة و خمسين بمعاودة حرم الله و المجاورة في خير بلاد الله، شعرت عن ساعد الاجتهاد ثلثا و استأنفت العمل لا كسلا، و لا متوقفا، و وضعت هذا التصنيف على أحسن إحكام و ترصيف...»⁽¹⁾ إن في حديث ابن هشام هذا إشارات علمية دقيقة، حذف من خلالها إلى أشأت أرشح و حسن شيف حديثه **مغني اللبيب**، و حتى يكون إثباته موثقا توثيقا صحيحا فقد عرض غير مسهب - لظروف التاريخية، و النفسية التي أحاطت به، كما بين باختصار مركز طريقة العمل التي اختارها لينجز هذا التصنيف كما أراده هو، و طمح إليه منفوعا في ذلك إلى الاجتهاد دفعا ملحا و قويا.

غزارة علم المؤلف و رغبته الملحة في العطاء عن طريق التأليف إذ قال مواصلا حديثه عن

المغني:

«... و مما حثني على وضعه أنني لما أشأت في معناه المقدمة للصغرى المسماة بالإعراب عن قواعد الإعراب، حسن وقعها عند أولي الألباب، و سار نفعها في جماعة الطلاب، مع أن الذي أودعته فيها بالنسبة إلى ما أخرته عنها كثرثرة من عقد نحر بل كقطرة من قطرات بحر...»⁽²⁾

(1) مغني اللبيب 12 .

(2) المصدر نفسه 12 .

و في قول ابن هشام توضيح للدافع القوي الذي حثه على وضع هذا الكتاب، فقد توقع مدى إقبال أصحاب العلم و الطلاب على مثل هذا العمل فوضعه لإغاثتهم و إغنائهم بما لم يوجد في مصنفاته الأخرى و مصنفات غيره.

الخروج عن المنهج التقليدي في التأليف إذ قال:

"... و اعلم أنني تأملت كتب الإعراب فإذا السبب الذي تقتضى طولها ثلاثة أمور:

"أحدها: كثرة التكرار..." (1)

"و الأمر الثاني: إيراد ما لا يتعلق بالإعراب كالكلام في اشتقاق اسم..." (2)

"و الثالث: إعراب الواضحات كالمبتدأ و خبره..." (3)

لقد وقف ابن هشام على النقائص التي اتسمت بها كتب الإعراب، في عصره، فعاب عليها الإطالة لشدة و التي مرددها هو اتباع تلك المصنفات لمنهج غير سليم في تقديم دروس الإعراب. إن هذا المنهج هو الذي استدعى الإطالة بسبب تقيده بالتكرار بالموضوعات غير النحوية، و بالحديث عما هو واضح، من الموضوعات النحوية التي أكثر من الحديث عنها كالمبتدأ و الخبر.

هذه الأسباب مجتمعة، هي التي حفزت ابن هشام على إخراج مثل هذا المصنف القيم، و لفرط اعتزله به، و إحسانه بحاجة الناس إليه. ساء المؤلف مقني اللبيب عن كتب الأعراب قائلا:

"... و لما تم هذا للتصنيف على الوجه الذي قصده، و تيسر فيه من لطائف المعارف ما لردته و اعتمدته. سمينه بمقني اللبيب عن كتب الأعراب و خطبتي به لمن ابتدأ في تعلم الإعراب، و لمن استمسك منه بأوثق الأسباب..." (4) و قد ارتأى ابن هشام أن يتبع منهجا خاصا في تقسيم مادة كتابه ليكون منفردا و متميزا يصدق عليه قول المؤلف فيه:

"... فتونك كتابا تشد الرحال فيما دونه، و تقف عنده فحول الرجال، و لا يعدونه، إذ كان للوضع في هذا الغرض، لم تسمح قريحة بمثاله، و لم ينسج ناسج على منواله" (5) و هذا لتأليف نسجه المؤلف من ثمانية أبواب ذكرها هي:

"الباب الأول: في تفسير المفردات، و ذكر أحكامها.

الباب الثاني: في تفسير الجمل، و ذكر أقسامها و أحكامها.

(1) مقني اللبيب 14 .

(2) المصدر نفسه 15 .

(3) المصدر نفسه 16 .

(4) المصدر نفسه 16 .

(5) المصدر نفسه 12 .

الباب الثالث: في ذكر ما يتردد بين المفردات والجمل، و هو الظرف والجار والمجرور و ذكر أحكامهما.

الباب الرابع: في ذكر أحكام يكثر دورها، و يفتح بالمعرب جهلها.

الباب الخامس: في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها.

الباب السادس: في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين و لاصواب خلافها.

الباب السابع: في كيفية الإعراب.

الباب الثامن: في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من السور الجزئية (1)

و من هذه الخطبة التي تعرض فيها المؤلف هذه الأمور، ينضح لنا أنه قد اتبع مسلكا علميا و منهجا موضوعيا، حيث لم يترك دلقا إلا و حلله، و لا عنوانا إلا و وضعه، و لا اختيارا إلا و ذكر أوليته، و لا مشكلة إلا و منبسطها، و لا إشارة إلا و قيدها... و لم يفت ابن هشام أن يبين الغرض الذي قصده.

من هذا المنهج، و هو تنليل النحو، و تقريبه إلى الأفهام، و تخليصه من الاضطراب الناتج عن اختلاط المسائل بعضها ببعض، و في هذا العمل خدمة للناشئين و تعييد أمام السالكين. (2)

و على أثر عم من أنني ركزت فقط على دراسة الباب الأول من الكتاب لوفرة مادته و الحاجة للبحث فيها و الكشف عن خفاياها، فإن هذا المنهج سيتضح أكثر بالمتابعة الداخلية لما جاء في عرض ثلاثة من أبوابه، و الوقوف على الخصائص الرئيسية لعرضه.

2 مظاهر التجديد في منهج الباب الأول من الكتاب:

إن المتصفح للكتاب يمكنه أن يعدد للوحة الأولى كتابا غير متخصص في دراسة الحروف، و هذا الأمر واضح لا يحتاج لنقاش أو لفراض إذا راعينا القنوب المتبع في تقسيم مادة الكتاب. لكن إذا تتبعنا محتويات تلك الأبواب و وقفنا عند الباب الأول الذي سماه في تفسير المفردات و ذكر أحكامها (3) فإننا نخلص إلى أن الباب الأول قد أخذ للحيز الأكبر من مادة الكتاب على خلاف الأبواب الأخرى مجتمعة مع بعضها، كما أنه استغل في مادته عرضا و منهجا، و لهذا السبب يمكن القول إن المادة مفصلة إلى قسمين كبيرين:

أولهما: خاص بالحروف و ما شابهها، مستقلة في منهجها و عرضها. (4)

ثانيهما: خاص بالجمل و اقتراب و ما شابهها (5)

و القسم الأول الذي اختص بالمفردات و بذكر أحكامها، هو مطلبنا بخاصة و أن المؤلف قد جعل من

(1) مغني اللبيب 13، 14.

(2) فطر في تلك المصدر نفسه 13.

(3) المصدر نفسه 17.

(4) فطر المصدر نفسه 17-489.

(5) فطر المصدر نفسه 490-918.

حروف المعاني فيه عمدة بحثة، موردا معها بعض الأسماء و الظروف التي استعان بها كضرورة لغوية رأى أن الحاجة ماسة إلى معرفتها زيادة في التحصيل و الاستفادة، و قد سماها جميعها بالمفردات فقال: "و أعني بالمفردات الحروف و ما تضمن معناها من الأسماء و الظروف، فإنها المحتاجة إلى ذلك..." (1) إن التسمية دقيقة و علمية وُضع من خلالها، للحرف و الاسم و الظروف و الفعل ... في إطاره الاصطلاحي الخاص به، إذ قال ابن هشام في ذلك: "و أعني بالمفردات الحروف، و ما تضمن معناها من الأسماء و الظروف فإنها المحتاجة إلى ذلك... و ربما ذكرت أسماء غير تلك و لفعلاً لمسيب الحاجة إلى شرحها..." (2)

و يقول أحد شراح هذه العبارة عن هذا الباب أنه ورد "... في تفسير المفردات أي بيان المعاني التي وضعت هي لها سواء كان وضعها لغوياً أم عرفياً، فيشمل المجاز قوله. و ذكر أحكامها أي كلياتها و حنفها و زياتها. و مراده بالحروف، ما كان معناها في غيرها. و قوله من الأسماء غير للظروف كـ من و ما الاستغمايتين و الظروف أي الأسماء للظروف كـ إذ و إذا..." (3)

و الناظر إلى الباب الأول يرى أنه معجم نفيس مرتب على الحروف الأبجدية، لمراجعة ما يعرض للمشتغل بالإعراب من الألفاظ و العوامل.

و ما أظن أن ابن هشام قد سبق إلى ذلك في توليته العناية الكاملة لهذا الباب، و في ترتيبه و تصدير الكتاب به. و هو الغفل عن كتابه: "... و تتبع فيه مفصلات مسائل الإعراب فافتحتها، و معضلات يستشكلها الدلائل فأوضححتها، و نقحتها، و أغلطا وقعت لجماعة من المعربين و غيرهم، فنبت عليها و أصلحتها..." (4) فالباب الأول أخذ الحجم الأكبر من مادة الكتاب و عُدّ بذلك مفاتيح الأبواب الأخرى. فافتتاح المقفل. و توضيح و تدقيق العويص، و التنبيه على الغلط و إسلاحه، من السمات الداخلية التي امتاز بها هذا الباب. لقد وردت مادته مستقلة بخاصيتها في ابتكار ابن هشام ترتيب عملي لها، و هذا الابتكار في الترتيب، و التقديم، اتسم به الكتاب كله، لأنه كان فيه "مجندا مبتكراً، لم يجر على سنن غيره، لو يُدر في فلك نحوي قبله، و من درسه استغنى به عن دراسة غيره لما فيه من حسن التقسيم، و جمال العرض، و قوة الابتكار و تذليل النحو لمن طلبه، و تعبيد الطريق لمن قصد..." (5).

و جملة القول عن الباب الأول من كتاب للمغني: إن ابن هشام قد طبعه بإرادته في أن يخطط له منهجا لم يسبق إليه في الكتاب عموماً. فأخذ هذا الباب مظهراً من مظاهر الابتكار، التي فتسم بها المنهج العام للكتاب الذي:

(1) معنى اللبيب 17.

(2) المصدر نفسه 17.

(3) حاشية السمرقاني على المغني 10/1.

(4) معنى اللبيب 12.

(5) المدرسة النحوية في مصر و الشام 372.

٣٠٠... لم يعمه على أبواب النحو المعروفة بل قسمه قسمين كبيرين، قسماً أفردته للحروف و الأتوات التي تنسبها
معانيها للبيان في لغتها، و معنى يوضح وظائفها و طرق استخدامها مع عرض بعض الآراء المتصلة بها
عرضاً باهراً. أما القسم الثاني فتحدث فيه عن أحكام الجملة و أقسامها المتنوعة... (١)
و نخلص إلى القول عن منهج ابن هشام في الباب الأول من كتاب المغني - أنه منهج متميز في البحث
للغوي، تتأغم فيه التفكير العلمي الحر المبدع، و الأسلوب المدرسي فحدث التناغم بينهما و تمثلت مادة هذا
الكتاب قسماً مستقلاً بذاته بالحديث فيه عن المفردات التي كان للحروف (٢) النصيب الأكبر فيها، و قد تتبع
ابن هشام استعمالاتها المختلفة من حيث للمعنى و التركيب، و الوظائف النحوية و البلاغية و غيرها فلم يهمل
بأمرها كبيراً.

(١) المدارس النحوية 347.

(٢) انظر الجداول التي سبقتي ذكرها بعد قليل في هذا الفصل .

المبحث الثاني

طريقة عرض المفردات عند ابن هشام

1- العرض الخارجي للمفردات

2- العرض الداخلي للمفردات

العلوم الإسلامية

احتلت هذه المفردات الصدارة في الكتاب حتى استقلت بمبحثها فكانت بمرتبة مفاتيح للمغالق اللغوية، و النحوية التي نواجهها في الأبواب التالية، أو في مصنفات أخرى من كتب النحو و اللغة... لقد كانت تلك المفردات مادة مزوجة بين اللغة و النحو، توخى المؤلف في عرضها أسلوباً مميزاً ترواح بين سهولة المبهج، و عمق العرض و التحليل، و قد قال منوهاً بالمنهج العام للكتاب: "... و وضعت هذا لتصنيف على أحسن إحكام و ترصيف..."^(١) و يبدو المؤلف من خلال قوله هذا معلماً سلكاً الطريق السهل، و متوخياً منهجاً عملياً، في تحقيق الغاية العلمية التحصيلية، لتلائمته و طلابه فقد قال عن كيفية ترتيبه للمفردات في الباب الأول: "... و قد رتبها على حروف المعجم ليسهل تناولها..."^(٢)

أ الترتيب الأبجدي للمفردات

من خلال ما عرضه المؤلف في مقدمة الكتاب، و ما مهد به لبابه الأول، يمكن القول إنه اختار الترتيب الأبجدي في عرض المفردات، لتقريب فائدة هذا الباب إلى الطلاب، مخالفاً في ذلك الذين سبقوه في رفضه النظرة النفاضية التي استبدوا بها في دراسة لقسام الكلمة العربية. إذ لم نجد مكاناً للحرف في مؤلفاتهم إلا ضمن عوارض الاسم و الفعل الإعرابية و السيقية كالجر و النصب و الاستقبال و الاستفهام و العطف على الرغم من قوة حضوره في التركيب، و كثرة دوراته في الكلام.

و أغلب الظن أن ابن هشام اعتمد في ترتيب مفردات الباب الأول على المنهج الأبجدي، ليسهل الأخذ به، و حفظ مادته، لأن الغاية التعليمية كانت مهيمنة على مصنفات القرن السابع الهجري، فمن الخصائص البينة في مصنفات هذه الفترة، الطابع التعليمي، أو المدرسي، الذي يعنى بتنظيم المادة العلمية في أسلوب يعبر الطلاب على استيعابها...^(٣)

و إذا كان المؤلف، من جهة أخرى يعترف في خطبة مصنفه بأن كتابه هذا هو شرح و تفصيل لتصنيفه السابق الإعراب عن قواعد الإعراب^(٤) فإننا نجد ضمن هذا الاعتراف تعليلاً آخر، يشير إلى سبب أو دافع اختيار المؤلف للترتيب الأبجدي أثناء عرض المادة في الباب الأول. و الذي يؤكد تميز هذا المنهج الترتيبي و أفضليته، على المناهج الترتيبية السابقة، في الكشف المعجمي عن تحديد المفردات و تعريفها و إيراد أحكامها فيستطيع بذلك الطالب لها أن يتتبعها و يستفصّلها.

و ليس في الأمر مبالغة إذا كنا قد عرفنا في الفصل السابق - أن الذين ألفوا قبل ابن هشام في حروف المعاني و ما شابهها، لم يتمكنوا من ضبط مناهجهم ضبطاً جيداً، فالذي ضبط منهجه من الخارج قلت منه

(١) معنى اللبيب ١٢ -

(٢) المصدر نفسه ١٧ -

(٣) ابن هشام الأصملي أنواره و مذهبه النحوي ٧ -

(٤) انظر معنى اللبيب ١٢، ١٣ -

رأى من الداخل من حيث انعدام القدرة على التحكم في المادة و شروحيها، فوردت إما نقولا مجمعة كثيرة أو عرضا متاخلا موجزا، أو شروحا مكررة جاهزة من خلال ترتيب بنيوي أو وظيفي أو ألفبائي.

و قد بدت القائدة في هذه المصنفات صعبة التحصيل، فالترتيب البنيوي⁽¹⁾ يتطلب عملية حسابية و حضورا لغويا دائما، مما يتعب المتلقي أو الدارس في معرفة الحروف نتيجة المزاحمة الذهنية لهذه الحروف في استعمالها أو لأنها تم ترتيبها ثانياً و قد تتدخل اللغات في تحديد بنية الكلمة الواحدة نحو لعل، عل، رتب، رتب، فيضطرب الترتيب و استقصاء المفردات بسقوط المفردة في لغة من اللغات، و استعمالها في لغة أخرى.

أما الترتيب الوظيفي، فإنه يدرس الحرف دراسة جزئية جاهزة، لا تعطي للحرف حقه كمفردة مستقلة بذاتها، كالاسم و الفعل، و لا تترك المجال بأخذ مادة الحرف أخذاً كلياً يمكناً من توظيفه بعد ذلك و للتدريب على استعمالاته المختلفة و معرفة أحكامه الدقيقة. فالنظرة الوظيفية الجزئية تنظر إلى الحرف من زلوية نحوية أو لغوية، و قلما تحدث المزاجية بين نوعي الدراستين، و غالباً ما تنحصر هذه الدراسة في الجانب النحوي، مما يضطر الباحث إلى الاستفسار عن دلالات معجمية أو قواعديّة أخرى ناتجة عن مقارنات أو مسائل أو أحكام متعلقة بالحرف ضمن طوائف و مجموعات مشتركة كحروف العطف أو حروف الجر، و الحروف المشبهة بالفعل و حروف الاستفهام... و حرف كحرف الهمزة في الاستفهام قد لا يعرض لأحكامه كالحذف، و مواضع صدارته و معانيه المتنوعة إذا ذكر ضمن طائفة من حروف و أدوات تشبيهه في الوظيفية.

بينما يعطي الترتيب الألفبائي الحرف الأول فيه من المفردة الإشارة لتداعي الحروف اللفظية. و شئ في حدودها تحضر الذهن مجموع الأحكام النحوية و اللغوية، فالترتيب الألفبائي إذن يعدّ أسهل تناولاً كما أنه أوسع منها في ذاكرة الباحث أو الطالب...

و هذا الترتيب الأخير هو الذي سلكه ابن هشام، و قد سماه بعضهم بالترتيب المعجمي كما ورد في أصل تعريف اللباب، لأن ابن هشام سار فيه²... عند الكلام على الأدوات و بيان معانيها على الترتيب المعجمي مبتدئاً بالألف المفردة و الكلمات التي تبدأ بها، ثم بالباء المفردة و الكلمات التي تبدأ بها... و هكذا في التاء و اللام و غيرهما...⁽²³⁾

إنه ترتيب نتولد عنه غزارة المادة، بحيث يتكرر ذكر الحرف و المفردة ضمن مقارنات لغوية و نحوية و بنيوية في مواضع كثيرة في نحو قوله عن هل: "حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون النصور و دون التصديق السلبي... و جميع أسماء الاستفهام فإنهم لطلب للنصور لا غير... و أعم من الجميع الهمزة فإنها مشتركة بين الطالبين..."

(1) انظر منهج الرماني في كتبه معاني الحروف هلمش الفصل الثاني 64.

(2) الجنى الثاني في حروف المعاني مقدمة المحقق 53.

و تفرق هل من الهمزة من عشرة أوجه...

أحدها: اختصاصها بالتصديق...

الثاني: اختصاصها بالإيجاب...

الثالث: تخصيصها المضارع بالاستقبال...

الرابع والخامس والسادس: أنها لا تدخل على الشرط، ولا على إن ولا على اسم بعده فعل في الاختيار...

و السابع والثامن: أنها تقع بعد العاطف، لا قبله، و بعد أم...

التاسع: أنه يراد بالاستفهام بها النفي، و لذلك دخلت على الخبر...

العاشر: أنها تأتي بمعنى قد، و ذلك مع الفعل... (1)

و قد نامس إلى جانب الترتيب الأبجدي الذي خطه ابن هشام للباب الأول ترتيباً بنوياً غير مقصود من المؤلف، حيث بدأ بالكلمة المفردة الأحادية ثم الثنائية، بعد ذلك بالثلاثية نحو: أ، آ، إيا (2). و الملاحظ أن الترتيب الأبجدي لم يكن سائراً بعد الحرف الأول من المفردة غير الأحادية على نظام تتابعي أبجدي، فقد ذكر الحرف إيا بعد الهمزة الممنوعة مباشرة، و أغلب الظن أن الاتفاق الوظيفي بين الحرفين: أ و إيا، قد سبق الترتيب المعجمي في ذهنه بين حروف النداء الثلاثة أ، آ، إيا.

و ابن هشام في ترتيبه للمفردات، و تقديمه كل حرف على غيره كان يراعي محبب محرف الأول و الثاني في ترتيبه الأبجدي نحو: أ، إيا، أجل، إذن (3)، فلو لا الحرف إيا لوردت هذه الحروف مرتبة ترتيباً دقيقاً، و لكن هذا الترتيب لم يلتزم به في غالب الأحيان مع بقية الحروف و المفردات الأخرى من ذلك مثلاً: جبي، إي و أي قبل إذ (4).

و وفق هذا الترتيب نظم ابن هشام مادة بابه الأول من كتابه المتكون من ثمانية أبواب، فانتهى لكل باب اسماً و عنواناً مناسباً، فلم يتجاوز في تسمية بابه الأول للمبدؤ و الأصول اللغوية و النحوية، و حتى حدود المفردات الواردة فيه. إذ قال فيه أحدهم: "...بؤبؤ ابن هشام كتابه ثمانية أبواب خصص الباب الأول منها لحروف المعاني و اختار له عنواناً موثقاً دقيقاً، إذ أطلق عليه في تفسير المفردات و ذكر أحكامها... (5)

(1) معنى اللبيب 456، 460 -

(2) المصدر نفسه 17، 29 .

(3) المصدر نفسه 17، 29، 30 -

(4) المصدر نفسه 105، 106، 111 -

(5) حروف المعاني للزجاجي مقدمة المحقق 39.

ب. توفيق ابن هشام في اختيار اللفظة مفردات تسمية للهب الأول

خُذْتُ أَطْلَعُ مُفْرَدَاتٍ أَكْثَرَ نَفَقَةً، فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَحْدُولَاتِ الْبَابِ الْأَوَّلِ، الَّذِي جُمِعَ فِيهِ ابْنُ هِشَامٍ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالظُّرُوفِ وَالْأَفْعَالِ وَالضَّمَامَاتِ، مِمَّا تَقَرُّضُهُ طَبِيعَةُ الْكِتَابِ وَمُهْجَةُ وَالْعِلَّةُ الْإِتْرَافِيَّةُ بِهِ بِذَلِكَ: ...⁴ وَأَعْنَى بِالْمُفْرَدَاتِ لِلْحُرُوفِ وَمَا تَضُمَّنُ مَعْنَاهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالظُّرُوفِ فَإِنَّهَا الْمُحْتَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ... وَرُبَّمَا تَكَرَّرَتْ أَسْمَاءٌ غَيْرُ ذَلِكَ، وَأَفْعَالًا لِمَيْسَرِ الْحَاجَةِ إِلَى شَرْحِهَا...⁵(1). وَبَيْنُو مِنْ خِلَالِ مَا اخْتَارَهُ ابْنُ هِشَامٍ لِبَابِهِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى وَعْيٍ نَامٍ بِمَا تَحْمِلُهُ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ، لَخَصَتْ مَجْهُودُ الْجَمْعِ، وَالتَّفْسِيرِ الَّذِي قَامَ بِهِ. وَإِذَا وَقَفْنَا أَمَامَ كَلِمَةٍ تَفْسِيرِ فَإِنَّهَا تَسْبِيحُنَا إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمُفْرَدَاتِ مَا زَالَتْ مَعَ تَأْلِيفِ الْمَقْصِي تَحْتَاجُ لِمَنْ يَفْسِرُهَا، وَبُضْبُطُ مَعَانِيهَا، وَبَثْرُكَ أَحْكَامَهَا. وَ لَا لَدَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عِبَارَتِهِ فَإِنَّهَا الْمُحْتَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ، فَفِي تَعْرِيفِهِ لَا أَلَا يَقُولُ: ...⁴حَرْفٌ تَحْضِيضُ، مَخْتَصٌ بِالْجَمَلِ لِلْفَعْلِيَةِ الْخَبَرِيَّةِ كَسَائِرِ أَلْوَفَاتِ لِلتَّحْضِيضِ...⁵(2).

و في تنبيه عن هذا الحرف يقول:

ليس من أقسام الالتي في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (3)، بل هذه كلمتان
 1. الناصبة، و لا النافية لو أنَّ المفسرة [أو المخففة من الثقلية] و لا الناهية، و لا موضع لها على هذا... (4)
 و في موضع حديثه عن إذ يقول هي:

‘على أربعة أوجه:

أحدها: أن تكون لسما للزمن الماضي، و لها أربعة استعمالات: أحدها: أن تكون ظرفاً، و هو الغالب نحو: **لَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** (5)

و الثاني: أن تكون مفعولا به نحو: وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرَكُمْ (6) و الغالب على المذكورة في أوائل الفصوص في التنزيل أن تكون مفعولا به، بتغيير الذكر نحو: وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ (7)، وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ (8)، وَ إِذْ لَوْحًا بِكُمْ الْبَحْرَ (9)... (10) و مثل هذه للوجوه و غيرها يُعَدُّ كُنْهًا عمليا عن وعي ابن هشام باستعمال كل مفردة استعمالا نقيضا تمثيليا، و دافعا قويا لتبني كل مفردة تتبعا صحيحا.

- (1) معنى الديق 17 .
- (2) المصدر نفسه 102 .
- (3) الكامل 30، 31 .
- (4) معنى الله 103 .
- (5) البقرة 40 .
- (6) الأعراف 86 .
- (7) البقرة 30 .
- (8) البقرة 34 .
- (9) البقرة 50 .
- (10) معنى الديق 111 .

و إذا كانت كتب أخرى قبل ابن هشام، قد عرضت لهذه المفردات بعضها أو كلها فإننا نقول: إن ابن هشام قد فاقها، باستقصائه لكل الحروف، من خلال الترتيب الذي اختاره لعرضها مركزاً على الحرف أو ما يشبهه من المفردات الأخرى التي تحتل مكاناً في التراكيب، فأعطى لكل مفردة حقها من التحليل و التوضيح عن طريق ضبط تفسيرها و معانيها و إبراد جميع أحكامها المسبقة و استنتاج و تخريج أحكام لها جديدة؛ من ذلك قوله في موضع حديثه عن مجيء عن سما، منابطاً هذا الاستعمال: ^{١٤}... لأن تكون اسماً بمعنى جقب، و ذلك يتعين في ثلاثة مواضع:

أحدها: أن يدخل عليها من و هو كثير كقوله:

فَلَقَدْ لَرَّاتِي لِلرَّيْمِاجِ دَرِيْنَةً مِنْ عَن يَمِيْنِي مَرَّةً وَ لَمَلَمِي (2)
و يحتمله عندي: ثُمَّ لَا يَبِيْنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ (3) فتعذر معطوفة على مجرور من لا على من و مجرورها...

الثاني: أن يدخل عليها على و ذلك نادر، و للمحفوظ منه بيت، و هو قوله:

نَمَى عَنْ يَمِيْنِي مَرَّتَ الْعَطِيْرُ سُبْحًا (4).....

الثالث: أن يكون مجرورها و فاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد... (5)

أعد كانت التسمية التي اختارها ابن هشام للباب الأول من الكتاب، أشبه بالقاعدة الجزئية اللغوية النحوية، التي يجب أن تُحفظ لإدراك القواعد الكلية الواردة في الأبواب الأخرى، و المقصورة بخاصة على فكاليات من المسائل النحوية في تفسير التراكيب من الجمل؛ و اعتمد في ذلك التطبيق التحليلي على التقعيد النظري في اللغة: لتكون طريقته بعيدة عن الجمود و العموميات لأنَّ الأمثلة التي يحتويها الكتاب ليست كلها من مجال النحو، بل فيها شيء غير قليل من لدرس البلاغي، تلك مفهوم من الغرض من تأليف الكتاب، لأنه لم يقتضه للمبتدئين في درس النحو شأن شذور الذهب، و إنما قدمه للذين عرفوا أصول العربية، و استمسكوا منها؛ كما يقول - بأوثق الأساليب (6) - و هذا لا يمنع المبتدئين من جماعة الطلاب و لولي الأبواب من الانتفاع به لعموم فائدته و دقة منهجه (7).

(1) لسمار الجنول الذي سيلقي ذكره بعد حين في هذا الفصل.

(2) من [الكامل] لعطري بن العجاء، انظر شرح شواهد المعنى 438/1، و شرح ليلت المعنى 310/3 .

(3) الأعراف 17 .

(4) و تمامه وَ كَيْفَ سَوَّخٌ وَ أَيْمِيْنٌ قَطِيْعٌ مِّنَ [العطري] غفله مجهول، انظر شرح شواهد المعنى 440/1، و شرح ليلت المعنى 312/3 .

(5) معنى لليبب 199 .

(6) ابن هشام الإصصاري حقيقته و منهجه النحوي 51 .

(7) انظر معنى اللبيب 13 .

ج جدول المفردات كما وردت في أصل الكتاب مرتبة ترتيبا ألفبانيا

المفردة	نوعها	المفردة	نوعها	المفردة	نوعها
حرف الألف (1)		أَيَّ	حرف	حرف العاء المهملة	
الألف المفردة	حرف	أَيَّ	حرف	حاشا	حرف و فعل
الألف بالمد آ	حرف	إِذْ	ظرف	حَتَّى	حرف
إِذَا	حرف	إِنَّمَا	أداة شرط	حَيْثُ	ظرف
أَحَدٌ	حرف	إِذَا	[حرف اسم]	حرف الخاء	
إِذَنْ	حرف	لِيَمِنْ	ظرف	خَلَا	حرف و فعل
إِنْ	حرف	لِيَمِنْ	اسم	حرف الزاء	حرف
إِنَّ	حرف	حرف اللباء	حرف	رَبِّ	حرف
إِنَّ	حرف	لِلْبَاءِ	حرف	حرف السين المهملة	
إِنَّ	حرف	لِلْبَاءِ	حرف	لِلْسِينِ	حرف
إِنَّ	حرف	يَجَلْ	حرف	سَوْفَ	حرف
إِنَّ	حرف	بَلْ	حرف	سَيَّ	اسم
أَمْ	حرف	بَلَى	حرف	سَوَاءٌ	اسم
أَلْ	حرف	بَيِّدْ	بيد	حرف العين المهملة	
أَلَمْ	حرف	بَلْه	اسم فعل	عَدَا	حرف و فعل
أَلَمْ	حرف	حرف التاء		عَلَى	حرف و اسم
أَلَمْ	حرف	لِتَاءِ	حرف و ضمير	عَنْ	حرف و اسم
أَلَمْ	حرف	حرف التاء		عَوْضُ	ظرف
أَلَمْ	حرف	نَمْ	حرف	عَسَى	فعل
أَلَمْ	حرف	نَمْ	حرف	عَلْ	ظرف
أَلَمْ (2)	حرف	حرف الجيم		عَلْ	حرف
بَلَى	حرف	جَبَر	حرف	عَنْدَ وَ لَدَى وَ لَدُنْ	ظرف
بَلَى	حرف	جَلَلْ	حرف	حرف الفين المعجمة	
				غَيْرَ	اسم

- (1) وردت هكذا في أصل الكتاب، مراعاة للترتيب الألفبائي، و حقيقة هذه الألف همزة أما الألف المراد بها الحرف الهوائي الممتنع الابتداء به، فقد ورد ذكرها في آخر الكتاب قبل حرف الياء، الطر حقيقي لليبب 484.
- (2) و في أثناء تفسير ابن هشام لهذا الحرف عرض أيضا للحديث عن الحرف هَلَمْ مستغنيا فيما بعد عن ذكره، و إيراده مع مفردات حرف الهاء حسب الترتيب الألفبائي الذي تتبعه.

نوعها	المفردة	نوعها	المفردة	نوعها	المفردة
	حرف الواو	حرف	لم		حرف الفاء
حرف و ضمير	لواو للمفردة	حرف	لما	حرف	الفاء المفردة
حرف	لواو	حرف	لن	حرف	في
حرف و ضمير	حرف الألف (ا)	حرف	ليت		حرف القاف
	حرف الياء	حرف	لعل	حرف و اسم فعل	قد
حرف و ضمير	الياء المفردة	حرف	لكن	ظرف	قد
حرف	يا	حرف	لكن		حرف الكاف
		فعل	ليس	حرف	الكاف المفردة
			حرف الميم	حرف و اسم	كي
		حرف و اسم	ما	اسم	كم
		حرف	من	اسم	كاي
		اسم	من	اسم	كنا
		اسم	مهما	حرف	كلا
		ظرف	مع	حرف	كل
		اسم و حرف	متى	اسم	كل
		حرف	منذ	اسمان	كلا و كلنا
		حرف	منذ	اسم	كيف
			حرف النون		حرف اللام
		حرف و ضمير	النون المفردة	حرف	للان للمفردة
		حرف	نعم	حرف	لا
			حرف الهاء	حرف	لات
		اسم و فعل و ضمير و حروف	الياء المفردة	حرف	لو
		اسم و فعل و ضمير	ها	حرف	لولا
		حرف	هل	حرف	لوما
		ضمير و حرف	هو		

2 العرض الداخلي للمفردات:

لقد وضع ابن هشام طريقته في العرض الداخلي للحروف، وبقية المفردات الأخرى، عندما صرح بمنهجه في عرض المادة الكتابية للكتاب إذ قال: "...و تتبع في مقفات مسائل الإعراب فافتحتها، و معجلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها، و نفتحتها، و أغلظا وقعت لجماعة المعربين و غيرهم، فنبهت عليها و أصلحتها..."⁽¹⁾

لم يكن ابن هشام مبالغاً فيما قاله، فقد تناول كل مفردة بشرح مفصل و توضيح مبسط، يتضح ذلك فيما هو أت؛ و اعتمد في ذلك على حل المشكل و وضع حد لكل خلاف، متبعاً طريقة التحليل و التفهيم و التصحيح، مما يفتق القرائح اللغوية، و يغذي الحافظة النحوية. فمن أحد وجوه استعمالاته إذ يقول: "و الوجه الثاني: أن تكون اسماً للزمن المستقبل، نحو ﴿يَوْمَئِذٍ تَحَبَّبْتُ لَأَخْبَلَهَا﴾ (2) و الجمهور لا يثبتون هذا القسم، و يجعلون الآية من باب ﴿و نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ (3) أعني من تنزيل للمستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع، و قد يحتج لغيرهم بقوله تعالى ﴿الْمُتَوَفَّيَاتِ يَتَعَلَّمُونَ إِذْ أُنْزِلَتْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ (4) فإن ﴿يَتَعَلَّمُونَ﴾ مستقبل لفظاً و معنى. لدخول حرف التنفيس عليه، و قد أعمل في إذ، فيلزم أن يكون بمنزلة إذ (5)

و على نحو هذا المثال، يعرض ابن هشام القضايا اللغوية و النحوية المتعلقة بشرح المفردات، و بتعبير أحد المحدثين في مجال حديثه عن الكتاب فإنني "...لا أراهم بعد هذا في حاجة إلى ذكر أمثلة منه [أي للكتاب] نوضح ما ذكرناه عن منهج ابن هشام فيه، و ذلك لأن كل مسألة من مسائل هذا الكتاب يتضح فيها منهجه و تنظيم خطته..."⁽⁶⁾ التي بدت مميزة و واضحة في باب عرض المفردات التي "...مضى يوضح وظائفها، و طرق استخدامها مع عرض جميع الآراء المتصلة بها عرضاً باهراً..."⁽⁷⁾

إن كان العرض الذكي لمادة الكتاب، من الداخل، من سمات الابتكار عند ابن هشام، و يتمثل هذا الابتكار في القسم الأول من الكتاب، من حيث التوزيع الداخلي للمادة لا الخارجي [الألفبائي] و قد تميز هذا العرض الداخلي بالخصائص التالية:

(1) معنى القليب 12 .

(2) الزلزلة 4 .

(3) الكهف 99 .

(4) غافر 70، 71 .

(5) معنى القليب 113 .

(6) المدرسة النحوية في مصر و الشام 375 .

(7) المدارس النحوية 371 .

بدأ ابن هشام عرضه للداخلية لمادة الحروف، و الأنوف الأخرى، بذكر الحرف الألفبائي، الذي من خلاله تتعين الحروف، و المفردات المنتمية إلى هذا الحرف؛ و غالباً ما يبدأ بالحرف الأحادي إذا كان منه حرف المعنى الأحادي أتليه بعد ذلك الحروف و المفردات الأخرى، مرفقاً ذكر كل حرف لو مفردة بوجوه استعمالها عن طريق التفسير و المناقشة، و عرض الأحكام الوظيفية لمختلفة لها، نحو قوله:

”حرف الألف

الألف المفردة: تأتي على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرفاً ينادى به القريب كقوله:

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا لِلتَّكَلُّفِ (1)

و الثاني: أن تكون للاستفهام، و حقيقته طلب الفهم نحو أزيد قلتم؟(2)

و ابن هشام لا يتغاضى عن التفصيلات الدقيقة، إذا احتاج الوجه الواحد من وجوه الحرف، لو للمفردة الواحدة إلى مثل ذلك التفصيل، فيعتمد النقاش و التحليل، و قد يربط الوجه السابق بلاحقه، إذ نراه مثلاً يوضح الرأي الذي يقول باجتماع النداء و الاستفهام في القراءة التالية:

”... ۞ أَمَنْ هُوَ قَلْبُ أَنْأَمَ اللَّيْلِ ۞ (3) فيقول محلاً: ۞ و كون الهمزة فيه للنداء هو قول للفراء، و يبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير يا و يقر به سلامته من دعوى المجاز، إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، و من دعوى كثرة الحذف، إذ التفسير عند من جعلها للاستفهام: أَمَنْ هُوَ قَلْبُ خَيْر أم هذا للكافر؟ أي المخاطب بقوله تعالى ۞ قُلْ تَمَنَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۞ (4) فحذف شينان معادل الهمزة و الخبر... (5)“

و الملاحظ أن ابن هشام لم يكتف بالعرض البسيط الجاهز للمادة بل تمتد من مثل هذه التحليلات و المعاني القرآنية، خيطاً يصله بكل شاردة و واردة توثيقية، تدعم تحليله لمعنى الحرف، وتستحضر به جميع أحكامه؛ وفي موضع ذكره حذف معادل الهمزة في لغة العرب قال مستشهداً: ”... و نظيره في حذف المعادل قول أبي نؤيب الهنلي:

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ بَنِي لَأْمَرِهِ سَمِعَ قَمًا لَدِي لَوْ شِئْتَ طَلَبَهَا؟ (6)(7)

(1) سبق بوثيقه في الفصل الثاني ٩٩.

(2) معنى اللبيب 17 .

(3) الرمر 9 .

(4) الرمر 8 .

(5) معنى اللبيب 18 .

(6) من [المطوّل] لأبي نؤيب الهنلي، انظر شرح شواهد المعنى 26/1 وشرح لبيت المعنى 22/1 .

(7) معنى اللبيب 18 .

و بنو عطية ابن هشام في مناقضاته متحررة غير مفيدة برأي أو متعصبة لمذهب، بحيث تتداعى المسائل النحوية، وتكثر الملاحظات اللغوية الاستعرائية، فتتسع مدارك المتلقي، ويُفتح له باب الاجتهاد و الرد و الانعقاد المر... من ذلك قوله مواصلاً حديثه عن الهمزة:

"...و لك أن تقول: لا حاجة إلى تقدير معادل في البيت لصحة قولك:

ما أدري هل طلابها رشد، و امتناع أن يؤتى له هل بمعادل، وكذلك لا حاجة في الآية (1) إلى تقدير معادل لصحة تقدير الخبر بقولك لمن ليس كذلك... (2)

آية بصح بموضوعية، تجعلك تطرح الرأي الخاطئ دون تحيز أو تحسف نحو "... و قد قالوا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ هُوَ قَائِمًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (3) إلى التقدير كمن ليس كذلك أو لم يوحده... (4) و لا يقف ابن هشام في عرضه لأحكام الحرف أو المفردة عند هذا الحد بل يأتي بتفريعات كثيرة على التنظير و تسببت و البحث، من ذلك قوله في تنبيهه عن الهمزة:

"قد نفع الهمزة فعلاً، وذلك لهم يقولون وَآى بمعنى وعد، ومضارعه يَنْسِي بحذف الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة، كما تقول: وفى يفى، و وثى ينى، والأمر منه إه بحذف اللام للأمر، وباللهاء للسكت في الوقف. وعلى ذلك يتخرج اللغز المشهور، وهو قوله:

بِئْسَ هَذَا الْمَلِيحَةُ الْحَسَنَاءُ وَآى مَنْ لَضَمَّرَتْ لِيْلَ وَفَاءً. (5) (6)

ب الربط بين الأداة المفردة و مجموعتها في الوظيفة

كان ابن هشام في لثناء ربطه للحرف أو الأداة بوظيفتها يعتمد إلى تتبع أحكامها اللغوية والنحوية المختلفة. عن طريق المعارف والتحليلات إذ قال: "... والألف أصل أدوات الاستفهام، ولهذا خصت بأحكام أحدها: جواز حذفها سواء تقدمت على أم كقول عمر ابن أبي ربيعة:

بَدَلِي مِنْهَا بِمَعْصَمٍ حِينَ جَمَرْتُ وَكَفَّ خَضِيبٌ رُبَّتْ يَتْنَانِ
فَوَا قَلَّهَ مَا لَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا بِسَبْعِ زَمَيْنَ الْجَمْرُ أَمْ يَتْمَانِ (7) (8)

(1) آية الزمر السابعة.

(2) معنى اللبيب 18.

(3) الرعد 83.

(4) معنى اللبيب 18.

(5) من [الحقيف] فأنله مجهول، و قد أهمله المبروطي في شرح شواهد المعنى، أما البغدادي فقد عراه على ما ذهب إليه ابن الفصاح لأبي يعقوب بن يوسف الدباغ الصقلي، انظر شرح ليلت المعنى 58/1.

(6) معنى اللبيب 27.

(7) من [الداويل] لعمر بن أبي ربيعة، وهو من شواهد سيويوه، انظر الكتاب 175/3، وشرح شواهد المعنى 31/1، و شرح ليلت المعنى 26/1.

(8) معنى اللبيب 19، 20.

و بعد حديثه عن هل قال:

«حرف موصوخ لطلب التصديق الإيجابي، دون النصور و دون التصديق السلبي، فيمتنع نحو هل زيدا ضربت لأن قائم الاسم يمتنع بحصول التصديق بنفس النسبة، و نحو هل زيد قائم أم عمرو؟ إذا أريد بأم المتصلة، و هل لم يقم زيد؟ و نظيرها في الاختصاص بطلب التصديق أم المنقطعة. و عكسهما أم المتصلة، و حسب أسماء الأفعال فإن لطلب النصور لا غير، و أعم من الجميع الهمزة فإنها مشتركة بين الطلبين»⁽¹⁾

و بعد حديثه عن نعم قال:

«و الحاصل أن بلى لا تأتي إلا بعد نفي، و أن لا تأتي إلا بعد إيجاب، و أن نعم تأتي بعدهما...»⁽²⁾

ج تذييل تفسيره و تحليله لأحكام الأداة بملحق متتوعة

في كثير من عروض المفردات لبع ابن هشام تفسيراته و شروحه بتبنيه، قد يكون استدراكا أو تصحيحا، أو أعراب -مختل-، أو عرص رأي مخالف، أو تفيد مشاركة لغوية أو لفظة نحوية، فإدى هذا الأمر إلى بروز ظاهره توليد المسائل و القضايا بطريقة منهجية ذكية في الباب الأول من الكتاب؛ و قد تمثلت هذه الطريقة في إيراد ابن هشام مسائل و تنبيهات و استدراكات ألحقها بتحليلاته و شروحه، مما جعل عرصه الداخلي للمفردات يتميز عن مناهج السابقين. ذكر أحد الذين وازنوا بين طريقة ابن هشام في حديثه عن حروف المعاني. و بين طريقة المرادي في كتابه الجنى الداني في حروف المعاني فقال:

«... ذكرنا أن المرادي كان في الجنى صاحب ترجيحات، و اختيار لمذاهب النحاة، و بالرغم من هذا لم يصل إلى مستوى ابن هشام، الذي يبدو ذا عقلية منحررة و ثقافة أوسع، مع كثرة المناقشة للمسائل و الرد و الأخذ عن النحاة، و له ترجيحات و استدراكات في غاية التحقيق...»⁽³⁾

من تلك قوله في تنبيه يخص الحرف إن:

«بأن يإن فعلا مانعيا مستندا لجماعة المؤنث من الأين و هو التعت...»⁽⁴⁾، و قد لا يكتفي بالتنبيه الواحد في الموضع نفسه فيقول:

«... في الصحاح الأين الإعياء، و قال أبو زيد⁽⁵⁾ لا يبنى منه فعل انتهى. فعلى قول أبي زيد يسقط بعض الأقسام.»⁽⁶⁾

(1) مصر: الداء 456، 457.

(2) المصدر: ص 452.

(3) الجنى الداني في حروف المعاني معتمدا للمحقق 54، 53.

(4) معنى اللبيب 59.

(5) أبو زيد هو سعيد بن أوس الأنصاري (ت 215 هـ) من العلماء البصريين الأولاد في اللغة، عثر ترجمته في شيفلت المحررين و اللعوين 166، 165.

(6) معنى اللبيب 59.

و لم يكن التنبيه، هو الملحق الوحيد الذي يدعم به ابن هشام أحكام المفردة و أحوالها، بل يأتي أحياناً بمسألة أو مسائل تستوقف الدارس للبحث و تعوي تحصيله. و عادة ما تكون المسألة لطول عرضاً من التنبيه، إذ هي نحصيل حاصل، لتفصيلات أساسية، يعتمد فيها التحليل النقي لإشكال لغوي أو نحوي، و كل ما يعرض لهذا الإشكال من ملازمات مكافئة و زمانية، إذا احتاج الأمر لذلك؛ نحو إيراد في موضع إذا مسألة العقرب و الزنبور⁽¹⁾ و كل ما قيل فيها و ما قلوا عنها، فبدأ بقوله:

«قالت العرب: قد كنت أظن أن العقرب أشدُّ لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، و قلوا أيضاً: فإذا هو إياها. و هذا هو الوجه الذي أنكره سيبويه لما سأله للكساني...»⁽²⁾

و ينتقل ابن هشام بعد هذا مباشرة إلى عرض تفاصيل هذه المسألة إلى أن يقول:

«... و لقد أحسن الإمام الأديب أبو الحسن حازم بن محمد الأنصاري القرطاجني إذ قال في منظومته في النحو حاكياً هذه الواقعة و المسألة.

لذلك أعييت على الألفاظ مسألة
أهدت إلى سيبويه الحنف و الغمما
قد كانت العقرب للعوجاء أحبها
فإنما لشد من الزنبور وقع حمما
و في الجواب عليها هل إذا هو هي
لو دل إذا هو إياها قد اختصما
و خطأ ابن زياد و ابن حمزة في
ما قال فيها لها بشر و قد ظلما.

و ليس يخلو مرؤ من حاسد أضيم
لولا التنافس في الدنيا لما أضما
و قعبن في العلم أشجى محنة علمت
و أبرح الناس شجوا عالم هضمما⁽³⁾ (4)

و لا يترك ابن هشام مجالاً للاستفسار، إذ تتبع للمنظومة -التي اقتطعنا جزءاً منها- بشرح ما غمض من كلمات و معاني و مقاصد بعض العبارات، و التعريف بما ورد فيها من أسماء... لينتقل بعد ذلك إلى إيداء رأيه في المسألة، و تحليل الوجوه التمثيلية التي وردت فيها، فمن شروحه لما ورد في المتن قوله:

«و ابن زياد: هو الفراء، و اسمه يحيى، و ابن حمزة: هو الكساني، و اسمه علي، و أبو بشر: سيبويه و اسمه عمرو، و ألف ظلما للتنبيه إن بنيته للفاعل، و للإطلاق إن بنيته للمفعول... و أضيم كمضرب وزا و معنى،

(1) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأباري المسألة التاسعة و التسعون 7102/2 .

(2) معنى اللبيب 121.

(3) هذه أبيات مقطوعة من قصيدة طويلة نظمها الأديب الفقيه حازم القرطاجني (ت 684 هـ) في المسألة الزنبورية فأنصف فيها سيبويه و انتصر له هو في ذلك بعد إماما في النحو، و العروض و البيان. انظر ترجمته بالتفصيل في شذرات الذهب 87/5 و البلقة 50.

(4) معنى اللبيب 123 .

و إعجام الضاد، و الوصف منه أضم كفرح و هضم: مبني للمفعول، أي لم يوف حقه. (13)

و من ترجيحاته و أرفقه قوله في تخريج هذه المسألة و توجيهها:

... و أما سؤال الكسفي فجوابه ما قاله سيبويه، و هو فإذا هو هي هذا وجه الكلام، مثل ﴿فإذا هي
بوضاء﴾ (2)، ﴿فإذا هي حية﴾ (3)، و أما فإذا هو إياها إن ثبت فخرج عن القياس، و استعمال الفصحاء
كالجزم بأن و النصب بـ لم و الجر بـ لعل و سيبويه و أصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك، و إن تكلم بعض
العرب به... (4)

و المنهج الداخلي في عرض المادة يبدو عفويا في تقسيماته و فروعها حيث نلاحظ تقاربا كبيرا بين محتوى
التبويب و المسألة و قد يسمي ذلك فرعا أو فصلا، و قد يقسم دراسته للحرف الواحد إلى فصول، و قد يأتي
بأكثر من مسألة أو أكثر من تنبيه في المفردة الواحدة، من ذلك تقسيم دراسته لـ إذا بعد عرض وجوها إلى:

الفصل الأول: في خروجها عن الظرفية (5)

الفصل الثاني: في خروجها عن الاستقبال (6)

الفصل الثالث: في خروج إذا عن الشرطية (7)

و من ذلك أيضا تنبيهه للمفردة عند بقوله: تنبيهان (8)

و المفردة غير بقوله: تنبيهان (9)

و لا نخلو للتنبيهات و المسائل و الفصول و الفروع التي أوردها ابن هشام من تنبيهات و توجيهات، لسيطرة
التحليل و التمثيل اللغوي و النحوي عليها، يقول في موضع حديثه عن ما: ³ و هذا فصل عهده للتدريب في ما
يقوله تعالى ﴿مَا آغَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ﴾ (10) تحتمل ما الأولى: النافية أي لم يغن، و الاستفهامية،
فتكون مفعولا مطلقا، و التقدير: أي إغناء، و يضعف كونه مبتدأ بحذف للمفعول المضممر حينئذ، إذ تقديره أي
إغناء أغناه عنه ماله، و هو نظير زيد ضربت إلا أن الهاء المحذوفة في الآية مفعول مطلق، و في المثال
مفعول به، و أما ما لثانية فموصول لسمي أو حرفي أي و الذي كسبه أو كسبه، و قد يضعف الاسم

(1) معنى اللبيب 124 .

(2) الأعراف 108 .

(3) ملة 20 .

(4) معنى اللبيب 125 .

(5) المصدر نفسه 128 .

(6) المصدر نفسه 129 .

(7) المصدر نفسه 135 .

(8) المصدر نفسه 207 .

(9) المصدر نفسه 211 .

(10) المسد 2 .

بأنه إذا قدر و الذي كسبه لزم التكرار لتقدم ذكر المال... (1)

د الربط بين الأحكام النحوية و الشروح اللغوية في الشاهد الواحد المذكور

و لا يكفي ابن هشام في إثبات عرضه للحرف أو المفردة بالتفسير و التدريب و ذكر الأحكام، بل يتجاوز ذلك أحياناً إلى نقد الشاهد، و تصويبه على الرغم من ندرته في الاستعمال، مبيناً المسائل و الأحكام النحوية و دلالات اللغوية للحرف، و إعراب التراكيب من ذلك قوله: "... و وقع في شعر لمتنبي زيادة الباء في فاعل كفي المنعنية لولحد قل:

كَفَى ثَعْلًا فخرًا بَلَّكَ مِنْهُمْ وَ دَهْرًا لَأَنْ لَمَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلٌ (2)

و لم أر من انتقد عليه ذلك، فهذا إما لسهو عن شرط الزيادة، لو جعلهم هذه الزيادة من قبيل الضرورة كسبائتي، أو لتقدير الفاعل غير مجرور بالباء، و ثعل: رهط الممدوح و هم بطن من طيء، و صرفه للضرورة إذ فيه العدل و العظمية كعمر، و دهر: مرفوع عند ابن جني بتقدير و ليفخر دهر، و أهل: صفة له بمعنى مستحق، و اللام متعلقة بأهل... (3)

و قد استعان ابن هشام بطريقته هذه على تنبيهنا إلى تتبع الاستعمالات تتبعاً دقيقاً و إلى توضيح كل ما يشترط علينا من إعراب، فتتسع بذلك دائرة استعمال الشاهد عن طريق تصويبه و توجيهه.

هـ - الابتعاد عن التكرار و اختيار المنهج التلخيصي في الربط بين الأحكام

إن ابن هشام في عرضه للمفردات و بخاصة الحروف لم يعمد إلى الفصل بينها، و بين التراكيب المختلفة الواردة فيها، مما يجعل المعاني و الحروف ترتبط عنده ارتباطاً نسبيّاً، عن طريق نقاش و تحليل المادة من الداخل، فتتمثل بوضوح في طريقته منهج التفسير اللغوي الوظيفي لدلالات الحروف و الأنوات. و قد كان هذا المنهج خالياً من التكرار لاستناد ابن هشام إلى مبدأ الإحالة، من ذلك قوله في موضع حديثه عن إن: "... و حيث وجدت إن و بعدها اللام المفتوحة كما في هذه المسألة فحكم عليها بأن أصلها التثنية، و في هذه اللام خلاف يلتي في باب اللام إن شاء الله... (4)

و قوله في موضع حديثه عن ل:

"... و فيها بحث سيلتي في باب (5) اللام... (6)

و قوله في موضع حديثه عن الواو:

-
- (1) معني اللبيب 414 ، 415 .
(2) من [الطويل] و هو للمتنبي و هو في شرح الديوان 136/2 ، فطر شرح ليلى المعنى 353/2 .
(3) معني اللبيب 145 .
(4) المعصر نسخة 37 .
(5) و يعترف ابن هشام من خلال قوله باب اللام بأن كل حرف أو مفردة يعتد بها مستقلاً بذاته، و قد فقه ذلك في تصانيف مؤلفه، و هذا يشعرنا بأن القسم الأول من المعنى كتبت مستقل مضم إلى أبواب و أصول، غفل عن مراعاتها في أثناء عرضه للمفردات.
(6) معني اللبيب 61 .

أو قوله:

لَا تَنْتَهُ عَنْ خَلْقٍ وَ تَلْتَمِزَ مِنْهُ..... (1)

و الحق أن هذه واو العطف كما سيأتي (2)

و الربط بين أحكام الحروف و الأدوات على اختلافها ، لم يرد على مستوى الباب الأول من الكتاب، بل يلمس ذلك أيضا عن طريق متابعة المادة الكلية لمعني التليب ممثلة في جميع الأبواب الأخرى.

و التصحيح العلمي الدقيق للموثق للمادة

كان ابن هشام يلجأ في أثناء التصحيح إلى مقابلة الآراء بعضها ببعض، في مظانها الأصلية، معما لحجة الغلبة من الشاهد القرآني، لضبط المعاني و الدلالات الحرفية، ناهجا في ذلك منهجا نحويا لغويا قرآنيا من تلك قوله: "...و لا تفيد لن توكيد النفي خلافا للزمخشري في كشافه و لا تأييده خلافا له في تمونجه و كلاهما دعوى بلا دليل، قيل: و لو كانت للتأييد لم يفيد منفيها باليوم في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (3)، و لكان ذكر الأبد في ﴿و لن يتمنوه أبدا﴾ (4) تكرارا و الأصل عنه... (5)

و في موضع آخر يقول بأسلوب علمي: لا تعسف فيه - لقضته ضرورة التوصل السليم، و تجنب المصطلحات الكثيرة فقال: "...و زاد بعضهم تنوينا سابعاً، و هو تنوين الضرورة، و هو اللاحق لما لا يتصرف كقوله:

و يَوْمَ نَخَلْتُ الْحِجْرَ خَيْرَ عَزِيزٍ..... (6)

و للمنادى المضموم كقوله:

سَلَامٌ لِلَّهِ يَا مَطَرٌ عَلَيْهَا..... (7)

و بعوله لقول في الثاني دون الأول لأن الأول تنوين التمكين، لأن الضرورة أباححت الصرف، و أما الثاني، فليس تنوين تمكين لأن الاسم مبني على الضم... (8)

(1) ر. تمامه. من: "عَلَيْكَ إِذَا قَعَلْتَ عَظِيمٌ مِنْ [الكامل] و ينسب لشعراء كثيرين منهم الإختلال، في الأسود النذلي، حسن، الطرماح و الآخر ح. فيما ذهب إليه السيوطي و البغدادي أنه لأبي الأسود النذلي، انظر شرح شواهد المعني 779/2، و شرح أبيات المعني 111/6، و قبيت من شواهد سيويوه، انظر الكتاب 42/3.

(2) معني التليب 472.

(3) مريم 26.

(4) البقرة 95.

(5) معني التليب 374.

(6) و تمامه: فَقَعَلْتَ لَكَ الْوَيْلَاتُ بَنَكُ مَرْجُلِي مِنْ [الطويل] لامرئ القيس من معلقته الديوان 146، و انظر شرح شواهد المعني 766/2.

(7) تمامه: و لِمَنْ عَظِيمٌ يَا مَطَرُ السَّلَامُ مِنْ [الوافر] للأخوص عبد الله بن محمد، و هو من شواهد سيويوه، انظر الكتاب 21/2 و شرح شواهد المعني 766/2، و شرح أبيات المعني 54/6.

(8) معني التليب 448، 449.

و قوله أيضا مصححا في موضع آخر :

"... واو الإنكار نحو الرجلوه بعد قول القائل قام الرجل، و الصواب ألا تعد هذه لأنها إشباع للحركة، بنزل
الرجلاه في النصب، و الرجلية في الجر... (1)"

ز الربط بين الأئمة اللغوية و الأئمة العقلية في التخريج الدلالي و الإعرابي

فابن هشام يتتبع الدليل النقلي لئى وجده، و لا يورده إلا مدعما بالدليل العقلي، و بذلك تتشكل في عرضه
للفردات ظاهرة المزاجية بين الأئمة النقلية للغوية و الأئمة العقلية، مما أدى إلى حصول متابعة دقيقة للخطأ
و تصحيحه. و هذه الميزة لم نعثر عليها في كتب السابقين و من ذلك قول ابن هشام في موضع حديثه عن
رُبِّ "..." و ليس معناها التقليل دائما، خلافا للأكثرين، و لا للتكثير دائما، خلافا لابن ترسويه و جماعة، بل
نرد للتكثير كثيرا و للتقليل قليلا.

فمن الأول مَرْبَمًا يود الَّذِينَ كَفَرُوا لو كَانُوا مُسْلِمِينَ (2) و في الحديث يَرْبُ كاسية في الدنيا عارية يوم
القيامة (3)، و سمع أعرابي يقول بعد تقضاء رمضان يارب صائمته لن يصومه، و يا رب قائمه لن يقومه.
... و قال الشاعر :

فيا رَبِّ يوم قد لهُوتُ و ليلَةٌ بأنسةٍ كأنها خَطٌّ يَمُنُّ (4)

و قال آخر :

رُبَّمَا لَوْ فِيتُ فِي غَلَمٍ ترفعنُ ثوبِي شَمَالَاتٍ (5)

و وجه الدليل لن الآية و الحديث و المثال مسوقة للتخويف، و البيتين مسوقان للافتخار، و لا يناسب واحدنا
منهما التقليل.

و من الثاني قول أبي طالب في النبي - صلى الله عليه و سلم - :

و لَيْسَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوُجْهِهِ يُثَمِّلُ الْيَتَامَى عَصْمَةً لِلْأَرَامِلِ (6) * (7)

(1) معنى اللبيب 481 .

(2) الحجر 2 .

(3) صحيح البخاري [باب التهجد] 62/2 .

(4) من [الطويل] لامرئ القيس النبطي 159، و انظر شرح شواهد المعنى 393/1، و شرح أبيات المعنى 162/3 .

(5) من [المعبد] لجذيمة الأبرش يفتخر بنفسه، و هو من شواهد سيويهم فطر الكتاب 518/3 و شرح شواهد المعنى 761/2
و شرح أبيات المعنى 164/3 .

(6) من [الطويل] لأبي طالب عم الرسول عليه الصلاة و السلام، انظر شرح شواهد المعنى 395/1 و شرح أبيات المعنى 168/3 .

(7) معنى اللبيب 180 .

ج إرفاق الحروف و المفردات بتعقيبات في أصول النحو

كان ابن هشام يرفق شروحه و عروضه للمفردات بتعقيبات في أصول النحر و تنعة بتدعيم آرائه و آراء غيره، بما لا يترك مجالاً لتضعيف الأحكام و الاستعمالات و الدلالات للولادة في القلب الأول؛ من ذلك قوله في موضع حديثه عن حتى:

«... حروف الجر لا تعلق عن العمل، و إنما تدخل على المفردات لو ما في تأويل للمفردات...»⁽¹⁾

و قوله في موضع حديثه عن الكلف:

«... و القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم، بل زيادة الاسم لم تثبت»⁽²⁾

و في موضع حديثه عن التثوين قال:

«... و التثوين لا يجامع الألف و اللام، و لا اسم التفضيل، لكونه غير متصرف، و ما لا ينصرف لا تثوين فيه...»⁽³⁾

و عن مجيء اسم إن ضمير شأن لورد تعقيباً على هذا البيت:

«... كما قال:

لِنْ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَ فِيهَا جَلَنًا وَ ظَبَاءً⁽⁴⁾

و إنما لم تجعل من اسمها لأنها شرطية بديل جزمها لفظين و الشرط له المصدر فلا يعمل فيه ما قبله»⁽⁵⁾

و في أثناء حديثه عن إن قال:

«... للضمائر نرد الأشياء إلى أصولها، ألا ترى من يقول: لدو لم يك و والله يقول: لئنك، و لم يكن، و بك لألعن...»⁽⁶⁾

و في موضع حديثه عن حتى لورد قوله:

«... ما يعمل في الأسماء، لا يعمل في الأفعال و كذا للمكس...»⁽⁷⁾

و في موضع حديثه عن إن لورد ما يلي عن حروف الجر:

«... إن حروف الجر - زائدة كانت لو غير زائدة - لا تدخل إلا على الاسم لو ما في تأويله...»⁽⁸⁾

(1) معني اللبيب 176 .

(2) المصدر نفسه 238 .

(3) المصدر نفسه 451 .

(4) من [الحنيف] منسوب إلى الأحنط، لأن البيت عُدَّ من النصرانيات، انظر شرح شواهد المعني 122/1 و شرح أبيات المعني 186/1 .

(5) معني اللبيب 56 .

(6) المصدر نفسه 58، 57 .

(7) المصدر نفسه 169 .

(8) المصدر نفسه 45 .

كان ابن هشام يلجأ إلى ذكر عمل الحرف، أو عدم عمله، إذا أراد أن يفصل في أمر اختلاف فيه، أو أراد أن يعدد مقاربات لإزالة كل إشكال و غموض، و هو من خلال شروحه و تحليلاته قد يعطي بعضاً من الضوابط العامة لعمل الحرف أو الأداة، من ذلك قوله في موضع حديثه عن السين "السين المفردة حروف يختص بالمضارع و يخلصه للاستقبال و ينزل منه منزلة للجزء، و لهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به. (1)" فالحرف عند ابن هشام إذا كان مختصاً بالاسم، أو الفعل كان عاملاً، و إن حدث و اختصت بعض الحروف بالفعل أو بالاسم فلم تعمل، فلأنها أصبحت في مرتبة للجزء من الكلمة الداخلة عليها.

و قوله في موضع حديثه عن حتى:

"... ما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال و كذا للعكس... (2)"

و قد يعطي رايه الفاصل في تحديد مساحة مجال عمل الأداة من ذلك قوله: "إنما أداة شرط تجزم فعليين... و عملها للجزم قليلاً لا ضرورة خلافا لبعضهم... (3)"

و ها هو يتفق مع السابقين (4) في تسمية الحرف غير العامل بالمهملة إذ قال: "لفاء المفردة، حرف مهملة. خلافا لبعض الكوفيين في قولهم: إنها ناصبة في نحو ما تكتننا فتحننا و للمبرد في قوله: إنها خافضة في نحو:

فمَيْكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَ مُرْضِعٌ ... (5) ... (6)"

و قوله في موضع حديثه عن لعل:

"حرف ينصب الاسم و يرفع الخبر ... (7)"

و تتصل بلعل ما الحرفية فتكفيها عن العمل، لزوال اختصاصها حينئذ (8) و في أحليين أخرى قد يذهب ابن هشام إلى تقسيم استعمالات الحرف لولحد على أساس فكرة العمل، و عدم العمل من ذلك قوله:

(1) معني اللبيب 86

(2) المصدر نفسه 169 .

(3) المصدر نفسه 120 .

(4) و أورد بالسابقين أصحاب كتب الحروف التي قُلت قبل معني اللبيب، نحو معني الحروف للزمخشري، و وصف المعاني في شرح حروف المعاني للمليني.

(5) و تملأه: مالهيتها عن ذي مقام محول من [الطويل] لأمرى القيس الديلمي 147، انظر شرح شواهد المعاني 463/1 و شرح أبيات المعاني 179/3 .

(6) معني اللبيب 213 .

(7) المصدر نفسه 377

(8) المصدر نفسه 378 .

١٠ اللام ثلاثة أقسام: عاملة للجر، و عاملة للجزم، و غير عاملة، و ليس في اللقمة أن تكون عاملة للنصب، خلافا للكوفيين... (1)

و قد يكون ذكر عمل الحرف عند ابن هشام مستخلصا من بعض المعارنات، التي لا تفصل بين الوظيفة الإعرابية للحرف و دلالة اللغوية؛ من ذلك قوله في حديثه عن كي:

١١ أن تكون بمنزلة لام التعليل معنى و عملا، و هي للدخلة على ما الاستفهامية في قولهم في السؤال عن العلة كيمه؟ بمعنى لمة؟... (2)

و جملة القول . إن دراسة عمل الحرف أو المفردة في الباب الأول من كتاب المغني لم يرد مطلبها مستقلا بذاته، و إنما تخلل شروح و تفسير المفردات في أثناء ضبط أحكامها و خصائصها، و بذلك اكتسب عرضه لهذه المفردات خاصية الترابط و النفاس و التصحيح، متجاوزا لتفريعات الجاهزة، و وجوه التقديم المنفصلة التي تدرس عمل الحرف أو المفردة بمعزل عن سياقاتها و تراكيبها الولودة فيها.

ي - الربط بين المعاني النحوية و القرآنية

لقد عمد ابن هشام إلى نهج طريقة مميزة في تقديمه للخرس النحوي و اللغوي و ذلك باتخاذ النص القرآني الأرضية الأساس لتوجيه و تصويب تخريجاته النحوية و الدلالية في الباب الأول من الكتاب، الذي بدت فيه بوضوح ثقافته القرآنية للواسعة، من ذلك قوله في موضع حديثه عن اللام:

١٢ ... قوله تعالى ﴿ وَ أَنْتَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ ﴾ (3) معناه و أنتناه الإنجيل للهدى و النور، و مثله ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ حِفْظًا ﴾ (4)، لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب في السماء زينة و حفظا، و إنا متعلق بفعل مقدر مؤخر، أي ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله أنزله و مثله ﴿ وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لَنُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ ﴾ (5)، أي و للجزاء خلقهما، و قوله سبحانه ﴿ وَ كَذَلِكَ نَرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (6)، أي و أريناه ذلك، و قوله تعالى ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لنَجْعَلُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ (7)، أي و خلقناه من غير لب (8)

(1) معنى اللبيب 274 .

(2) المصدر نفسه 241 .

(3) المائدة 46 .

(4) الصافات 76 .

(5) الجاثية 22 .

(6) الأنعام 75 .

(7) مريم 24 .

(8) مغني اللبيب، 256 .

و في موضع حديثه عن لولا قال مفسرا قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمْنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ ٥ (١) ﴾، و الظاهر أن المعنى على التوبيخ، أي فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك... (2) (3)

و في موضع حديثه عن ما للحرفية لازمانية قال ممثلا بميللي:
 "... مَا كُنْتُ حَيًّا ٥ (3) ﴾، أصله مدة دولي حيًّا، فحذف الظرف، و خلفته ما و صلتها، كما جاء في المصدر الصريح نحو جنيتك صلاة العصر و أتيتك قدوم الحاج، و منه ﴿ إِنْ أُرِيدَ إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَنْطَعْتُ ٥ (4) ﴾، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَنْطَعْتُمْ ٥ (5) ﴾... (6) (7)

ك إirاده للروايات التاريخية و المجالس اللغوية

اعتمد ابن هشام في أكثر من موضع على إيراد روايات تاريخية لما حدث في مجالس العلماء، و ما تناقل من أخبارهم. و قد فضل ابن هشام إيراد مثل هذه الأمور على إيراد ما لا يتعلق بالأعراب، و إعراب الواضحات فقال: " و تجنبت هذين الأمرين و أتيت مكانهما بما يتبصر به، الناظر و يتمرن به الخاطر، من إيراد النظائر اللغرافية، و الشواهد الشعرية، و بعض ما اتفق في المجالس النحوية (7) (8) " و ابن هشام اعتمد هذا الأسلوب الطريف لإكساب تحليلاته خاصية التنوع، في إثبات كثير من استعمالات المفردات، و تراكيبها و ما يعتور هذه التراكيب من وجوه إعرابية و أحكام لغوية، فمن ذلك قوله في موضع حديثه عن وجه من وجوه استعمالات ليس: "... أحدهما أن تكون حرفا ناصبا للمستثنى بمنزلة إلا نحو أتوني ليس زيدا، و الصحيح أنها النافضة، و أن اسمها ضمير، راجع للبعض المفهوم مما تقدم، و استناره واجب، فلا يليها في اللفظ إلا المنصوب و هذه المسألة كانت سبب قراءة سيبويه فنحو، و ذلك أنه جاء إلى حماد بن سلمة لكتابة الحديث، فاستملى منه قوله صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي أحدٌ إلا و لو شئت لأخنت عليه، ليس لها الرداء فقال: ليس أبو الرداء فصاح به حماد: لحننت يا سيبويه، إنما هذا استثناء، فقال سيبويه، و الله لأطلين علما لا يلحنني معه أحد، ثم مضى و أزم الخليل و غيره... (8) (9)

(1) يونس 98 .

(2) معني اللبيب 362، 363 .

(3) مريم 31 .

(4) هود 88 .

(5) التفتين 16 .

(6) معني اللبيب 400 .

(7) المصدر نفسه 16 .

(8) المصدر نفسه 387، و انظر الرواية في إنباء الرواة 350/2.

ل جدول المفردات مقسمة تقسيما نوعيا^(١) كما عرضها ابن هشام من الداخل

أحرف	الضمائر	الأسماء	الظروف	الأفعال	أسماء الأفعال
الألف للمفردة أ	أنا	أل	إن	للهمة	أه
الألف الممدودة آ	أنت	أي	إنما	حاشا	قد
ليا	ثم	لن	إذا	خلا	قط
أجل	جبر	بجل	ثم	عدا	للهاء المفردة
إبن	جال	بيد	حيث	عسى	ها
إن	حاشا	بله	سواء	ليس	وا
إن	حتى	جال	عوض		
إن	خلا	سي	عل		
إن	رب	سواء	عند		
أم	السين للمفردة	على	لدى		
أل	سوف	عن	لن		
أما	عدا	عل	قط		
أما	على	غير	مع		
إما	عن	لكاف	منذ		
لو	عل	كي	مذ		
ألا	الفاء للمفردة	كم			
إلا	في	كأي			
ألا	قد	كذا			
إلى	لكاف للمفردة	كل			
أي	كي	كلا، كلتا			
أي	كلا	كيف			
إنما	كلن	ما			
للباء المفردة	اللام للمفردة	من			
بجل	لا	مهما			
بل	لات	مع			
بلى	و	متى			

(١) و هذا الجدول يكشف عن غلبة مادة الحروف في باب المفردات، على غيرها من الضمائر و الأسماء و الأفعال ... كما يكشف أيضا عن استقصاء ابن هشام لجميع حروف المعاني، و تفسيره لها، على خلاف كثير من المصنفات التي سبقته في هذا المصنوع . و لذلك فهذا الجدول للنوع يغلف عن سابقه الذي وضع لغرض الكشف عن الترتيب الألفبائي الخارجي الذي سلكه ابن هشام في عرض المفردات بلقواعها و مدى دقة هذا الترتيب الذي لوحى لابن هشام بذلك التنوع في المفردات، مما لا تفتقر عليه عند السابقين .

الحروف	الضمائر	الأسماء	الظروف	الأفعال	أسماء الأفعال
أولاً					
أوماً					
لم					
لماً					
لن					
ليت					
لعل					
لكن					
لكن					
ما					
من					
متى					
منذ					
منذ					
للتون المفردة					
نعم					
لها المفردة					
هل					
هو					
لواو المفردة					
وا					
حرف الألف					
لألف المفردة					
يا					

الفصل الرابع

مصادر ابن هشام

المبحث الأول: منهج ابن هشام في توظيف مصادر المادة

المبحث الثاني: طريقة تعامل ابن هشام مع مصادر المادة

المبحث الثالث: مادة الحروف بين الاتجاه البصري و الكوفي

المبحث الأول

منهج ابن هشام في توظيف مصادر المادة

1- وفرة مصادر المادة و تنوعها

2- التقسيم النوعي و الإحصائي للمصادر

جامعة الأزهر
العلوم الإسلامية

1 وفرة مصادر المادة وتنوعها:

اعتمد ابن هشام في الباب الأول من كتابه مغني اللبيب، الذي خصصه لتفسير المفردات و ذكر أحكامها على مصادر كثيرة ومتنوعة، لأن طبيعة المادة ألححت عليه أن يعتمد على المصدر النحوي و اللغوي و الأئبي و الشرعي دون استثناء. و قد أرى هذا التنوع المادة من غير مراعاة للتفاوت في المراتب العلمية، لذلك أكرم الهائل من أسماء العلماء. كما أن موضوعيته قادت في أثناء المناقشة إلى أن يأخذ بقول هذا، و يترك قول ذلك، أو أن يخطئ رأياً فيصححه، و يغفل آخر فيدعمه، فهو لم يتقيد بقول المشهور و رأيه منهم، بل استعان بكل لفظة نحوية أو لغوية أو أدبية تخدم مبحثه، سواء أكانت لعالم معروف أم معثور. فللعالم عنده بموضعه و منزلته في المسألة الواحدة لو في الإشارة الاجتهادية، لا برصيده الكلي، أو تصنيفه الطبقي. و مما لا شك فيه أن المتصفح للباب الأول من الكتاب يتضح له أن للرجل لم يقفه مصدر من المصادر التي تخدم مادته إلا و قراء أو رصده و استفاد منه، و هذا هو دأبه من خلال ما عرفناه عن حينه.

و لا أدل على وفرة مصادر هذا الباب من عثور متتبعها على أسماء لفها و تبيّن آراءها، و لكن ابن هشام أخضعها لميزان النقد و التقييم و التقويم من جديد، و من وقوفه على أسماء أخرى كثيرة لا وجود لها في ذاكرته اللغوية، و النحوية، و لم يسبق أن اعترضه في مطالعته، و قراءاته العامة، لأن ابن هشام لم يكتف بنقل ما حفظه، و لو اكتفى بالحفظ و النقل، لترددت في كتابه أسماء من سبقه من العلماء دون المعاصرين له، و بالأخص أولئك الذين كان لهم باع طويل في تخصصاتهم. فابن هشام رصد المادة، و جمع بين قديمها و حديثها في نقاش علمي متكامل، تراوح فيه المصدر القديم مع الحديث، فتخطت بذلك المادة حدودها الزمانية المقيدة لها، و راح يعتمد أيضاً إلى جانب آراء علماء اللغة و النحو، آراء بعض علماء البلاغة و الأدب، و علماء الشرع، فتخطت بذلك المادة حدودها الصارمة لتتخلص من الميدان اللغوي البحت. فالكتاب بالاعتماد على باب الأول يعد مادة معجمية قيمة لمصادر كثيرة، يقول في ذلك أحد الذين عوا بدراسة آثار ابن هشام "... و أكثر آثار ابن هشام عناية بالمصادر المعقني و تخلص الشواهد، ثم باتت سعاده، و بعض الرسائل. (1)

فالمغني إذن أول كتاب في آثار ابن هشام زخر بالمصادر، و هو يبين من خلال باب الأول، و لكون المصادر لم تحتكم إلى مبدأ انتقاء الأفضل و الأشهر، فإنه يصعب على الباحث فيها أن يرصدها دون العودة إلى كتب الطبقات و التراجم، و محاولة إيجاد مبرر لتقييم كل مصدر، و للنظر إليه بميزان المواقف، و بميزان أصحاب كتب الطبقات و التراجم.

و حتى تتحدد أهمية كل مصدر استعان به ابن هشام في باب الأول، ارتأيت أن أنظم المصادر وفق ترتيب معين لإتقاء الضوء عليها، بكيفية تسهل معها الاستفادة، و المتتبع لتلك المصادر سرعان ما يشد فتباهه ذلك

(1) ابن هشام الأصبغاني آثاره و مذهبه النحوي 371.

التفاوت الكبير الغانم بينهما، في نسبة تردها، في تصاعيف الباب الأول، فإذا أحصاها (1) أمكنه أن يميز بين مراتب العلماء من خلالها، فهناك مصادر ندر الاعتماد عليها، ومصادر كانت لها الحصة الغالبة في مادة الكتاب، أنصف إلى ذلك أن هناك ذكرا لمؤلفات كثيرة مرفعة بأسماء أصحابها (2)، وأخرى تستغنى فيها ابن هشام عن ذكر مؤلفيها (3). وكل هذه المصادر موزعة على طبقتين: طبقة علماء الشرع، وإذا كان ابن هشام لم يميز بينهما محكما في تلك بطبيعة المادة، فإن ما يكشف عن أنواع هذه المصادر، وما يميز بينها هو إيجاد منهج علمي يسهل علينا تتبع هذه المصادر، وييسر لنا عملية البحث عنها في كتب الطبقات والتراجم، ولا شك أن هذه العملية ستلقى الضوء على ثقافة ابن هشام الموسوعية، هذه الثقافة التي عمقت طبيعة العرض اللغوي عنده ذلك لأن "ثقافة ابن هشام النحوية، كانت أبرز صفة فيه، فقد درس كتب النحويين قبله، دراسة تقوم على الدقة، والبحث والمناقشة والاستنباط..." (4)، لقد استفاد من تجارب اللغويين الذين سبقوه في تقديم مادة وافرة عنهم (5).

ولسنا نبالغ إذا قلنا إن ثقافة ابن هشام ثقافة نموذجية في استثمار المصادر وتوظيفها، اتخذت المثال للعوي، والمسألة النحوية، مصطباً يلتقي فيه العلماء على الرغم من اختلاف اهتماماتهم العلمية، ليناقشوا، ويحللوا، ويستنبطوا، من أجل الوصول إلى تخريج نحوي، أو لغوي يتألف عنده الجميع.

(1) سيلي الكشف الإحصائي عن هذه المصادر فيها هو لاحق.

(2) من ذلك قول ابن هشام "... نكره ابن مالك في منظومته الصغيرى، وفي شرح الكبرى ..." انظر مغنى اللبيب 92.

(3) من ذلك قول ابن هشام "... قال جماعة منهم صاحب البسيط ..." انظر مغنى اللبيب 383.

(4) المدرسة النحوية في مصر و الشام 359.

(5) دروس في المذاهب النحوية د/عبد الرحمن 252.

2 التقسيم النوعي و الإحصائي للمصادر :

أ جدول المصادر الغالبة من علماء العربية				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
ابن مالك (محمد بن عبد الله)	672 هـ	(1)105	التسهيل	8(2)
			شرح الكفاية	4(4)
			شرح التسهيل	4(4)
			الخلاصة	2(5)
			التحفة	2(6)
			الكافية	1(7)
			شرح العمدة	1(8)
سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)	180 هـ	92 (9)	الكتاب	3(10)
الزمخشري (محمد بن عمر)	538 هـ	70(11)	الكشاف	2(12)
			المفصل	2(13)
			الأنموذج	1(14)

- (1) انظر مغني اللبيب 29، 43، 49، 58، 68، 72، 77، 85، 88، 90، 92، 102، 105، 120، 125، 126، 129، 137، 142، 149، 150، 152، 155، 160، 161، 164، 167، 169، 172، 173، 174، 177، 188، 192، 194، 198، 199، 202، 204، 205، 206، 211، 212، 219، 220، 225، 228، 230، 235، 239، 246، 249، 256، 257، 261، 265، 272، 282، 284، 287، 291، 292، 298، 299، 300، 302، 322، 342، 350، 351، 352، 357، 360، 365، 368، 369، 370، 386، 390، 392، 397، 398، 399، 408، 418، 422، 423، 425، 426، 427، 429، 431، 436، 439، 442، 446، 448، 449، 461، 463، 467، 468، 489 .
- (2) انظر المصدر نفسه 92، 230، 232، 284، 292، 353، 368، 461 .
- (3) انظر المصدر نفسه 92، 152، 284، 298 .
- (4) انظر المصدر نفسه 92، 152، 284، 298 .
- (5) انظر المصدر نفسه 92، 284 .
- (6) انظر المصدر نفسه 448، 468 .
- (7) انظر المصدر نفسه 284 .
- (8) انظر المصدر نفسه 206 .
- (9) انظر المصدر نفسه 22، 29، 30، 35، 36، 39، 39، 43، 45، 50، 56، 60، 65، 70، 78، 79، 82، 83، 84، 91، 97، 99، 100، 101، 108، 115، 120، 121، 122، 124، 125، 126، 132، 134، 137، 148، 154، 165، 169، 171، 188، 189، 201، 202، 203، 219، 231، 234، 238، 240، 246، 249، 266، 272، 285، 286، 289، 298، 305، 307، 314، 318، 323، 336، 342، 356، 361، 377، 378، 380، 385، 387، 391، 392، 403، 404، 406، 412، 418، 423، 424، 425، 439، 446، 447، 448، 452، 453، 454، 460، 462، 471، 478 .
- (10) انظر المصدر نفسه 143، 384، 460 .
- (11) انظر المصدر نفسه 22، 23، 26، 29، 48، 49، 52، 53، 59، 65، 68، 76، 77، 82، 90، 96، 108، 112، 113، 120، 141، 143، 157، 161، 167، 184، 185، 197، 216، 224، 230، 231، 234، 239، 251، 252، 257، 283، 302، 303، 321، 325، 328، 333، 335، 336، 337، 352، 356، 357، 363، 368، 374، 379، 392، 394، 401، 403، 413، 427، 428، 483، 435، 437، 445، 460، 461، 468، 477، 480 .
- (12) انظر المصدر نفسه 374، 460 .
- (13) انظر المصدر نفسه 126، 460 .
- (14) انظر المصدر نفسه 374 .

بسمه للحدود، التمهيد:				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
المحقق الأوسني (معهذ بن مسعدة) أبو علي الفارسي (الحسين بن أحمد)	215 هـ	(1)69		
	377 هـ	(2)56	التذكرة	(3)1
			الحجة	(4)1
			الطبيات	(5)1
			الشيرازيات	(6)1
			الهيئات	(7)1
المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني)	285 هـ	(8)43	المقتضب	(9)1
	392 هـ	(10)38	التذكرة	(11)1
			للتعام	(12)1
الكماني (أبو الحسن علي بن حمزة)	189 هـ	(14)36	المحتضب	(13)1

- (1) انظر مقني اللبيب 20، 29، 36، 51، 56، 72، 88، 101، 108، 109، 119، 120، 121، 127، 128، 132، 137، 148، 149، 156، 158، 165، 171، 174، 176، 190، 194، 199، 202، 209، 219، 229، 232، 234، 239، 242، 244، 248، 252، 256، 266، 272، 278، 300، 301، 314، 328، 335، 360، 361، 363، 379، 385، 392، 402، 412، 419، 428، 429، 442، 446، 447، 448، 463، 473، 478، 483، 487.
- (2) انظر المصدر نفسه 30، 79، 84، 91، 110، 114، 120، 142، 144، 156، 176، 179، 186، 204، 211، 221، 222، 225، 235، 239، 241، 254، 278، 288، 294، 299، 306، 307، 328، 331، 332، 336، 350، 354، 365، 369، 377، 386، 387، 388، 396، 397، 398، 407، 408، 410، 412، 413، 425، 428، 433، 442، 451، 476، 478.
- (3) انظر المصدر نفسه 110.
- (4) انظر المصدر نفسه 328.
- (5) انظر المصدر نفسه 387.
- (6) انظر المصدر نفسه 406.
- (7) انظر المصدر نفسه 412.
- (8) انظر المصدر نفسه 31، 35، 40، 43، 57، 76، 79، 83، 84، 99، 100، 120، 221، 138، 152، 164، 165، 166، 202، 204، 209، 213، 218، 248، 249، 285، 288، 297، 299، 307، 313، 356، 361، 374، 404، 419، 442، 446، 460، 473، 476، 478.
- (9) انظر المصدر نفسه 460.
- (10) انظر المصدر نفسه 91، 92، 101، 114، 115، 117، 128، 145، 164، 178، 179، 192، 198، 212، 221، 225، 238، 252، 253، 258، 274، 281، 288، 290، 306، 307، 310، 311، 316، 334، 365، 369، 401، 410، 416، 428، 444، 484.
- (11) انظر المصدر نفسه 558.
- (12) انظر المصدر نفسه 178.
- (13) انظر المصدر نفسه 117.
- (14) انظر المصدر نفسه 32، 35، 56، 67، 76، 77، 108، 121، 122، 124، 125، 177، 179، 180، 191، 240، 250، 277، 279، 294، 298، 301، 363، 372، 374، 376، 377، 379، 394، 428، 433، 434، 451، 460، 483، 494.

عدد المرات	الكتاب	عدد المرات	تاريخ وفاته	اسم المؤلف
1 (2)	المعرب	36 (1)	663 هـ	ابن خنقور
1 (3)	شرح جمل			(أبو الحسن علي بن مؤمن)
1 (4)	الرجلي			
	شرح المعرب	33 (5)	207 هـ	الفراء
				(أبو زكرياء يحيى بن زياد)

- (1) نظر معنى اليب 32، 48، 50، 73، 74، 85، 91، 105، 120، 137، 160، 173، 195، 211، 229، 230، 232، 244، 247، 248، 254، 262، 268، 274، 277، 289، 290، 292، 256، 270، 374، 383، 386، 396، 451، 453
- (2) نظر المصدر نفسه 50، 345، 383، 451
- (3) نظر المصدر نفسه 48
- (4) نظر المصدر نفسه 384
- (5) نظر المصدر نفسه 18، 31، 35، 66، 83، 87، 91، 101، 105، 122، 124، 160، 165، 195، 198، 214، 219، 240، 245، 250، 257، 312، 314، 336، 350، 363، 373، 374، 376، 377، 384، 460، 464

اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
أبو إسحاق إبراهيم بن اسري	111 هـ	28 (1)	المعجزة	1 (-)
ابن الشجري (أبو السعادات هبة الله بن علي)	512 هـ	28 (3)	الأمالي	1 (4)
ابن الحاجب (جمال الدين عثمان بن عمر)	616 هـ	20 (5)	الأمالي شرح مفصل لزمخشري	3 (6) 1 (7)
أبو حيان الأنلسي (أبى الدين محمد بن يوسف)	745 هـ	19 (8)		
أبو سعيد السيرافي (الحسن بن عبد الله)	368 هـ	17 (9)		
الخليل (ابن أحمد القراهيدي)	175 هـ	15 (10)		
أبو البقاء العكبري		14 (11)	إعراب القول	1 (12)

- (1) انظر مغني اللبيب 41، 107، 120، 121، 136، 144، 161، 163، 165، 176، 182، 220، 221، 245، 249، 252، 314، 315، 321، 328، 330، 331، 356، 395، 413، 442، 462.
- (2) انظر المصدر نفسه 163.
- (3) انظر المصدر نفسه 62، 66، 67، 85، 86، 91، 93، 94، 95، 116، 140، 145، 188، 209، 212، 222، 237، 316، 330، 331، 357، 360، 394، 400، 402، 409، 415، 479.
- (4) انظر المصدر نفسه 209.
- (5) انظر المصدر نفسه 39، 54، 58، 94، 98، 101، 106، 126، 133، 146، 193، 212، 282، 292، 302، 346، 357، 371، 417، 497.
- (6) انظر المصدر نفسه 126، 302، 346.
- (7) انظر المصدر نفسه 292.
- (8) انظر المصدر نفسه 44، 52، 59، 133، 134، 150، 172، 251، 256، 261، 263، 264، 268، 269، 289، 301، 302، 407، 480.
- (9) انظر المصدر نفسه 88، 101، 201، 237، 243، 248، 272، 277، 299، 314، 392، 396، 424، 448، 464، 479.
- (10) انظر المصدر نفسه 40، 89، 97، 98، 108، 126، 228، 249، 285، 298، 331، 387، 443، 483.
- (11) انظر المصدر نفسه 130، 132، 169، 244، 332، 350، 398، 402، 416، 426، 427، 432، 471، 476.
- (12) انظر المصدر نفسه 432.

اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
الشاويين (عمر بن محمد)	6-15 هـ	2 (1)		
أبو عبيدة (معمّر بن المنذر)	210 هـ	10 (2)		
ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى)	291 هـ	10 (3)	الأمل	4 (4)
لستهيلى (عبد الرحمن بن عبد الله)	581 هـ	10 (5)		
أبو الخباز (أحمد بن محمد)	639 هـ	10 (6)	شرح مضاجع الفارسي	7 (7)
			شرح الجزولية	8 (8)
			شرح نزهة عين المعالي	9 (9)
			النهضة	10 (10)

(1) نظر معنى اليب 30، 52، 53، 97، 99، 115، 126، 265، 337، 360، 453، 454 .

(2) نظر المصدر نفسه 45، 56، 66، 84، 101، 116، 156، 196، 335، 424 .

(3) نظر المصدر نفسه 68، 108، 186، 201، 204، 249، 277، 432، 439، 464 .

(4) نظر المصدر نفسه 432 .

(5) نظر المصدر نفسه 138، 147، 154، 327، 400، 420، 435، 442، 481 .

(6) نظر المصدر نفسه 17، 172، 237، 252، 253، 302، 346، 347، 404، 449 .

(7) نظر المصدر نفسه 253 .

(8) نظر المصدر نفسه 449 .

(9) نظر المصدر نفسه 347 .

(10) نظر المصدر نفسه 37 .

ج جدول المصادر القليلة من علماء العربية				
اسم العالم	تاريخ وفاة	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
أبو بكر السراج (محمد بن السري)	316 هـ	(1)9		
أبو خروف (علي بن محمد)	609 هـ	(2)9		
أبو عمرو بن العلاء (زيتان بن عمار)	154 هـ	(3)8		
يونس (أبو حبيب الضبي)	182 هـ	(4)8		
الأسمعي (عبد الملك بن قريب)	216 هـ	(5)7		
الحريري (فاسم بن علي)	516 هـ	(6)7		
أبو النظام بدر الدين (محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك)	686 هـ	(7)7		

(1) نظر مفتي القريب 120، 144، 245، 269، 387، 402، 442 .

(2) نظر المصدر نفسه 29، 31، 79، 157، 179، 210، 249، 288، 269 .

(3) نظر المصدر نفسه 255، 256، 257، 372، 388، 389، 393، 396 .

(4) نظر المصدر نفسه 84، 98، 108، 246، 377، 385، 386، 423 .

(5) نظر المصدر نفسه 67، 84، 101، 142، 215، 255، 466 .

(6) نظر المصدر نفسه 94، 198، 207، 209، 254، 380، 474 .

(7) نظر المصدر نفسه 284، 299، 305، 345، 346، 347، 368 .

بيان للجدول السابق ج				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
قنبر (محمد بن المسدير)	206 هـ	6(1)		
ابن درسيه (عبد الله بن جعفر)	347 هـ	6(2)		
ابن هشام الخصري (أبو عبد الله محمد بن يحيى)	646 هـ	6(3)		
هشام بن معوية قصير (أبو عبد الله)	209 هـ	5(4)		
الحزمي (أبو عمر صالح بن اسحاق)	225 هـ	5(5)		
أبو جعفر النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل)	338 هـ	5(6)		
قرماني (علي بن عيسى)	384 هـ	5(7)		
أبو محمد البطلوسي (عبد الله بن محمد بن السيد)	521 هـ	5(8)		
فخر الطرول (أبو الحسين سليمان بن محمد)	528 هـ	5(9)		

(1) قطر مكي اللبيب 39، 78، 156، 270، 314، 464 .

(2) قطر المصدر نفسه 83، 137، 153، 176، 180، 404 .

(3) قطر المصدر نفسه 169، 171، 252، 337، 352، 480 .

(4) قطر المصدر نفسه 32، 153، 301، 450، 464 .

(5) قطر المصدر نفسه 88، 108، 165، 179، 214 .

(6) قطر المصدر نفسه 278، 280، 331، 363، 439 .

(7) قطر المصدر نفسه 136، 144، 196، 360، 363 .

(8) قطر المصدر نفسه 49، 172، 248، 253، 404 .

(9) قطر المصدر نفسه 109، 335، 360، 453، 488 .

منه الأحكام المذكورة				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
ابن الضائع (علي بن محمد)	680 هـ	5(1)	المصاحف	1(7)
المالقي (محمد بن الحسن)	771 هـ	5(2)		
أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس)	215 هـ	4(3)		
ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)	276 هـ	4(4)		
ابن كيسان (محمد بن أحمد)	299 هـ	4(5)		
ابن الأثيري (أبو بكر محمد بن القاسم)	327 هـ	4(6)		
الزجاجي (أبو عبد الرحمن بن إسحاق)	337 هـ	4(8)		

(1) انظر مغني اللبيب 99، 146، 289، 290، 352 .

(2) انظر المصدر نفسه 29، 79، 302، 364، 443 .

(3) انظر المصدر نفسه 59، 70، 165، 449 .

(4) انظر المصدر نفسه 116، 142، 246، 247 .

(5) انظر المصدر نفسه 84، 248، 277، 386 .

(6) انظر المصدر نفسه 195، 253، 269، 421 .

(7) انظر المصدر نفسه 421 .

(8) انظر المصدر نفسه 188، 253، 318، 442 .

د جدول المصادر النادرة من علماء العربية				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
عيسى بن عمر النخعي	149 هـ	(1)3	الصحاح	(4)4
ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن اسحاق)	241 هـ	(2)3		
الجوهري (إسماعيل بن حماد)	393 هـ	(3)3		
الرعي (علي بن عيسى)	420 هـ	(5)3		
الخللي (أبو اسحاق أحمد بن محمد النيسابوري)	427 هـ	(6)3		
المعري (أبو العلاء أحمد بن عبد الله)	449 هـ	(7)3	المحكم شرح جمل لأزجاني	(9)2 (10)1
ابن سيده (علي بن إسماعيل)	458 هـ	(8)3		
الأعلم (يوسف بن سليمان)	476 هـ	(11)3		

(1) انظر معني اللبيب 388، 394، 414 .

(2) انظر المصدر نفسه 155، 320، 400 .

(3) انظر المصدر نفسه 205، 371، 422 .

(4) انظر المصدر نفسه 29، 59، 63، 155 .

(5) انظر المصدر نفسه 146، 179، 464 .

(6) انظر المصدر نفسه 474، 476، 477 .

(7) انظر المصدر نفسه 146، 209، 360 .

(8) انظر المصدر نفسه 232، 441، 457 .

(9) انظر المصدر نفسه 155، 185 .

(10) انظر المصدر نفسه 457 .

(11) انظر المصدر نفسه 126، 219، 424 .

تتبع للجنود السابقين				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
ابن أبي الربيع (أبو الحسن عبيد الله)	688 هـ	(1)3		
الليثاني (أبو الحسن علي بن حازم)	كان حيا قبل 207 هـ	(2)2		
أبو حاتم السجستاني (سهل بن محمد)	248 هـ	(3)2		
ميرمان (محمّد بن علي بن اسماعيل)	345 هـ	(4)2	الحواشي	(5)1
ابن خالويه (الحسن بن أحمد)	370 هـ	(6)2	الجم	(7)1
لهروي (أبو الحسن علي بن محمد)	415 هـ	(8)2		
ابن برهان (عبد الواحد بن علي)	456 هـ	(9)2		
عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن)	481 هـ	(10)2		

(1) نظر مغني اللبيب 289، 376، 385 .

(2) نظر المصدر نفسه 45، 365 .

(3) نظر المصدر نفسه 259، 503 .

(4) نظر المصدر نفسه 209، 221 .

(5) نظر المصدر نفسه 209 .

(6) نظر المصدر نفسه 312، 474 .

(7) نظر المصدر نفسه 312 .

(8) نظر المصدر نفسه 262، 363 .

(9) نظر المصدر نفسه 91، 220 .

(10) نظر المصدر نفسه 113، 471 .

تابع للجدول السابق د				
عدد المرات	الكتاب	عدد المرات	تاريخ وفاته	اسم العالم
		(1)2	580 هـ	ابن طاهر الأصبهاني (أبو بكر محمد بن الله)
		(2)2	643 هـ	ابن يعيش (يعيش بن علي)
		(3)1	202 هـ	أبو محمد الفيزيقي (يحيى بن المبارك)
		(4)1	202 هـ لو 203 هـ	للنضير بن شميل
		(5)1	204 هـ	ابن الكلبي (هشام بن محمد بن سائب)
		(6)1	206 هـ	أبو عمرو القشيري (إسحاق بن مرار)
		(7)1	231 هـ	ابن سعد بن (أبو جعفر محمد)
		(8)1	257 هـ	الريثي (أبو الفضل العباس بن فرج)

(1) نظر مغني اللبيب 43، 424

(2) نظر المصدر نفسه 447، 448

(3) نظر المصدر نفسه 388

(4) نظر المصدر نفسه 250

(5) نظر المصدر نفسه 200

(6) نظر المصدر نفسه 165

(7) نظر المصدر نفسه 318

(8) نظر المصدر نفسه 68

تابع للجدول السابق د	اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
	الأخفش الصغير (علي بن سليمان)	315 هـ	1		(1)
	ابن شقير (أبو بكر أحمد بن الحسن)	317 هـ	1		(2)
	أبو عمر الزاهد (غلام ثعلب محمد بن عبد الواحد)	345 هـ	1		(3)
	الخارزنجي (أحمد بن محمد)	348 هـ	1		(4)
	أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم)	356 هـ	1		(5)
	أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)	395 هـ	1		(6)
	الفزني (محمد بن مسعود بن النكي)	421 هـ	1		(7)
	الأسود القفنجي (الحسن بن أحمد)	428 هـ	1	نزهة الأديب	(8)
					(9)

(1) نظر مغني اللبيب 374 .

(2) نظر المصدر نفسه 125 .

(3) نظر المصدر نفسه 464 .

(4) نظر المصدر نفسه 469 .

(5) نظر المصدر نفسه 469 .

(6) نظر المصدر نفسه 209 .

(7) نظر المصدر نفسه 301 .

(8) نظر المصدر نفسه 335 .

(9) نظر المصدر نفسه 335 .

تأريخ للجدول السابق د				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
خطاب (أبو بكر بن يوسف)	450 هـ	(1)		
ابن بابشاد (طاهر بن أحمد)	469 هـ	(2)		
الجلولي (الحسن بن علي)	في القرن الخامس الهجري	(3)		
الفتبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي)	502 هـ	(4)		
ابن يسعون (يوسف بن يهيا)	542 هـ	(5)		
ابن هشام اللخمي (محمد بن أحمد)	560 هـ	(6)		
ابن الخشاب (عبد الله بن أحمد)	567 هـ	(7)		
ملك النخاعة (أبو نزار الحسن بن صافي)	568 هـ	(8)		
ابن الدهان (سعيد بن المبارك)	569 هـ	(9)		
عبد الله بن بري	582 هـ	(10)		

(1) نظر مفتي الليب 301 .

(2) نظر المصدر نفسه 32 .

(3) نظر المصدر نفسه 158 .

(4) نظر المصدر نفسه 350 .

(5) نظر المصدر نفسه 435 .

(6) نظر المصدر نفسه 352 .

(7) نظر المصدر نفسه 212 .

(8) نظر المصدر نفسه 389 .

(9) نظر المصدر نفسه 187 .

(10) نظر المصدر نفسه 398 .

تابع للجدول السابق د				
عدد المرات	الكتاب	عدد المرات	تاريخ وفاته	اسم العالم
		(1)1	584 هـ	ابن ملكون (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد)
		(2)1	596 هـ	للفاضل (عبد الرحمن بن علي البيهقي)
		(3)1	604 هـ	أبو زر الغنوي (مصعب بن محمد)
		(4)1	610 هـ	للمطرزي (ناصر بن عبد السيد)
		(5)1	625 هـ	ابن معزوز (أبو الحاج يوسف بن معزوز)
		(6)1	بعد 630 هـ	لصفار (قاسم بن علي)
		(7)1	680 هـ	الأبدي النحوي (أبو الحسن علي بن محمد)
		(8)1	684 هـ	حازم القرطاجي (أبو الحسن بن محمد الأنصاري)
		(9)1	756 هـ	ظاهر القزويني المعروف بالنجار (بهاء الدين أبو محمد)
(12)1	العلل	(11)1	؟	عيسى بن موهب (10)

(1) نظر مغني اللبيب 442 .

(2) نظر المصدر نفسه 476 .

(3) نظر المصدر نفسه 334 .

(4) نظر المصدر نفسه 255 .

(5) نظر المصدر نفسه 448 .

(6) نظر المصدر نفسه 82 .

(7) نظر المصدر نفسه 268 .

(8) نظر المصدر نفسه 123 .

(9) نظر المصدر نفسه 376 .

(10) لم ائت إليه في كتب الطبقات و التراجم .

(11) نظر مغني اللبيب 273 .

(12)2 نظر المصدر نفسه 73 .

تابع للجدول السابق د				
عدد المرات	الكتاب	عدد المرات	تاريخ وفاته	اسم العالم
(1)2	المستوفى	/	في القرن السابع هـ	جمال الدين بن العرقان (علي بن مسعود بن محمود ابن الحكم)
(2)1	البسيط	/	في القرن السابع هـ	ضياء الدين بن الطنج (أبو عبد الله محمد بن علي)
(3)1	مفتاح العلوم	/	626 هـ	نيساكي (يوسف بن أبي بكر)
(4)1	الإيضاح البياني	/	739 هـ	الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن)

(1) انظر مغني اللبيب 106، 236 .

(2) انظر المصدر نفسه 383 .

(3) انظر المصدر نفسه 106 .

(4) انظر المصدر نفسه 464 .

هـ جدول المصادر القليلة من علماء الشرع والقراءات				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
عبد الله بن مسعود القارئ	32 هـ	(1)8	التفسير	1(3)
عبد الله بن عباس للفسر	68 هـ	(2)7		
حمزة بن حبيب الزيات الكوفي القارئ	116 هـ	(4)7		
أبي بن كعب القارئ	30 هـ	(5)5	مصحف أبي	2(6)
ابن كثير المكي القارئ	120 هـ	(7)5		
نافع المديني القارئ	169 هـ	(8)5		
مكي بن أبي طالب	437 هـ	(9)5	مشكل الإعراب	1(10)

(1) انظر معني لليبب 165، 246، 363، 393، 405، 413، 420، 451.

(2) انظر المصدر نفسه 154، 238، 452، 454، 460، 461، 475 .

(3) انظر المصدر نفسه 461 .

(4) انظر المصدر نفسه 43، 202، 241، 276، 277، 294، 371 .

(5) انظر المصدر نفسه 192، 246، 272، 331، 363 .

(6) انظر المصدر نفسه 331، 376 .

(7) انظر المصدر نفسه 18، 36، 37، 56، 372 .

(8) انظر المصدر نفسه 18، 36، 56، 372، 172 .

(9) انظر المصدر نفسه 16، 186، 237، 250، 451 .

(10) انظر المصدر نفسه 16 .

و جدول المصادر النادرة من علماء الشرع والقراءات				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
ابن محيصة (محمد بن عبد الرحمن)	123 هـ	(1)3	صحيح البخاري	(5)3
أبو بكر القارئ (شعبة بن عياش الأزدي الكوفي)	193 هـ	(2)3		
حفص بن عمر القارئ	246 هـ	(3)3		
البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)	256 هـ	(4)3		
سعيد بن جبير	95 هـ	(6)2		
أبو رجاء العطارى (عمران بن نعيم)	107 هـ	(7)2	المسند	(9)1
الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس)	204 هـ	(8)2		
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)	310 هـ	(10)2		
ابن عطية (عبد الحق بن غالب الغرناطي)	542 هـ	(11)2		
الرازي (محمد بن عمر)	606 هـ	(12)2		

(1) انظر مغني اللبيب 21، 46، 63 .

(2) انظر المصدر نفسه 36، 56، 372 .

(3) انظر المصدر نفسه 37، 206، 371 .

(4) انظر المصدر نفسه 154، 156، 243 .

(5) انظر المصدر نفسه 154، 156، 243 .

(6) انظر المصدر نفسه 35، 307 .

(7) انظر المصدر نفسه 306، 405 .

(8) انظر المصدر نفسه 155، 464 .

(9) انظر المصدر نفسه 155 .

(10) انظر المصدر نفسه 161، 251 .

(11) انظر المصدر نفسه 165، 234 .

(12) انظر المصدر نفسه 48، 394 .

تابع للجدول السابق و				
عدد المرات	الكتاب	عدد المرات	تاريخ وفاته	اسم العالم
		(1)1	في 61 أو 63 هـ	الربيع بن الخثيم (أبو يزيد الكوفي)
		(2)1	122 هـ	زيد بن علي (ابن الحسين بن علي)
		(3)1	128 هـ	عاصم بن أبي النجود
		(4)1	167 هـ	حماد بن مسلمة
		(5)1	170 هـ	ابن جمان (سليمان بن مسلم)
		(6)1	182 هـ	أبو يوسف القاضى (يعقوب بن إبراهيم)
		(7)1	220 هـ	قالون القارئ (عيسى بن مينا الزهري)
		(8)1	245 هـ	هشام القارئ (ابن عمار السلمي)

- (1) قطر مطي اليب 405 .
- (2) قطر المصدر نفسه 351 .
- (3) قطر المصدر نفسه 399 .
- (4) قطر المصدر نفسه 387 .
- (5) قطر المصدر نفسه 273 .
- (6) قطر المصدر نفسه 76 .
- (7) قطر المصدر نفسه 294 .
- (8) قطر المصدر نفسه 294 .

تابع للجدول السابق و				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
البيزي القارئ (أبو الحسن أحمد بن محمد)	250 هـ	(1)		
مسلم (ابن الحجاج القشيري)	261 هـ	(2)	صحيح مسلم	(3)
قتيل القارئ (أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن المكي)	291 هـ	(4)		
الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)	360 هـ	(5)	المعجم	(6)
الخطابي (أبو سليمان أحمد بن محمد)	388 هـ	(7)		
الهنلي (أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة)	465 هـ	(8)	الكامل	(9)
الواحدي (علي بن أحمد)	468 هـ	(10)		
الجويني (عبد الملك بن عبد الله إمام الحرمين)	478 هـ	(11)	قبرهات	(12)

(1) انظر معني القليب 295 .

(2) انظر المصدر نفسه 154 .

(3) انظر المصدر نفسه 154 .

(4) انظر المصدر نفسه 482 .

(5) انظر المصدر نفسه 164 .

(6) انظر المصدر نفسه 164 .

(7) انظر المصدر نفسه 140 .

(8) انظر المصدر نفسه 63 .

(9) انظر المصدر نفسه 63 .

(10) انظر المصدر نفسه 65 .

(11) انظر المصدر نفسه 464 .

(12) انظر المصدر نفسه 464 .

نديم للجنول السابق و				
اسم العالم	تاريخ وفاته	عدد المرات	الكتاب	عدد المرات
ابن تبي العافيه (أبو بكر محمد بن عبد الرحمن)	583 هـ	1 (1)		
أبو ذر الخثني (مصعب بن محمد الأتلسي)	604 هـ	1 (2)		
السخاوي (علي بن محمد)	643 هـ	1 (3)		

(1) انظر مغني اللبيب 265 .

(2) انظر المصدر نفسه 334 .

(3) انظر المصدر نفسه 75 .

ز جدول * ما لم يخضعه ابن هشام للتوثيق أو ينسبه إلى عالم بعينه	
ما نسبته إلى جماعة من العلماء من غير تعيين	ما نسبته إلى بعض العلماء من غير تعيين
* ... و خالفهم جماعة أولهم الزمخشري. (1)* * ... قال جماعة من النحويين. (2)* * و خرج جماعة من النحويين. (3)* * و من الغريب أن جماعة. (4)* * قاله جماعات. (5)* * و به قال الكوفيون و جماعة من البصريين (6)* * خالفه الكوفيون و جماعة من البصريين. (7)* * و جوز الزمخشري و جماعة. (8)* * لازمة عند الفارسي و المازني و جماعة. (9)* * و قد تؤولت قراءة الجماعة. (10)* * و قول الطبري و جماعة. (11)* * أجازة جماعة. (12)* * زعم جماعة من الأصوليين و البيانين. (13)* * قال جماعة من المتقدمين و المتأخرين ... (14)* * ... و قد صرح بذلك جماعة من المفسرين (15)* * ... أثبتها الكوفيون و الأخفش و جماعة ... (16)*	* ذكره بعضهم. (17)* * و ذكر بعضهم معان أخر لا صحة لها. (18)* * زعم بعضهم. (19)* * ... قاله بعضهم. (20)* * حكى لنا بعض طلبة اليمن ... (21)* * و بعضهم يقول ... (22)* * أجاز الكوفيون و بعض البصريين. (23)* * و زعم بعض المتأخرين. (24)* * و قال بعض الكوفيين، و للبصريين فيها أقوال. (25)* * ... و حمل عليه بعض المحققين. (26)* * ... كقراءة بعضهم. (27)* * و زعم بعض المغاربة. (28)* * و قال بعض البغداديين ... (29)* * خلافا لبعضهم. (30)* * تمسكا بقراءة بعضهم (31)* * حمل بعضهم ... (32)*

* وهذا الجدول كان على سبيل المثال لا الحصر.

- | | |
|------------------------|------------------------|
| (1) مفتي الليب 22 . | (17) المصدر نفسه 21 . |
| (2) المصدر نفسه 32 . | (18) المصدر نفسه 27 . |
| (3) المصدر نفسه 34 . | (19) المصدر نفسه 46 . |
| (4) المصدر نفسه 90 . | (20) المصدر نفسه 54 . |
| (5) المصدر نفسه 101 . | (21) المصدر نفسه 71 . |
| (6) المصدر نفسه 104 . | (22) المصدر نفسه 73 . |
| (7) المصدر نفسه 107 . | (23) المصدر نفسه 77 . |
| (8) المصدر نفسه 108 . | (24) المصدر نفسه 80 . |
| (9) المصدر نفسه 221 . | (25) المصدر نفسه 91 . |
| (10) المصدر نفسه 238 . | (26) المصدر نفسه 93 . |
| (11) المصدر نفسه 251 . | (27) المصدر نفسه 105 . |
| (12) المصدر نفسه 397 . | (28) المصدر نفسه 175 . |
| (13) المصدر نفسه 406 . | (29) المصدر نفسه 215 . |
| (14) المصدر نفسه 453 . | (30) المصدر نفسه 245 . |
| (15) المصدر نفسه 461 . | (31) المصدر نفسه 257 . |
| (16) المصدر نفسه 473 . | (32) المصدر نفسه 479 . |

ما نسبته إلى فئة معينة من غير تخصيص	ما نسبته إلى كثير أو أكثر العلماء من غير تعيين
استدل المبتوتون ... (17)^{هـ} و قد أولع الفقهاء و غيرهم ... (18)^{هـ} و يؤيده قول المفسرين ... (19)^{هـ} و لكن للنحويين قالوا ... (20)^{هـ} و المحققون ... (21)^{هـ} كما قالت المعتزلة ... (22)^{هـ} و قال آخرون ... (23)^{هـ} كذا قال المغاربة ... (24)^{هـ} أثبت ذلك قوم ... (25)^{هـ} كقول لئمة اللغة ... (26)^{هـ} قال البيهقيون ... (27)^{هـ} ... وفقا للجمهور ... (28)^{هـ} و يقول المانعون ... (29)^{هـ} و هو شاذ عند البصريين قياسا عند الكوفيين ... (30)^{هـ} و قال المخالفون ... (31)^{هـ} و يقدرها سيبويه و الأحنمون ... (32)^{هـ}	أجاز الكوفيون و بعض البصريين و كثير من المتأخرين ... (1)^{هـ} ... و هو قول الأكثرين ... (2)^{هـ} مذهب سيبويه و أكثر البصريين ... (3)^{هـ} ... خلافا للأكثرين ... (4)^{هـ} ... فأثبتته الأكثرون ... (5)^{هـ} ... نفاه الأكثرون ... (6)^{هـ} إلا أن أكثر العرب ... (7)^{هـ} فهو عند سيبويه و الخليل و المبرد و الزجاج و أكثر البصريين ... (8)^{هـ} ... خلافا لأكثر الكوفيين ... (9)^{هـ} و يسميها أكثرهم ... (10)^{هـ} و زعم كثير من الناس ... (11)^{هـ} و قال الأكثرون ... (12)^{هـ} ... عند الأكثرين ... (13)^{هـ} ... نقله عن أكثر المحققين ... (14)^{هـ} و أكثر العرب على وجوب ... (15)^{هـ} و قال أكثر الكوفيين ... (16)^{هـ}

- | | |
|------------------------|------------------------|
| (1) مضي لليب 77 . | (17) المصدر نفسه 56 . |
| (2) المصدر نفسه 131 . | (18) المصدر نفسه 63 . |
| (3) المصدر نفسه 165 . | (19) المصدر نفسه 94 . |
| (4) المصدر نفسه 180 . | (20) المصدر نفسه 100 . |
| (5) المصدر نفسه 228 . | (21) المصدر نفسه 111 . |
| (6) المصدر نفسه 234 . | (22) المصدر نفسه 141 . |
| (7) المصدر نفسه 247 . | (23) المصدر نفسه 154 . |
| (8) المصدر نفسه 249 . | (24) المصدر نفسه 167 . |
| (9) المصدر نفسه 277 . | (25) المصدر نفسه 234 . |
| (10) المصدر نفسه 278 . | (26) المصدر نفسه 247 . |
| (11) المصدر نفسه 279 . | (27) المصدر نفسه 265 . |
| (12) المصدر نفسه 289 . | (28) المصدر نفسه 277 . |
| (13) المصدر نفسه 322 . | (29) المصدر نفسه 350 . |
| (14) المصدر نفسه 345 . | (30) المصدر نفسه 413 . |
| (15) المصدر نفسه 441 . | (31) المصدر نفسه 429 . |
| (16) المصدر نفسه 442 . | (32) المصدر نفسه 471 . |

المبحث الثاني

طريقة تعامل ابن هشام مع مصادر المادة

- 1- منهج تفضيل بعض المصادر "سيبويه"
- 2- منهج نقد بعض المصادر "ابن مالك"
- 3- منهج معارضة بعض المصادر "أبو حيان الأندلسي"
- 4- منهج الاستدلال ببعض المصادر الشرعية

لا يتورع ابن هشام في أثناء التحقيق العلمي من نقد المصادر المختلفة و توجيهها بالطريقة التي يراها مناسبة لمنهج تفسير المفردات، هذا المنهج الذي وفق فيه ابن هشام، لانطلاقه في ذلك من خلفية مصدرية دقيقة و متنوعة كقوله:

"و زعم جماعة من الأصوليين، و البيهقيين أن ما الكلفة التي مع إن نافية، و أن ذلك مسبب لفلاتها للحصر، قالوا: لأن إن للإثبات و ما للنفي، فلا يجوز أن يتوجها معا إلى شيء واحد، لأنه تناقض و لا أن يحكم بتوجه النفي للمذكور بعدها، لأنه خلاف الواقع باتفاق، فتعين صرفه لغير المذكور، و صرف الإثبات للمذكور فجاء للحصر... (1)"

و يصحح ابن هشام معتادا التحقيق فيواصل قائلا:

"... و هذا البحث مبني على مقدمتين باطلتين بإجماع النحويين إذ ليست إن للإثبات، و إنما هي لتوكيد الكلام إثباتا كان، مثل إن زيدا ظلم لو نفيا مثل إن زيدا ليس بقاتل و غنـهـ جـنـنـهـ لا يظلم الناس شيئا (2) و ليست ما للنفي بل هي بمنزلتها في أخواتها لئما، و لظكما، و لكثما... (3)".

و بعد ابن هشام إلى تتبع المصادر في ضوء الوجه اللغوي، أو المسألة النحوية للمفردة، وفق منهج استقرائي، يراعي فيه التوثيق و الاستدلال و على رأي أحد المحققين فإن "لغة النحو و لقراءات كلهم تقريبا ... وردت أسماؤهم بكتاب المعنى و لهم فيه أقوال ارتضاها لو ناقشها ابن هشام (4)، و من ذلك قوله مناقشا هذا الموضوع من استعمالات لولا.

"... ففلولا كانت قرية أمنت فلقعها إيمانها إلا قوم يؤمن (5)، و الظاهر أن المعنى على قتبويخ، أي فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة ثابت عن الكفر قبل مجيء للعذاب، فنفعها ذلك، و هو تفسير الأخفش، و الكسائي، و القراء، و علي بن عيسى، و النحاس، و يؤيده قراءة أبي و عبد الله (6)

و على ضوء هذين المثالين، و بالنظر إلى ما جاء في الجدول السابقة، يتبين جليا للدارس أن الكتاب -على الرغم من الاعتماد على بابه الأول فقط - يُعدُّ معجما كاشفا بالدليل المحقق فيه، عن مصادر كثيرة متنوعة، تطلبها بحث ابن هشام عن البديل الأمثل في قوله: "و قد تجنبت هذين الأمرين (7)، و أثبت مكانهما

(1) مغني اللبيب 406 .

(2) يونس 44 .

(3) مغني اللبيب 406 .

(4) ابن هشام الأصمري انظره و مذهبه النحوي 374 .

(5) يونس 98 . انظر معاني القرآن للقرآء 4 / 475

(6) مغني اللبيب 362، 363، انظر معاني القرآن للأخفش 1/ 295، و معاني الحروف للرملي 124، و انظر تخريج القراء في الكشف للزمخشري 2/ 253.

(7) هذان الأمران هما: إيراد ما لا يتطابق بالإعراب، و إعراب الواضحات. انظر مغني اللبيب 15، 16 .

"و الثاني: أن تكون بمعنى حقاً أو لاحقاً على خلاف في ذلك سيأتي... و قال بعضهم: هي اسم بمعنى حقا، و قال آخرون هي كلمتان، الهمزة للاستفهام و موضع ما انتصب على الظرفية، كما انتصب حقا على ذلك في نحو قوله:

أحقاً لَنْ جِبرْتَنَا استَقْطُوا (1)

وهو قول سيبويه، و هو الصحيح بنيل قوله:

أَفِي الْحَقِّ إِنِّي مُغَرِّمٌ بِكَ هَاتِمٌ (2) (3)

و في موضع آي يقول ابن هشام على لسان قزجاج الذي ينزه آراء سيبويه من شيوخ الخطأ فيها "ما يبيح لي أن سيبويه غلط إلا في موضعين هذا أحدهما، فإنه يسم لها تعرب إذا لفرت [أي]، فكيف يقول بينها إذا اضيفت. (4)

و ابن هشام يستدل بالإعراب على قبول تخريج سيبويه و إن لم يصرح بذلك فيقول في أثناء حديثه عن ألا و إفانتها للتمني.

"... و لكن تختص التي للتمني بأنها لا خبر لها لفظاً، و لا تقديراً، و بأنها لا يجوز مراعاة محلها مع اسمها، و أنها لا يجوز إلغاؤها، و لو تكررت، أما الأول فلأنها بمعنى لتمنى، و لتمنى لا خبر له ... و هذا كله قول سيبويه و من وافقه (5)

و في المسألة الزنبورية نلمس انتصار ابن هشام الواضح لسيبويه بالدليل القوي، و الحجة القاطعة فيقول رداً على من خالف سيبويه في هذه المسألة:

"... و أما سؤال الكسائي فجوابه ما قاله سيبويه، و هو فإذا هو هي هذا هو وجه الكلام مثل فإذا هي بيضاء (6) فإذا هي حية (7) و أما فإذا هو إياها إن ثبت فخرج عن القياس، و استعمال الفصحاء، كالجزم به أن و انتصب به لم و الجر به لعل، و سيبويه و أصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك، و إن تكلم بعض العرب به (8)

(1) تامله: فَنِيْتْنَا وَ نَبِيْتُهُمْ فَرِيْقٌ مِنْ [الفرار] للمفضل الذكري أو لعامر بن معشر بن أسحم بن عدي، و هو من شواهد سيبويه، انظر الكتاب 136/3، انظر شرح شواهد المعنى 170/1، و شرح ليلى المعنى 348/1.

(2) تامله: و أَتَكَ لَا خُلْ هَوَاكِ وَ لَا خُمُرٌ مِنْ [الطويل] عزاه السيوطي لعابد بن المنذر، انظر شرح شواهد المعنى 172/1، أما البغدادي فذهب إلى أن قلته مجهول، انظر شرح ليلى المعنى 358/1.

(3) معني القليب 79، 78 انظر الكتاب 122/3.

(4) المصدر نفسه 108 انظر الكتاب 405/2.

(5) المصدر نفسه 97، انظر الكتاب 289/1.

(6) الأعراف 108.

(7) طه 20.

(8) معني القليب 125، انظر الإتصاف في مسائل الخلاف 702/2، و في قول ابن هشام التفتة قوية لاستحسانه المذهب البصري.

انظر المدارس النحوية 347، 80.

و ابن هشام يثق كثيرا في تفسيرات سيبويه و يرجحها على غيرها بل يتخذها سلما لتصحيح أمور كثيرة، شاعت بين النحويين فيقول في موضع لو:

....^١ و قد انضح أن أفسد تفسير لـ لو قول من قال: حرف امتناع لامتناع و أن العبارة الجيدة قول سيبويه رحمه الله: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره...^(١)

و يخطئ ابن هشام كل من لا يوافق سيبويه، فيقول في موضع ذكر نعم: ^٢ و قال جماعة من المتقدمين، و المتأخرين منهم الثعلوبين: إذا كان قبل النفي استفهام فإن كان على حقيقته، فجوابه كجواب النفي المجردة، و إن كان مرادا به التقرير، فالأكثر أن يجلب به الإيجاب رعا لمعناه... ألا ترى أنه لا يجوز بعده دخول أحد، و لا الاستثناء للمفرغ، لا يقال أليس أحد في الدار، و لا أليس في الدار إلا زيد، و على ذلك قول الألبان رضي الله تعالى عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم - و قد قال لهم: لستم ترون لهم ذلك⁽²⁾، نعم، و قول جندر:

أليس للليل يجمع لم عمرو
و لينا فذلك بنا تـدلين
نعم، و أرى الهلال كما تراه
و يعلوها النهار كما علاني⁽³⁾

و على ذلك جرى كلام سيبويه و المخطئ مخطئ⁽⁴⁾ و في تخريجات الفاصلة في كل خلاف، يلجأ ابن هشام إلى آراء سيبويه، و لو من باب التمثيل الجزئي فقط. إذ يقول في موضع أن^٥... و أن هذه موصول حرفي، و توصل بالفعل المنتصرف، مضارعا كان كما مر، لو ماضيا نحو لم لولا أن من الله علينا^(٥) و لولا أن نبينا⁽⁶⁾ أو أمرا كحكاية سيبويه كتبت إليه بأن قم⁽⁷⁾ و تبقى آراء سيبويه صحيحة بلا منازع تنصير أغلب توجيهات و تخريجات ابن هشام في كثير من مسائل و قضايا مادة باب للمفردات، من ذلك قول ابن هشام في موضع الكفة:

... لم أنيتك هذا الذي كرمت علي⁽⁸⁾، فالتاء فاعل و الكاف حرف خطاب هذا هو الصحيح و هو قول سيبويه...⁽⁹⁾

و يتبع ابن هشام منهجا ظنيا في رصد آراء يراها منسوبة لمسيبويه لأنها غير موافقة للوجه الصحيح في

(1) معنى اللبيب 342، انظر الكتاب 224/4 .

(2) لم تذكره كتب الحديث المعروفة.

(3) مع [الوافر] لجندر بن مالك، شاعر عاش في العصر الأموي، انظر شرح شواهد المعنى 407/2 و شرح أبيات المعنى 59/6 و قد نسب ابن قتيبة هذا البيت للمعلول، انظر الشعر و الشعر 292 .

(4) معنى اللبيب 453، انظر الكتاب 234/4 .

(5) القصص 82

(6) الإسماء 74 .

(7) معنى اللبيب 43، انظر الكتاب 162/3، 163 .

(8) الإسماء 62 .

(9) معنى اللبيب 240، انظر الكتاب 239/1 .

العربية فيقول:

"... و اختلف في ﴿أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ لَوْ يَزِيدُونَ﴾⁽¹⁴⁾ فقال الفراء: بل يزيدون، هكذا جاء في التفسير مع صحته في العربية، و قال بعض الكوفيين، بمعنى اللول، و للبصريين فيها لقول، قيل للإيهام، و قيل للتخيير، أي إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول هم مئة ألف أو يقول هم أكثر، نقله ابن الشجري عن سيويه، و في ثبوته عنه نظر ... (2)¹⁴

2- منهج نقد بعض المصادر: (ابن مالك)

إذا كان سيويه قد حظي بالمنزلة الأولى في ترجيحات ابن هشام، فهناك آخرون لم يتساهل معهم في أخطائهم، و سقطاتهم النحوية و اللغوية، فطرح آراءهم بعد عرضها و تحليلها بأحكام شتى: كالوهم⁽³⁾، و السهو⁽⁴⁾، و البطلان⁽⁵⁾، و التمسك⁽⁶⁾، و الضعف⁽⁷⁾، و النظر⁽⁸⁾، و الرد⁽⁹⁾. و لعل العالم الآخر الذي يستوقف الراصد لمصادر ابن هشام، في مادة باب الأول هو ابن مالك، و لم يكن لجوء ابن هشام إلى آرائه، من باب موافقتها و ترجيحها على غيرها، على النحو الذي وقف به من آراء سيويه؛ و إنما لنقدها و استخلاص المقبول و المرفوض منها، بالتحليل و النقاش العلمي الرصين. لقد بثت آراء ابن مالك في هذا الباب بشكل غالب⁽¹⁰⁾ للمصادر الأخرى، كما أن آثاره تردد نكرها في مواضع كثيرة من المعنى، و هذا دليل قاطع على غلبة ابن هشام، باجتهادات ابن مالك للنحوية و احترامه لها، و تأثيره بمنهج في دراسته. و ربما يعود وضع ابن هشام لتأليف كثيرة حول إنتاج ابن مالك⁽¹¹⁾ سبباً قوياً في تردد آرائه في كتاب المعنى الذي احتوى على تجارب المؤلف و قدراته السابقة في الحقلين النحوي و اللغوي.

(1) المسالك 147.

(2) معنى اللبيب 91، نظر معاني القرآن للفراء 393/2، و في كتاب سيويه لم يرد ذكر ما نقله ابن الشجري عنه لفظاً، كما لم يرد ذكر الآية المستشهد بها، نظر الكتاب 184/3.

(3) نظر معنى اللبيب 85، 205، 264.

(4) نظر المصدر نفسه 457.

(5) نظر المصدر نفسه 44.

(6) نظر المصدر نفسه 251، 212، 108.

(7) نظر المصدر نفسه 303.

(8) نظر المصدر نفسه 225، 91.

(9) نظر المصدر نفسه 439، 90، 59.

(10) نظر جدول المصادر الغلبة من علماء العربية و قد مر نكرها في هذا الفصل.

(11) نظر ما جاء في ترجمة ابن هشام عن جهود الطيبة و اللغوية 15- 18.

و مهما يكن من جرأة ابن هشام على تصويب بعض آراء ابن مالك، و تصحيحها فهو لا ينكر عليه إمامته فقال في موضع ^١إلا منبها:

^٢ليس من أقسام ^٣إلا التي في نحو ^٤ (إلا تتصروه فقد نصره الله ١)، و إنما هذه كلمتان، إن الشرطية، و لا النافية، و من العجب أن ابن مالك على إمامته ذكرها في شرح التسهيل من أقسام ^٥إلا (2)

و لا يتردد ابن هشام عن التنويه ببعض تخريجات ابن مالك، فيساوي بينها و بين تخريج لمسيبويه، يراه الأمثل، فيقول في موضع حديثه عن لو:

^٦و قد انضح أن أسد تفسير لـ لو قول من قال: حرف لمتناع لامتناع، و أن العبارة الجيدة قول سيبيويه رحمه الله: حرف لما كان سيقع غيره، و قول ابن مالك: حرف يدل على انتفاء نال، و يلزم لثبوته ثبوت تاليه...^٧ (3)

و لا يقف ابن هشام عند هذه النقطة، في إقرار هذه المساواة العلمية بينهما، و إنما يواصل التحليل و الاستنباط، نفي كل إشكال و نقص الحق بعبارة سيبيويه، و يرى أن النقص موجود في عبارة ابن مالك فيقول:

^٨... نعم في عبارة ابن مالك نقص، فإنه لا نفيد أن لقضاءها للامتناع في الماضي، فإذا قيل لو حرف يقتضي في الماضي امتناع مايليه، و استلزامه لتاليه كان ذلك أجود العبارات^٩ (4)

و في كثير من الأحيان يستحسن ابن هشام آراء ابن مالك و اجتهاداته فيقبلها، كقوله في موضع ذكره لـ قد و إفرادتها للتوقع مع الماضي:

^{١٠}... و عبارة ابن مالك في ذلك حسنة فإنه قال: إنها تدخل على ماض متوقع، و لم يقل إنها تفيد التوقع، و لم يتعرض للتوقع في الدخلة على المضارع البتة و هذا هو الحق^{١١} (5)

و موضوعية ابن هشام في مناقشته لأغلب المصادر، خولت له أن ينتقد ابن مالك إذا تأكد بالمثل، و التحليل أنه قد حاد عن جادة الصواب، فيقول في موضع حديثه عن عل:

^{١٢}... اسم بمعنى فوق، التزموا فيه أمرين: أحدهما استعمال مجرورا بمن و الثاني: استعماله غير مضاف، فلا يقال: أخفته من عل السطح كما يقال من علوه، و من فوقه، و قد وهم في هذا جماعة منهم الجوهري و ابن مالك... و لما قوله:

يَارَبَّ يَوْمَ لَيْ لَا أَظْلَلُهُ
لَرَمَضُ مِنْ تَحْتُ وَ اضْحَى مِنْ عَلُهُ (6)

(1) التوبة 40 .

(2) معني القليب 102، انظر القاعدة التي أثبتتها ابن مالك في كتاب التسهيل 105 .

(3) المصدر نفسه 342، انظر التسهيل 240، و شرح التسهيل 29/1 .

(4) المصدر نفسه 342، 343 .

(5) المصدر نفسه 228، انظر التسهيل 242، 243 .

(6) من [الرجز] لأبي الهجنجل، انظر شرح شواهد المعني 448/1، و شرح أبيات المعني 353/3

فألهاء للمسكت بدليل أنه مبني، و لا وجه لبثائه لو كان مضافاً...⁽¹⁾

3 - منهج معارضة بعض المصادر: (أبو حيان)

و العينة الثالثة التي تسترعي لانتباه الدارس لمصادر ابن هشام، تمثلت في آراء أبي حيان، و قد وقف منها ابن هشام موقفاً خاصاً فعارضها بقوة و تجاوزها في كثير من المواضع، و لذلك فتر ترددها بالكتاب، و على الرغم من تلمذة ابن هشام على أبي حيان⁽²⁾ فإن ابن هشام لم يدافع عن آراء شيخه، و إنما لجأ إلى مخالفتها و الانحراف عنها...⁽³⁾ و لعل ذلك و الله أعلم لكون أبي حيان كان منفرداً بهذا الفن في ذلك العصر، غير مدافع عن السبق فيه، ثم كان المنفرد بعده. و كثيراً ما يناقش الرجل من كان قبله في رتبته التي صار إليها، لإظهارها لفضل نفسه بالاعتدال على مزاحمته لمن كان قبله، أو بالتمكن من البلوغ إلى ما لم يبلغ إليه...⁽⁴⁾ و موقف ابن هشام الراضل لآراء أبي حيان واضح من خلال ما أورده له، في الباب الأول من كتاب المعنى، و الذي يؤكد الدكتور علي فودة نيل قللاً: ' عرف ابن هشام بشدة مخالفته لأبي حيان، و أنه قلما ينكره إلا معترضاً عليه. هذه حقيقة نصت عليها كتب التراجم، و أكدها تتبع ما ورد في آثار صاحبه عن شيخه...⁽⁵⁾ فالمواعظ التي أورد فيها ابن هشام آراء أبي حيان⁽⁶⁾ و الفراء⁽⁷⁾ و الأخفش الأوسط⁽⁸⁾ و المعبر⁽⁹⁾ و الزجاج⁽¹⁰⁾ و ابن جني⁽¹¹⁾... و التي عكست موضوعية ابن هشام في التعامل مع آراء غيره، فعند استحصانها، و تلك المواضع قليلة أيضاً إذا ما قورنت بالمواضع التي وردت فيها آراء أئمة متأخرين، كالزمخشري⁽¹²⁾ و ابن الشجري⁽¹³⁾ و ابن عصفور⁽¹⁴⁾ و ابن مالك⁽¹⁵⁾ و هؤلاء هم ممن في مرتبة أبي حيان أو ما يقاربها، و قد تعامل ابن هشام مع آرائهم تعاملًا موضوعيًا.

(1) مخفي اللبيب 205، انظر الصحاح للجوهري (عل) هو التسهيل 66 .

(2) فظهر ما جاء في ترجمة ابن هشام عن شيخه 12، 11 .

(3) فبدر الطالع 401/1 .

(4) ابن هشام الأنصاري أثره و مذهبه النحوي 453 .

(5) في تسعة عشر موضعاً .

(6) في ستة و ثلاثين موضعاً .

(7) في ثلاثة و ثلاثين موضعاً .

(8) في تسعة و ستين موضعاً .

(9) في ثلاثة و أربعين موضعاً .

(10) في تسعة و عشرين موضعاً .

(11) في ثمانية و ثلاثين موضعاً .

(12) في سبعين موضعاً .

(13) في ثمانية و عشرين موضعاً .

(14) في ستة و ثلاثين موضعاً .

(15) في مائة و خمسة مواضع .

و من مواضع نقد ابن هشام لأبي حيان، و معارضته له قوله في حديثه عن ما⁴... و قول أبي حيان: لا يجوز فصل الضمير المحصور بـ... و استدلاله بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَعْظَمَكُمْ بِوَلَادَةٍ﴾ (1) ﴿إِنَّمَا لَشَكْوِ بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (2)، ﴿وَ إِنَّمَا تَوَلَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (3) وهم، لأن الحصر فيهن في جانب الظرف لا الفاعل، ألا ترى أن المعنى ما أعظمكم إلا بولادة، و كذلك لبقا... (4)

و آراء أبي حيان قد يرفضها ابن هشام باجتهاد منه -كما مر سابقا- لو يعارضها بمخالفة الآخرين له، سواء من المتقدمين أم من المتأخرين، ممن يُجلهم، من ذلك رده على أبي حيان في عدم اعترافه بوصول أن بالامر و تحقق المصدرية عن طريقهما فيقول مبطلا كل ما ذهب إليه أبو حيان في هذا الموضع: "... ثم ممّا يقطع به على قوله بالبطلان حكيمة سيبويه: كتبت إليه بأن لم، و أجاب عنها بأن الباء محتملة للزيادة مثلها في قوله:

..... لا يقرآن بالسور (5)

و هذا وهم فاحش، لأن حروف الجر -زائدة كانت أو غير زائدة- لا تدخل إلا على الاسم لو ما في تأويله (6)

و ينتصر ابن هشام للمتأخرين أيضا، على حساب أبي حيان، فيعارضه بآرائهم التي يراها مخالفة عن بيّنة لتخريج أبي حيان، نحو قوله في موضع حديثه عن حتى العاطفة:

"... أنها إذا عطفت على مجرور أعيد الخافض، فرقا بينها، و بين الجارة، فنقول: مررت بالقوم حتى يزيد ذكر ذلك ابن الخباز و أطلقه، و قيده ابن مالك بأن لا يتعين كونها للعطف نحو عجبت من القوم حتى بنيتهم و قوله:

جودُ يَمْنَاكَ فَاحْضَ فِي الْخَلْقِ حَتَّى يَأْتِيَ دَانَ بِالْإِسَاءَةِ دِينًا (7)

و هو حسن، و رده أبو حيان، و قال في المثال: هي جارة... و هي في البيت محتملة لنتهى.... و يظهر لي أن قدي لحظه ابن مالك أن الموضع الذي يصح أن تدخل فيه إلى محل حتى العاطفة فهي فيه محتملة للجارة، فيحتاج حينئذ إلى إعادة الجار عند قصد العطف نحو اعتكفت في الشهر حتى في آخره، بخلاف المثال و البيت السابقين. (8)

(1) سبأ 46 .

(2) يوسف 86 .

(3) آل عمران 185 .

(4) مغني اللبيب 407، انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان 156/2، و البحر المحيط لأبي حيان 290/7 .

(5) سبق توثيقه في الفصل الثاني 88 .

(6) مغني اللبيب 45، 44، انظر ارتشاف الضرب 424/2 .

(7) من [الخفيف] قتله مجهول. انظر شرح شواهد المغني 377/1، و شرح لبيت المغني 113/3 .

(8) مغني اللبيب 172، 173، انظر التسهيل 175 .

و يستعين ابن هشام بآراء أبي حيان، لإثبات و ترجيح الوجود التي يرتضيها لغيره فيقول في معرض تنبيه له عن كلا:

‘ قرىء في كلاً سيكفرون بعبادتهم’ (1) بالتثوين، إما على أنه مصدر كل إذا أعيا، أي كلوا في دعوهم و انقطعوا، لو من الكل و هو القتل أي حملوا كلا، و جوز لزمخشري كونه حرف الردع، و نُؤن كما في في سلاسل (2) ورده أبو حيان، بأن ذلك إنما صح في في سلاسل لأنه اسم أصله التثوين، فرجع به إلى أصله للتثويب، أو على لغة من يصرف ما لا ينصرف مطلقاً أو بشرط كونه مفاعلاً لو مفاعيل اهـ. (3) و يستترك ابن هشام على أبي حيان قائلاً:

‘... و ليس التوجيه منحصرًا عند لزمخشري في ذلك، بل جوز كون التثوين بدلاً من حرف الإطلاق المزيد في رأس الآية، ثم إنّه وصل بنية الوقف، و جزم بهذا الوجه في في قولير (4) و في قراءة بعضهم في و القليل إذا يسر (5) بالتثوين و هذه لقراءة مصححة لتأويله في كلاً، إذ الفعل ليس أصله للتثوين (6) و بالسير على مثل هذا المنهج في المعارضة يتصدى ابن هشام لبقية آراء أبي حيان بقوله: ‘... و تقتصر على إيراد هذا الجواب أبو حيان و فيه نظر...’ (7) و تقدير أبي حيان... مردود (8)، ‘... و قول أبي حيان مردود بما ذكرت...’ (9)، ‘... و خالفه أبو حيان و ليس قوله بشيء’ (10)، ‘... و منع أبو حيان أن يقول... و أقول...’ (11)

و هذا التصدي من ابن هشام لأبي حيان أرجعه بعضهم إلى كون ابن هشام أقدر من أبي حيان على الاستنباط، و التحليل و إخضاع المسائل و الوجود الإعرابية إلى القياس و النقاش العلمي الذكي (12)، و إذا كان في هذا الرأي محاولة لإتصاف ابن هشام من موقفه المتشدد تجاه أبي حيان، فإن هذه المحاولة لا يمكنها أن تخفي معارضة ابن هشام الجريئة لآراء أبي حيان، و تسفيه فكره كما كان يفعل أبو حيان مع ابن مالك (13)

-
- (1) مريم 82 .
 - (2) الأنسان 4 .
 - (3) مغني اللبيب 251، 252 .
 - (4) الأنسان 15، 16 .
 - (5) الفجر 4 .
 - (6) مغني اللبيب 252، انظر اكتشاف 523/2 و الإتهام في قراءات السبع لابن الفتح 800، 799/2 .
 - (7) المصدر نفسه 289 .
 - (8) المصدر نفسه 301 .
 - (9) المصدر نفسه 59 .
 - (10) المصدر نفسه 256 .
 - (11) المصدر نفسه 480 .
 - (12) اللغة العربية و علومها د/ عمر رضا كحالة 122 .
 - (13) المدرسة النحوية في مصر و الشام 315 .

4- منهج الاستدلال ببعض المصادر الشرعية:

كان للتكوين الشرعي لابن هشام، و معرفته بالفقه و التفسير، و علم القراءات -كما عرفنا من خلال ترجمة حياته- دافعا قويا و ماحدا انزويد مادته بمصادر شرعية و متنوعة، و ابن هشام لا يتورع أيضا عن نقدها، و تصويب أخطائها فيقول في موضع حديثه عن أم:

«...و قد أولع الفقهاء و غيرهم بأن يقولوا: سواء كان كذا أو كذا و هو نظير قولهم: يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا، و الصواب العطف في الأول بـ أم و في الثاني بالواو و في الصحاح (1) تقول: سواء علي قمت أو قعت لنتي. و لم يذكر غير ذلك، و هو سهو، و في كامل التهذلي (2) أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفراني «سواء عَلِيَّهِمُ أَلْتَرْتَهُمْ أَوْ لَمْ تَنْزُرْهُمْ» (3) و هذا من الشذوذ بمكان، و إن كانت همزة الاستفهام جاز قياسا، و كان الجواب نعم أو بلا... (4)»

و يبدو ابن هشام متفعا ثقافة شرعية واسعة و راسخة، و هو في تحليله و نقده يستعين بما عرفه و استوعبه في علم التفسير، فيدعم به تخريجاته من ذلك قوله في موضع ثم:

«...قال الطبري في قوله تعالى: أَنتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنُكُمْ بِهِ (5) معناه أهلك و ليست ثم التي تأتي للعطف لنتي. و هذا و هم اشتبه عليه ثم المضمومة لثاء بالمفتوحة... (6)»

و للقراء نصيب وافر في مادة الكتاب يكشف لنا عن منهج ابن هشام الاستدلالي في الاحتجاج بالقراءات المشهورة، و ضرورة الاستعانة بها في دعم التخريجات اللغوية و النحوية، و بخاصة قراءة أبي و ابن مسعود، و ابن عباس (7)، و حمزة، و ابن كثير، و ابن العلاء، و نافع، و الكسائي.

و هؤلاء جميعا هم ممن يُعَدُّ بهم (8) في تتبعهم لما جاء في كتب اللغز و جلتفسيرا و نطقا و لغة. و قد تمكن ابن هشام بذكاء بارع من الكشف عن الصلة الوثيقة القائمة بينهم و بين علماء العربية، إذ مزج بينهم في صعيد واحد، من أجل تصحيح الخطأ و دعم للصواب و توثيقه. لقد وقف ابن هشام من هؤلاء القراء موقف المتتبع للدليل المنطوق الذي لا يمكن أن يستغنى عنه، فيقول في موضع حديثه عن إن المخففة لتون المكسورة الهمزة:

(1) و ذهب المحقق إلى أنه الصحاح للجوهري، و قد تتبع ما جاء في الصحاح فلم أجد نكرا للاستعمال المذكور أعلاه.

(2) لم أجد فيه، و أظن أنه كتاب في القراءات.

(3) البقرة 6 .

(4) معنى الليب 63، 64، لم أجد نكرا للقراءة التي أوردها ابن هشام في كتب القراءات المعروفة، انظر المعتتب لابن جني

50/1 و 205/2، و القراءات الشاذة و توجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح قفلسي 27.

(5) يونس 51.

(6) معنى الليب 162، انظر تفسير جامع البيان للطبري 85/6 .

(7) اشتهر بالتفسير، انظر معجم المفسرين 310/1، 311 .

(8) انظر كتاب القراءات السبع لابن مجاهد 128-147، و فهرست 444 .

٤ الثالث: أن تكون مخففة من الثقيلة، فتدخل على الجملتين، فإن دخلت على الاسمية جاز إعمالها خلافاً للكوفيين (1) أو يشهد لنا قراءة الحرمين (2) و لبي بكر ﴿وَلِنْ كَلَّا لَمَّا يُؤْفَيْنَهُمْ﴾ (3) ... (4)

و يقول في موضع حديثه عن من و مجيئها بمعنى بعض:

...التبعض نحو ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ لِلَّهِ﴾ (5) و علامتها إمكان سد بعض مسدها كقراءة ابن مسعود ﴿حَتَّى تَلْقُوا بِضَ مَا تُحِبُّونَ﴾ (6) ... (7)

و كان لعلماء الشرع و بخاصة القراء تردد لا بأس به في شروح و تحليلات ابن هشام، بالباب الأول من كتابه المعنى (8)، و قد سمح له منهجه العلمي التحليلي بالتوجيه الصحيح لبعض لقراءات لمختلف فيها، فيعمد باجتهاده الأصولي إلى التوفيق بين القراءات المختلفة فيها، و بين التخريج النحوي و اللغوي المرجح و الأقرب إلى الأصل، فيقول في موضع إن المكسورة الهمزة المشددة للنون عن قراءة ﴿لِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَيْنِ﴾ (9) و وجوه للخلاف في قراءتها:

٤ ... و على هذا قراءة هذان أقيس، إذا الأصل في المبني ألا تختلف صيغه، مع أن فيها مناسبة لألف ساحران، و عكسه للياء في ﴿إِذْ أَخَذَ ابْنُ هَاقِ هَاقِ﴾ (10)، فهي هنا لرجح لمناسبة ياء ابنتي و قيل: لما اجتمعت ألف هذا و ألف التنثية في التقدير، قدر بعضهم سقوط ألف التنثية فلم تقبل ألف هذا للتغيير (11) إنه اجتهد يكشف عن معرفة ابن هشام بالقراءات، و مدى تتبعه الدقيق لها، في قياسها على وجوه اللغة الأقرب إلى الاعتماد و الإقناع. و هو بهذا قد فاق الزماني حينما قال: ٤ و قد تأول بعضهم قوله تعالى ﴿لِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَيْنِ﴾ على معنى أجل، و فيه نظر لأجل دخول اللام في الخبر. و أحسن ما قيل في هذا أنه لغة للحارث بن كعب، لأنهم يقولون: رأيت الزيدان، و مررت بالزيدان. (12)

(1) نظر معاني القرآن للقراء 29/2 .

(2) الحرمين: هما ابن كثير المكي القرطبي، و نافع المعنى القرطبي، انظر جدول مصادر علماء الشرع التي مر ذكرها.

(3) هود 111 .

(4) معني اللبيب 36، انظر كتاب سيبويه 140/2، و كتاب السبعة في القراءات 239، و النشر في القراءات العشر لابن الجزري 290/291 .

(5) البقرة 253 .

(6) آل عمران 92 .

(7) معني اللبيب 420، انظر تخريج قراءة ابن مسعود في الكشف 445/1 .

(8) فقد استعان بآبي بن كعب في خمسة مواضع، و بلبن مسعود في ثمانية مواضع، و بلبن عجلان في سبعة مواضع، و بحمزة القرطبي في سبعة مواضع، و بلبن كثير في خمسة مواضع، و بلبن العلاء في ثمانية مواضع بما فيها الوجوه اللغوية و النحوية، و بنافع القرطبي في خمسة مواضع، و بالكسائي في ستة و ثلاثين موضعاً الغالب فيها وجوه لغوية و نحوية.

(9) طه 63 .

(10) القصص 27 .

(11) معني اللبيب 58، انظر كتاب السبعة في القراءات 419 و النشر في القراءات العشر 321/2 .

(12) معني الحروف 111 .

المبحث الثالث

مادة الكتاب بين الاتجاه البصري و الكوفي

1- تخلص ابن هشام من التعصب المذهبي النحوي

2- منهج التحقيق عند ابن هشام

3- موقف ابن هشام من البصريين و الكوفيين

1- تخلص ابن هشام من التعصب المذهبي النحوي:

لو حاول للدارس 1. مفتي اللبيب في بابہ الأول في تفسير المفردات و ذكر أحكامها أن يحدد مذهب ابن هشام النحوي، على ضوء المذهب البصري و الكوفي، فإنه لا يقف على مناصرة صريحة، أو تأييد واضح لأحد المذهبين، لأن ابن هشام كان يميل إلى الاستبطان و الاستنتاج، مع الابتعاد عن الأحكام القائمة على التقليد و النقل، و قد أحدث تبني ابن هشام لهذا المنهج مسألة علمية بين المذهبين، تمثلت في تخريج الرأي الموافق للجامع بين ما قاله أصحاب مدرسة البصرة، و ما قاله أصحاب مدرسة الكوفة، فراح يتتبع الخطأ و الصواب لدى كل منهما، فيذكر ما يعثر كل مذهب من خلاف بين أصحابه، و ما يلاقي من تأييد بين معارضيه.

لقد كان يناقش العلماء بعلمية مضبوطة، مبتعدا عن التعميم حاصرا المادة في إطارها المحدد، فهو لا يخطئ مذهباً على حساب مذهب آخر، و إنما يوجهه إذا جانبه الصواب، و يستترك ما فاتته. و حتى نقف على مدى صحة هذا الحكم، لابد من الرجوع إلى ما ورد في الكتاب و الموازنة بين ما جاء فيه، و ما جاء في أبرز الكتب التي تناولت الخلاف بين البصرة و الكوفة، بما له علاقة بالباب الأول من كتاب المعنى.

ففي موضع إلا قال ابن هشام عن وقوعها بمعنى اللولو:

“و الثالث أن تكون عاطفة بمنزلة لولو في التشريك في اللفظ و المعنى، ذكره الأخفش، و الفراء، و أبو عبيدة، و جعلوا منه قوله تعالى ﴿لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (1)، و لا يخالف لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ (2)، أي و لا الذين ظلموا، و لا من ظلم. و تأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع (3).

و قال أبو البركات بن الأنباري في هذا الأمر:

“ذهب الكوفيون إلى أن إلا تكون بمعنى اللولو، و ذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى اللولو.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا إنما قلنا ذلك لمجيئه كثيرا في كتاب الله تعالى، و كلام العرب، قال الله تعالى ﴿لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (4)، أي و لا الذين ظلموا يعني و الذين ظلموا لا يكون لهم حجة، و أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا إنما قلنا إن إلا لا تكون بمعنى اللولو، لأن إلا للاستثناء، و الاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأول و اللولو للجمع، و للجمع يقتضي إدخال الثاني في حكم الأول، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر... أما الجواب عن كلمات الكوفيين ...

(1) البقرة 150 .

(2) النمل 10، 11 .

(3) مفتي اللبيب 101، انظر معاني القرآن للأخفش 343/1، و معاني القرآن للفراء 89/1، و مجاز القرآن لأبي عبيدة 60/1 .

(4) البقرة 150 .

إلا ها هنا استثناء منقطع، و المعنى لكن الذين ظلموا ينجون عليكم بغير حجة (1).

و يعرض أبو البقاء العكبري الخلاف بين البصريين و الكوفيين في هذا الأمر على النحو التالي:

... لا تكون إلا بمعنى لولو

و قال الكوفيون تكون بمعنى لولو

و حجة لقول الأول من وجهين:

أحدهما: إن الأصل أن يتفرد كل حرف بمعنى، و لا يقع حرف بمعنيين، لها في ذلك من الاشتراك الملبس، و ما صح منه عن العرب يقتصر عليه، و لا يقاس.

و الوجه الثاني: أن لا بمعنى الواو من قبيل الأضداد. لأن موضوع إلا مخالفة ما بعدها لما قبلها، و الواو تشرك ما بعدها بما قبلها هذا حقيقة التضاد، و الأصل عدمه...

و للجواب لغة لا دلالة فيما ذكروا على أن لا بمعنى لولو، و لما قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (2)، فهو لاستثناء منقطع بمعنى لكن (3).

و من ذلك يفهم أن لفظة جمهور عند ابن هشام - في أغلب الظن - قد قصد بها البصريين، و من ذهب مذهبهم، و أخذ برأيهم على اعتبار المشهور و الغالب، لكن استعمال كلمة جمهور بدل كلمة البصريين، يوحي لنا بالبعد عن التعصب في العرض و التركيز على النتائج من غير إلزامنا - بالأخذ بها نحو...⁴ و تأولها للجمهور على الاستثناء المنقطع (4) فإن هشام لا يهتم للخلاف بقدر ما يهتم جواز الوجود الاستعمالية للمفردة إلا المذكورة سابقا، دون ربط تلك الوجود بتحديد مكاني أو لقيمي تجعل للنتائج و الأحكام غير موضوعية. إنه يفسح المجال لنا لقبول كل تأويل، و تتبع لنتائج بصورة مرنة، و غير قائمة على خلفية مسبقة. بينما يلزمنا أصحاب الإنصاف و التبيين على الأخذ بما توصلنا إليه في حدود صيت كل مذهب.

و في معرض حديث ابن هشام عن فعلية حاشا و حرفيتها يقول:

... أن تكون تنزيهية نحو ﴿حَاشَى لِلَّهِ﴾ (5)، و هي عند المبرد و ابن جني و الكوفيين فعل، قالوا لتصرفهم فيها بالحذف و لإخالهم ليأما على تحرف.

و هذان الدليلان ينفيان الحرفية، و لا يثبتان الفعلية

... أن تكون للاستثناء، فذهب سيبويه، و أكثر البصريين إلى أنها حرف دللما بمنزلة إلا، لكنها تجر المستثنى، و ذهب الجرمي و المازني و المبرد و الزجاج و الأخفش و أبو زيد و الفراء و أبو عمرو

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف 1/ 266-269 .

(2) البقرة 150 .

(3) التبيين 403 .

(4) مخي اللبيب 101 .

(5) يوسف 31 .

التشبيهي إلى أنها تستعمل كثيرا حرفا جاريا، و قليلا فعلا متعديا جامدا لتضمنه معنى (1) ... وفي هذا يقول أبو البركات بن الأنباري:

«... ذهب الكوفيون إلى أن حاشا في الاستثناء فعل ماض، و ذهب بعضهم إلى أنه فعل استعمل استعمال الأول، و ذهب البصريون إلى أنه حرف جر، و ذهب أبو العباس المبرد إلى أنه يكون فعلا و يكون حرفا. لما للكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه فعل، أنه يتصرف، و الدليل على أنه يتصرف قول النابغة: وَلَا أَرَى قَاعِلًا فِي النَّبِيسِ يُشَبِّهُهُ وَ مَا أَحْلَشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ (2)

... و أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه ليس بفعل و أنه حرف، أنه لا يجوز دخول ما عليه فلا يقال ما حاشا زيدا كما يقال ما خلا زيدا، و ماعدا عمرا... (3) أما أبو البقاء العكبري فيعرض للخلاف في حاشا على النحو التالي:

«من البصريين من قال: تكون حرفا، و تكون فعلا.

و قال الكوفيون هي فعل...»

و احتج الآخرون [الكوفيون] بأشياء:

أحدها: أنه قد صرف فيقال حاشيته، و أحشيه، و منه قول النابغة:

و لا أحشي من الأقوام من أحد.

و هذا حكم للفعل.

و الثاني: أنه يعدى باللام كقوله تعالى ﴿حَاشَى لِلَّهِ﴾ (4)، و لو كان حرف جر لما دخل على حرف جر،

و ليس كذلك حكم للحروف.

و الثالث: أنه دخله التخفيف بالحذف يقال حَاشَى لِلَّهِ، و حَاشَا لِلَّهِ.

و الجواب: أما للتصرف فغير دليل على الفعلية...

- قولهم: يوصل بحرف الجر ليس كذلك، و الدليل عليه حاشى زيد، و حشائي، و لو كان حرف الجر

فصلا، لما جاز حذفه، فلم لأن اللام زائدة، و زيادة الحروف كثير...

- قولهم: قد حذفت منه الألف، جوبه من وجهين:

أحدهما: ليس كذلك، فإن أبا عمرو إمام القراء، تذكر هذه القراءة.

(1) مفتي الليب 165، انظر الكتب 349/2، و المقضب 391/4، و معاني القرن للفراء 42/2.

(2) من [اليسيط] للنابغة الذبياني، انظر شرح شواهد المعنى 368/1 و شرح ليبت المعنى 87/3.

(3) الإصناف في مسائل الخلاف 278/1-280.

(4) يوسف 31.

و الثاني: أن الحروف قد دخلها الحذف كما في رُبَّ و غيرها... (1)

يبدو من خلال عرضي لبي البركات بن الأنباري و لبي البقاء المعكيري، أن الخلاف القائم بين المذهبين البصري و الكوفي، لا ينتم بالمرونة، بقدر ما ينتم بالعمل على نفس و نحض رأي بأخر، و الانتصار للمذهب البصري بالاعتماد على خلفية مسبقة، رسخت للنزعة المذهبية في حافظتي كل منهما، عن طريق رصد الأدلة المشجعة و المقوية للخلاف، و قفاسحة المجال لتبني أحد المذهبين دون الآخر ضرورة و إلزاماً. وابن هشام لا يعني بعرض تفاصيل الخلاف، بقدر ما يعني بتأثير كل رأي و نصويبه بما يلزمه من الآراء الأخرى، متبعاً في ذلك منهجاً تكاملياً يُظهر قدرس اللغوي، و التحوي بمظهر جديد، قائم على الموضوعية في العرض و الدقة في النقاش، و الاعتدال في تصويب الآراء و تحديد نتائجها.

لقد كان ابن هشام يخطئ الفرد الواحد من البصريين لا البصريين كلهم، و قد يقف إلى جانب معظم الكوفيين لا الكوفيين كلهم، فيجمع بين رأي و ما يخالفه بطريقة تعاقبية لا نلمس فيها ذلك التولزي الذي رسمته كتب الخلاف بين البصريين و الكوفيين، محدثين بذلك بعداً شاسعاً بين المذهبين، لا تتحدد عنده نقطة اللقاء التي حددها ابن هشام في مثل قوله عن آل:

"أجاز للكوفيين، و بعض البصريين، و كثير من المتأخرين، نيابة آل عن الضمير المضاف إليه، و خرجوا على ذلك في فلبان الجنة هي المأوى (2)، و مررت برجل حسن الوجه، و ضرب زيد الظهر و البطن... (3) إن الخلاف المحتكم بين المذهبين كما عرضته الكتب التي عنت بذلك، زال نهائياً في كتاب المعنى من خلال الباب الأول. و ربّما لو لم يخش ابن هشام التطويل و الإطناب، لما صادفتنا تسمية البصريين و الكوفيين في الكتاب، و لفضل عليها ذكر أسماء العلماء المتفقين و المختلفين، على أساس المسألة اللغوية و النحوية الواحدة، فنلّم بها دون توضيح مكافئ أو افتماثي لكل واحد منهم. و على رأي أحد المحدثين "فنحن نفضل المعيار المبني على أساس النظريات المنفصلة، و الاتجاهات المستقلة (4)، و مثل هذا الأمر استطاع ابن هشام أن يحققه في شروحه و تحليلاته للمفردات و أحكامها، حينما تجاوز النظرة التعميمية الفاصلة بين المذهبين. و أخيراً يمكننا القول: "إننا نؤمن بأن تقسيم العلوم إلى مدارس مهما كان المعيار -ليس خير سبيل- فيه يعطي إحساساً بمحلية العلوم، و يخلق جواً من التحيز و التعصب، فيه يظهر اتفاقاً سطحياً بين أتباع المدرسة الواحدة حول مبادئ معينة أو قواعد خاصة، و لكنه يخفي من وراءه خلافت جوهرية (5)، و ربما هذا هو السبب الذي جعل بعضهم يقترح تسمية المدارس النحوية بأسماء أصحابها لا بأسماء أماكنهم (6).

(1) القتيبي 410-414 .

(2) انزعفت 41 .

(3) معني اللبيب 77 .

(4) البحث اللغوي عند العرب، د/ أحمد مختار عمر 124 .

(5) المرجع نفسه 123، 124 .

(6) تطور الدرس النحوي د/ حسن عون 90 .

لقد كان ابن هشام مدركا للنتائج الجاهزة في تبني علماء اللغة لأحد المذهبين [البصري أو الكوفي] دون الآخر، وهذا الإدراك هو الذي أملى عليه البحث عن طريقة تلائم بين الاتجاهين، ليجدها عند ابن مالك فيقول منهاها: "... وهذه الطريقة، طريقة المحققين، وهي أحسن للطريقتين⁽¹⁾، و ابن هشام على الرغم من اتباعه منهج التحقيق الفردي، فإنه يستحسن و يأخذ أيضا بكل النتائج التي توصل إليها غيره عن طريق التحقيق، إذ يقول مثلا في معرض حديثه عن ما:

"... و قوله تعالى ﴿وَمَنْ قَبْلُ مَا أَفْرَظْتُمْ لِي يَوْسَفَ﴾⁽²⁾، ما إما زائدة، ف من متعلقة بـ فرطتم. وإما مصدرية فقيل: موضعها هي وصلتها رفع بالابتداء وخبره من قبل، ورد بأن الغليات لا تقع أخبارا ولا صلات، ولا صفات ولا أحوالا، نص على ذلك سيبويه وجماعة من المحققين...⁽³⁾

وفي موضع حديثه عن لو يقول عن استبعاد مجيئها للتعليق في المستقبل "... و كذلك أنكره بدر الدين ابن مالك، و زعم أن إنكار ذلك قول أكثر المحققين... و في كلامه نظر في مواضع: أحدها: نقله عن أكثر المحققين، فإننا لا نعرف من كلامهم إنكار ذلك، بل كثير منهم ساكت عنه، و جماعة منهم أثبتوه⁽⁴⁾.

لستحسن ابن هشام طريقة المحققين، التي يوضح معالمها جليا أحد المحدثين قائلا: "واستطاع ابن مالك أن يكون نحوًا يلائم بين الطريقتين و يأخذ في الاعتبار بعض الآراء الكوفية، و إن اعتمد أساسا على المذهب البصري، و هذا النحو هو الذي قدر له أن يسود في القرون الأخيرة، و عرف ابن هشام المصري كيف يعرضه عرضا دقيقا، منسقا في كتبه المختلفة، و خاصة في كتابه مقني اللبيب⁽⁵⁾.

و اتباع ابن هشام لهذه الطريقة لا يعني أنه لم يتأثر باتجاه أو مذهب معين، فقد أجمع كثيرون على أنه ينتمي لمذهب معين، فراحوا يرسمون حدود ذلك المذهب، فمنهم من رأى أنه كان مقتفيا أثر ابن جني، و منهم من رأى أنه زعيم المدرسة المصرية المتأثرة بالمدرسة البغدادية، و منهم من يخرجهم من الدائرتين السابقتين، و يحكم على اتجاهه بأنه علامة مميزة في النشاط النحوي و اللغوي، مطبوع بعقريّة ذات اجتهاد متميز.

و عن طريقته يقول ابن خلدون: "... و كان ينحو في طريقته منحى أهل الموصل الذين اتفقوا لأثر ابن جني و اتبعوا مصطلح تعليمه⁽⁶⁾، و لا يستبعد تأثر ابن هشام بابن جني، لأن ابن جني كان متميزا أيضا في

(1) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي 208.

(2) يوسف 80 .

(3) مقني اللبيب 418 .

(4) المصدر نفسه 345، 346 .

(5) مجلة مجمع اللغة العربي، المصطلح النحوي، د/ إبراهيم منكر ع 15/32 .

(6) المقدمة 1058/1 .

دراساته اللغوية و النحوية، يميل إلى الاستنباط و الاجتهاد، بعيد عما رده سابقوه، و مخالفا لهم في مناهجهم المحددة بالمذهب الواحد لأنه كان⁽¹⁾... من حذلق أهل الأدب و أعلمهم بعلم النحو و التصريف⁽²⁾، و هو عند المصنفين -أي أصحاب الطبقات- من الذين خلطوا بين المذهبين البصري و الكوفي⁽²⁾ أي فيما سمي بعد ذلك بالمذهب البغدادي.

والدكتور شوقي ضيف يرى الرأي نفسه الذي ذهب إليه ابن خلدون في تحديد منهج ابن هشام، فيقول عنه: إنه "منهج المدرسة البغدادية، فهو يوازن بين آراء البصريين و الكوفيين، و من تلاهما من النحاة في لقطار العالم العربي، مختارا لنفسه منها ما يتماشى مع مقاييسه، مظهرًا قدرة فائقة في التوجيه، و التعليل و التخريج، و كثيرا ما يكشف لنفسه رأيا جديدا لم يسبق إليه، و خاصة في توجيهاته الإعرابية، على نحو ما يتضح لقارئ كتابه للمعنى⁽³⁾."

و يتبين لنا صدق حكم شوقي ضيف على منهج ابن هشام و نزوعه اللغوي و النحوي من خلال تتبعنا لما جاء في الباب الأول من كتاب المعنى، فهامو ابن هشام يقول غير منحاز أو متعصب لرأي من الآراء في موضع حديثه عن ليس: "...أن تكون حرفا عاطفا، أثبت ذلك الكوفيون لو البغداديون على خلاف بين النقلة، و استكلوا بنحو قوله:

إِنَّ لَمَفْرَزَ وَالْإِلَهَ لَطَالِبُ وَالْأَشْرَمُ مَمْلُوكُ لَيْسَ الْغَالِبُ (4)

و خَرَجَ عَلَى لَنْ الْغَالِبِ اسْمَهَا وَ الْخَبِرَ مَحْذُوفٌ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: وَ هُوَ فِي الْأَصْلِ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ عَائِدٌ عَلَى الْأَشْرَمِ، أَيْ لَيْسَ الْغَالِبِ، كَمَا يَقُولُ الصَّدِيقُ كَلَّمَهُ زَيْدٌ ثُمَّ حَذَفَ لِاتِّصَالِهِ، مَقْتَضِي كَلَامِهِ أَنَّهُ نَوَلَا تَغْيِيرَهُ مُتَّصِلًا لَمْ يَجْزِ حَذْفُهُ وَ فِيهِ نَظَرٌ⁽⁵⁾."

و ابن هشام لا يتوقف عن البحث عن الدليل الصحيح، ليتجاوز بذلك مرحلة التبعية فيستحسن الوجه من وجوه استعمال المفردة برصد الأدلة الصحيحة على ذلك، فيتبناها من غير تحيز صارم، أو تبعية تقليدية. و هو في كل هذا يحاول أن يلغي المذهبية النحوية المتحيزة لمدرسة من المدرستين البصرية أو الكوفية في كثير من تخريجاته، كقوله في موضع حديثه عن السين المفردة:

"السين المفردة حرف يختص بالمضارع، و يخلصه للاستقبال، و ينزل منه منزلة الجزء، و لهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به، و ليس مقتطعا من سوف خلافا للكوفيين، و لا مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف خلافا للبصريين⁽⁶⁾."

(1) نزعة الأبياء 244 .

(2) فهرست 437 .

(3) المدارس النحوية 371 .

(4) من [الرجز] لنبول بن حبيب، انظر شرح شواهد المعنى 705/2، و شرح ليلت المعنى 212/5 .

(5) معنى اللبيب 390 .

(6) المصدر نفسه 184، و انظر الإتصاف في مسائل الخلاف 646/2 .

إليه لا يساند أحد المذهبين، بغیر ما يتحرى النقص الموجود في كل منهما، فيكشف عن ر. مثل هذا التحديد العام للراء يزول و يلغى نهائياً. عندما يلجأ ابن هشام إلى تتبع الأدلة بمواضعها الأصلية المفصلة، لا بعمومية نتائجها المرتبطة بالانتماء المذهبي، فيقول في موضع حديثه عن لن: "حرف نصب و نفي و استعجال، و ليس أصله و أصل لم لا فليدلت الألف نونا في لن و ميما في لم خلافا للفرء، لأن المعروف إنما هو إبدال النون ألف لا العكس نحو ﴿لَنَسْفَعًا﴾ (1)، و ﴿لَيَكُونَنَّ﴾ (2)، و لا أصل لن لأن فحذفت الهمزة تخفيفاً، و الألف الساكنين خلافاً للخليل، و الكسائي، بدليل جواز تقديم معمول معمولها عليها نحو زيداً لن لضربٍ خلافاً للأخفش الصغير... (3) (4)

ولا يعترف ابن هشام بالتخريجات غير القائمة على الأدلة السائغة إذ يقول في موضع لن "...و لا تقيد لن تأكيد النفي خلافاً للزمخشري في كشافه، و لا تأييده خلافاً له في لمونجه، و كلاهما دعوى بلا دليل" (4). و الحقيقة أن ابن هشام، حاول أن يخرج الدرس اللغوي و النحوي من دائرة المحلية المذهبية و المدرسية، ليبتدع لنا منهجاً متميزاً هو أخرى بأن يتبع فيؤخذ به. إنه لم يكن بصري النزعة أو كوفي الطابع، أو بغدادي الرأي، لأنه كان يجري وراء الدليل، فلتن و جده أخذه، و قد يكون هذا الدليل مؤيداً لاتجاه بصري أو مقوياً لاتجاه كوفي أو دعامة لرأي نحوي مشهور أو غير مشهور... (5)، إذ يقول في موضع حديثه عن إلى متخلصاً من الحكم المسبق باعتبار المدرسة أو المذهب: فمن معاني هذا الحرف "المعية، و ذلك إذا ضمنت شيئاً إلى آخر، و به قال الكوفيون و جماعة من البصريين في ﴿مَنْ أَتَصَلَّى إِلَى اللَّهِ﴾ (6) و قولهم الذود إلى الذود ليل (7) و الذود: من ثلاثة إلى عشرة، و لا يجوز إلى زيد مال، تريد مع زيد مال... (8) (9)

(1) الطلق 10 .

(2) يوسف 32 .

(3) مغني اللبيب 373، 374، لم أهد إلى رأي الفرء في معاني القرآن، و هو في الكشاف 248/1، و انظر رأي الخليل في الكتاب 5/3 .

(4) المصدر نفسه 374، و انظر الكشاف 248/1 .

(5) المدرسة النحوية في مصر و الشام 386 .

(6) آل عمران 52 .

(7) سبق توثيق المثل و شرحه في الفصل الثاني 67 .

(8) مغني اللبيب 104، انظر معاني القرآن للفرء 221/1 .

3 موقف ابن هشام من البصريين والكوفيين:

إنَّ المنتبِع بِإِمْعَانٍ لِكِتَابِ الْمَغْنَى فِي بَابِهِ الْأَوَّلِ، تَبَيَّنَ لَهُ كَيْفِيَّةُ تَعَامُلِ ابْنِ هِشَامٍ مَعَ آرَاءِ كُلِّ مِنْ أَصْحَابِ مَدْرَسَةِ الْبَصْرَةِ، وَ أَصْحَابِ مَدْرَسَةِ الْكُوفَةِ، فَيَلْمُسُ مِنْ غَيْرِ قَوْلِ صَرِيحِ مَنَاصِرَةِ ابْنِ هِشَامٍ لِلْآرَاءِ الْبَصْرِيَّةِ، وَ هَذَا يُوَافِقُ رَأْيَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ "...بَصْرِي الْفَزْعَةُ فِي أَغْلَبِ مَبَاحِثِهِ، وَ لِذَا فَهُوَ يَنْسَبُ نَفْسَهُ لِلْبَصْرِيِّينَ فِي نِصُوصٍ مُتَعَدَّةٍ (1)".

وَ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ ابْنَ هِشَامٍ قَدْ تَعَصَّبَ لِلْبَصْرِيِّينَ، وَ لَكِنَّهُ تَقْلَادَ وَرَاءِ الْأَلَلَةِ الصَّحِيحَةِ، عَنْ طَرِيقِ الْمَتَابَعَةِ الْتَحْلِيلِيَّةِ لِلذِّكْيَةِ، فَوُجِدَ أَغْلَبُهَا فِي تَخْرِيجَاتِ الْبَصْرِيِّينَ وَ عَلَى رَأْسِهِمْ سَيَبُوه (2)، الَّذِي تَبَنَّى بِقَنَاعَةٍ عِلْمِيَّةٍ تَامَةً تَخْرِيجَاتِهِ وَ تَقْدِيرَاتِهِ، وَ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُتَعَصِّبًا لِسَيَبُوه وَ جُمْهُورِ الْبَصْرِيِّينَ، وَ لَيْتَمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ يُوَافِقُهُمْ فِي الْكَثْرَةِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَرْئِهِمُ النَّحْوِيَّةِ (3).

لَقَدْ كَانَ ابْنُ هِشَامٍ يَقُومُ الدَّلِيلُ الْبَصْرِي وَ الْكُوفِي، وَ يَصْحَحُ كُلَّاهُمَا أحيانًا لَوْ يَرَاجِعُهُمَا فِي أَحَدَيْنِ آخَرٍ مُتَبَنِيًا مِنْهُجِ الاجْتِهَادِ وَ الْاسْتِبْطَاطِ فِي إِعْطَاءِ الدَّلِيلِ الْقَوِي وَ الْحُجَّةِ الْمَقْبُولَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ أَنَّ الْمَفْتُوحَةَ لِسَاكِنَةِ الْقَنُونِ: "...قَدْ يَرْفَعُ الْفَعْلُ بَعْدَهَا كَقِرَاءَةِ ابْنِ مُحِيسِنٍ ﴿لَيْمَنْ لَوْ لَدَّ لَنْ يُنْتَمَّ شَرْمَسَاةً﴾ (4) وَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَنْ تَقْرَأَ عَلَى لِسْمَاءَ وَبَحْكَمَا مَنِ السَّلَامَ، وَ لَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا (5)

وَ زَعَمَ الْكُوفِيُّونَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْمَخْفَفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، شَذَّ لُفْظُهَا بِالْفَعْلِ، وَ الْقَوَابِلُ قَوْلُ الْبَصْرِيِّينَ بِهَا أَنَّ لِلنَّاصِبَةِ، أَهْمَلَتْ حَمَلًا عَلَى مَا اخْتَارَهَا الْمَصْطَرِيَّةُ، وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

وَ لَا تَكْفَنِّي فِي الْفَلَاؤِ فَبَاتِي أَخَافُ إِذَا مَا مَنُّ لَنْ لَا لَوْقُهَا (6)

كَمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ، لِأَنَّ الْخَوْفَ هُنَا يَقِينٌ، فَالْمَخْفَفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ (7).

وَ يَتَوَخَّى ابْنُ هِشَامٍ الدَّلِيلَ فَيُرْصِدُهُ بِدَقَّةٍ حِينَمَا يَقُولُ مُوَلِّصًا الْحَدِيثَ عَنْ لَنْ الْمَخْفَفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ: لَوَجْهَ الثَّلَاثِي مِنْ وَجْهِ أَنَّ الْحَرْفِيَّةَ "لَنْ" تَكُونُ مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ فَتَقَعُ بَعْدَ فِعْلِ الْيَقِينِ لَوْ مَا نَزَلَ مِنْزَلَتَهُ نَحْوُ ﴿لَا يَزِيدُونَ لَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ (8)، ﴿عَلِمَ لَنْ سَيَكُونُ﴾ (9)، ﴿وَحَسِبُوا لَنْ لَا تَكُونُ﴾ (10)، نَبِينَ

(1) ابن هشام الانصاري آثاره و مذهبه النحوي 397 .

(2) انظر ما جاء لنفا عن المصادر في منهج تفصيل بعض المصادر "سيبويه".

(3) المدارس النحوية 349 .

(4) البقرة 233 .

(5) من [البسيط] قلته مجهول، انظر شرح شواهد المغني 100/1، و شرح ليلت المغني 138/1 .

(6) من [الطويل] لأبي محجن الثقفي، انظر شرح شواهد المغني 101/1، و شرح ليلت المغني 144/1 .

(7) مغني اللبيب 46، انظر الانصاف في مسائل الخلاف 563/2، لم يرد ذكر "لقراءة ابن محيصن في كتب القراءات المعروفة.

(8) طه 89 .

(9) المزمل 20 .

(10) المائدة 71 .

رفع تكون... (1)٣

و ابن هشام كان مُنصفاً في تجنبه مبدأ التغليب في تخطئة الآراء و توجيهها للوجهة الصائبة إذ يقول:
"لقاء المفردة: حرف مهمل، خلافاً لبعض الكوفيين في قولهم: إنها ناصبة في نحو ما نلقينا فتَحَدَّثْنَا و للمبرد
في قوله: إنها خافضة في نحو:

فَمَيْتُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَفَتْ وَمُزْجِع (2)

فيمر جر مثلاً و المعطوف، و الصحيح أن النصب بأن مضمرة... و أن تجر برَبِّ مضمرة كما مر. (3)٣
فهو يخطئ بعضاً من الكوفيين - لا الكوفيين كلهم - و يخطئ واحداً من البصريين - لا البصريين كلهم - و في
مثل هذا الرأي يقول الدكتور علي فودة نيل عن موقف ابن هشام تجاه كل من نحاة البصرة و نحاة الكوفة:
بله... ووفق البغداديين في الأصل الذي قام عليه مذهبهم، و هو اتباع الحق من طريقي البصريين
و الكوفيين، و هذه طريقة المحققين التي فضلها ابن هشام على غيرها... (4)٣

و هذا الأمر مما فصلنا فيه سابقاً، و لكن ذلك لا يمنعنا من القول، بعد المتابعة لما جاء في الباب الأول من
كتاب مغني اللبيب: أن ابن هشام قد تبنى في مواضع كثيرة آراء البصريين، يتبين ذلك عند مقارنتها بالمواضع
التي ارتضى فيها آراء الكوفيين، فاعتمدها ليدعم بها كثيراً من الوجوه النحوية و اللغوية في الباب الأول من
المغني، فيستحسنها و يولفها في نحو قوله في موضع أن:

"و عن الكوفيين إنكار أن للتفسيرية لبنة، و هو عندي مُتَّجِهٌ، لأنه إذا قيل كتبت إليه بأن لم يكن لم
نفس كتبت، كما كان الذهب نفس للعسجد في قولك: هذا عسجد أي ذهب، و لهذا لو جئت بـ أي مكان أن
في المثال لم تجده مقبولا في الطبع. (5)٣

و في موضع أن يقول في تنبيه خاص بها:

"و قد ذكر أن معان أربعة آخر:

أحدها: الشرطية كإن المكسورة، و إليه ذهب الكوفيون، و يرجحه عندي لمور.

أحدها: تولد المفتوحة، و المكسورة على المحل الواحد، و الأصل للتوافق...

الثاني: مجيء لقاء بعدها كثيرة ...

الثالث: عطفها على إن المكسورة ... (6)٣

(1) مغني اللبيب 46 .

(2) المصدر نفسه 213، انظر الإتصاف في مسائل الخلاف ف 2/ 558، 557 لم أجد في رأي المبرد في المختضب.

(3) سبق توثيقه في الفصل الثالث 426 .

(4) ابن هشام الأنصاري أثره و مذهبه النحوي 414 .

(5) مغني اللبيب 48، 47 .

(6) المصدر نفسه 53 .

ولبن هشام عندما يستحسن الرأي الكوفي يعطي دليله دائماً، ذلك لأن المذهب البصري هو مأخذ الأغلبية ومخالفته تحتاج للدليل القوي، والحجة الدامغة، يتبين ذلك من خلال اعتماده في مصادر مائته على العدد الأكبر من علماء البصرة، فاستعان بهم في مواضع كثيرة⁽¹⁾. ويؤيد هذا الرأي ما قاله الدكتور شوقي ضيف عنه "... فهو في أغلب اختياراته يقف مع البصريين..."⁽²⁾، وقوفه هذا لم يكن وقوفاً مقلداً، وإنما فيه كثير من الاجتهاد الذي خول له توجيههم في إنشاء مجانبتهم للصولب "... فهو على كثرة متابعته للبصريين و ترجيح أرائهم كان يرى أن الحق ليس معهم دائماً."⁽³⁾

و قد يكون الحق مع الكوفيين، فلا يتسامح عندئذ مع البصريين إذا جانبهم للصولب، من ذلك قوله محققاً في موضع حديثه عن الهام واستعمالاتها: "والخامس هاء التانيث نحو رحمه في الوقف، وهو قول الكوفيين، زعموا أنها الأصل وأن التاء في الوصل بدل منها، وعكس ذلك البصريون والتحقيق ألا تعد، ولو قلنا بقول الكوفيين لأنها جزء كلمة لا كلمة..."⁽⁴⁾

وعبارة لبن هشام هذه فيها إصباح عن أصالة المذهب البصري الذي قد يخفق أحياناً، وإصباح أيضاً عن اجتهادات المذهب الكوفي الذي يصيب في أحيانٍ أخرى. فهو لا يهمل المذهب الكوفي، بل يولي له جانباً كبيراً من النظر في تخرجاته ونقاشه، ففي موضع حديثه عن اللام يقول:

"و زعم الكوفيون و أبو الحسن⁽⁵⁾ أن لام الطلب حذفت حذفاً مستمراً في نحو قم و القعد، و أن الأصل لنقم و لنقعد، فحذفت اللام للتخفيف و تبعها حرف المضارعة، و بقولهم القول، لأن الأمر معني حقاً لن يؤدي بالحرف، و لأنه أخو النهي، و لم يدل عليه إلا بالحرف، و لأن الفعل إنما وُضع لتقييد الحدث بالزمان المحصل، و كونه أمراً أو خبراً خارج عن مقصوده، و لأنهم قد نطقوا بذلك الأصل كقوله:

لِنَقْمَ لَنْتَ يَا بَنَ خَيْرِ فَرِيضٍ

و كقراءة جماعة ﴿فَبِذَلِكَ فَلْتَفَرَحُوا﴾⁽⁷⁾ و في الحديث لِنَتَّخِذُوا مَصَافِكُمْ⁽⁸⁾⁽⁹⁾

(1) انظر جدول المصادر الغالبة و الكثيرة من علماء العربية، و عدد المواضع المعتمدة فيها لعلماء البصرة 435 - 439 .

(2) المدارس النحوية 347 .

(3) لبن هشام الأنصاري آثاره و مذهبه النحوي 404 .

(4) مغني اللبيب 455، انظر الإنصاف في مسائل الخلاف 40/1 .

(5) و يعني به الأخفش الأوسط، انظر معاني القرآن للأخفش 570/2 .

(6) و تسماه: فلتنقضي حوائج المستلبيين من [الخفيف] قاله مجهول، انظر شرح شواهد المغني 602/2 و شرح أبيات المغني

344/4 .

(7) يونس 58 .

(8) سنن الترمذي 46/5 و مسند أحمد 233/5 .

(9) مغني اللبيب 300، انظر الإنصاف في مسائل الخلاف 524/2، 541 و المحتسب 313/1 و 51/2 و النشر في القراءات

الغسر 285/2 .

و ليست المواضع التي وفق فيها ابن هشام الكوفيين، و استحسنت فيها آراءهم، هي للمواضع التي صرح فيها باسمهم و بمسانئهم، و إنما نجد في نضاعيف الباب الأول استحساناً لأرائهم، و تبنيها لها في مواقف كثيرة، من أهمها ظاهرة تناوب الحروف في دلالاتها(1).

فابن هشام من غير تضيق حدود الرأي الذي يقول بتحقيق هذه الظاهرة، فهو يقبلها و يستحسن كثيراً من وجوهها، و يلجأ إلى تقويتها عن طريق الشواهد المتنوعة، من ذلك قوله في موضع حديثه عن لو... و اختلف في ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (2)، فقال لقراء: هل يزيدون هكذا جاء في التفسير مع صحته في العربية. (3) و هذا القول أو التفسير الذي استحسنته ابن هشام هو للقراء، الذي يعد من المبرزين في تقديم الدرس الكوفي(4) و يبين احتجاج ابن هشام -أكثر- بأراء الكوفيين في اعترافه و تبنيه لظاهرة تناوب حروف الجر في المعنى(5)، نحو مجيء على في موضع الهاء(6)، و على في موضع في(7)، و اللام في موضع في(8)، و إلى في موضع مع(9) و في هذا للموضع الأخير يكشف ابن هشام من خلال قوله:

«... و به قال الكوفيون و جماعة من البصريين في ﴿مَنْ أَنْصَلِرِي إِلَى اللَّهِ﴾ (10) ... (11)، عن اعتراف بعض البصريين بظاهرة تناوب بعض الحروف في الوظيفة، يتلخص ذلك فيما أورده ابن هشام عن مذهبهم إذ يقول منبها:

«... مذهب البصريين، أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض، بقياس، كما أن أحرف الجزم، و أحرف التنصب كذلك، و ما لوهم ذلك فهو عندهم، إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ، كما قيل في ﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (12): إن في ليست بمعنى على، و لكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء، و إما

(1) و تتمثل هذه الظاهرة في إجابة حروف مناب غيره لتقاربها معنى أو تعاقب بعض الحروف مكن بعض. انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة 14/1 و الإتصاف في مسائل الخلاف 2/480، 634.

(2) الصلقات 147.

(3) معني اللبيب 41، انظر 72/1 في القرآن.

(4) انظر مدرسة الكوفة 74.

(5) انظر معني القرآن للأخفش 316/1، و تأويل مشكل القرآن 565، و معني اللبيب 151: 151، 151 و النحو الوافي لعباس حسن 557/2.

(6) معني اللبيب 192، انظر معاني القرآن لقراء 386/1.

(7) المصدر نفسه 191، انظر معاني القرآن للقراء 63/1.

(8) المصدر نفسه 280، انظر معني القرآن للقراء 202/1.

(9) المصدر نفسه 104، انظر معني القرآن للقراء 218/1.

(10) آل عمران 52.

(11) معني اللبيب 104.

(12) طه 71.

على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، كما ضمن بعضهم شربين في قوله:

شَرِبْنِ بِمَاءِ الْبَحْرِ (1)....

معنى روين، و أحسن في ﴿وَلَقَدْ أَحْسَنَ بِهَا﴾ (2)، معنى لطف، و إما على شذوذ لبابة كلمة عن أخرى، و هذا الأخير هو مجمل الباب كله، عند أكثر الكوفيين و بعض المتأخرين، و لا يجعلون تلك شاذاً، و مذهبهم أقل تصفاً (3).

و هذا للتبني يوضح جلياً أن ابن هشام لا يرفض هنا مذهب البصريين جملة و تفصيلاً، و إنما يراه أكثر تصفاً من مذهب الكوفيين، الذين ابتعدوا عن التمثل في تخريج مثل هذه الشواهد. و هذا الموقف من ابن هشام جملة لا يفصل بين المذهبين في نحو قوله عن استعمال على بمعنى عن:

« الثالث: المجاوزة كمن كقوله:

إِذَا رَضِيتُ عَلَى بَنُو قَشِيرٍ لَعَنُ اللَّهُ أَعَجَبَنِي رِضَاهَا (4)

أي عني، و يحتمل أن رضي ضمن معنى عطف و قال الكسائي: حُمِلَ عَلَى نَقْضِهِ وَ هُوَ سَخَطٌ وَ قَالَ:

فِي لَيْلَةٍ لَا نَرَى بِهَا أَحَدًا يَحْكِي عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا (5)

أي عناء، و قد يقال ضمن يحكي معنى ينم (6).

و المتوقف عند هذا المثال، يرى أن الكسائي على الرغم من انتمائه لمدرسة الكوفة (7)، فقد خرج البيت على منهج البصريين، و مثل هذه الملاحظة ينفي مبدأ التغليب في التخريج المدرسي [المذهبي] الذي يكاد أن يختفي نهائياً عند ابن هشام، بخاصة و هو ينتقد البصريين في موضع آخر غير هذا الموضع الذي لم يرجح فيه أحد المذهبين، فيقول عن مجيء لباء بمعنى عن:

«... و تؤول البصريون في فصلال به خبراً (8)، على أن لباء للسببية، زعموا أنها لا تكون بمعنى عن أصلاً، و فيه بعد، لأنه لا يقتضي قولك سألت بسببه، أن المجرور هو المسؤول عنه. (9)

(1) و تملحه ... ثم ترفعت متى لجج خضر لمن نلجج. من [الطويل] لأبي ذؤيب الهذلي. انظر شرح شواهد المغني

318/1، و شرح لبيت المغني 310/2.

(2) يوسف 100

(3) مغني اللبيب 151، 150، انظر الكتاب 217/4، و المحتضب 39/1 و الإنصاف في مسئلة الخلاف 634، 480/2.

(4) من [الوافر] للفحيف العقيلي. انظر شرح شواهد المغني 416/1 و شرح لبيت المغني 232/3.

(5) من [المسرح] لعدي بن زيد، أو لأحيحة بن الجلاح الثمالي، و هو من شواهد سيويه، انظر الكتاب 318، 312/2، و انظر شرح شواهد المغني 417/1، و شرح لبيت المغني 233/3.

(6) مغني اللبيب 191، و انظر رأي الكسائي في المختص 311/2 و المحتضب 53/1.

(7) انظر مدرسة الكوفة 74.

(8) الفرقان 58.

(9) مغني اللبيب 142.

إنَّ في تخريج البصريين لهذا الشاهد بعدا عن الصواب في نظر ابن هشام، لأن مذهبهم يقول بأن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس (1)، وهذه موافقة صريحة من ابن هشام في قبول المذهب الكوفي عند تخريج الآية السابقة الذكر، فهو لم يكن مخالفا للبصريين عند حدود هذا المثال فقط، إذ هناك أمثلة أخرى اعترف فيها ابن هشام -من غير عبارة صريحة- بمخالفة البصريين أحيانا لمذهبهم، حينما لم يوافقوا على مجيء أو بمعنى بل أو مجيئها بمعنى الواو في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (2)، فيقول في ذلك: "... وقال بعض الكوفيين بمعنى الواو، و للبصريين، فيها أقوال، قيل: للإيهام، وقيل للتخيير، أي إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول هم مئة ألف أو يقول هم أكثر... ولا يصح للتخيير بين شيئين الوقوع أحدهما، وقيل: هي للشك، مصروفا إلى الرائي، ذكره ابن جني، وهذه الأقوال -غير أقوال بلها بمعنى الواو- مقولة في ﴿وَمَا أَمَرَ السَّاعَةَ إِلَّا كَلِمَةٍ بَصِيرَةٍ أَوْ هُوَ الْقَرَبُ﴾ (3)، ﴿فَإِنَّهَا كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ (4)... (5).

لم يكتف ابن هشام بإحداث مسألة بين المذهب البصري والمذهب الكوفي عن طريق تبنيه لأرائهما، وإنما لجأ أيضا إلى تبني مصطلحاتهما، ولم يكن ميله الكثير للبصريين مانعا له في صرفه عن استعمال مصطلحات الكوفيين النحوية واللغوية وسمياتهم، فقد ترددت في كتابه -عن عفو خاطر- كثير من المصطلحات الكوفية لخلوص درسه من كل خلفية مدرسة، نحو استعماله ولو للصرف (6)، لام التبرئة (7)، الخالض والمخلوض (8)، الجحد (9)، النعت (10)، الإداة (11)...

و أحيانا يدفعه استيعابه لهذه المصطلحات و غيرها، إلى مناقشتها في ضوء آراء بعض العلماء، فيقول أثناء عرضه لمعنى اللام:

"السابع، تأكيد النفي، و هي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبقة بما كان أو لم يكن، ناقصتين، مستندتين لما أسند إليه الفعل المفرون باللام نحو ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (12)، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يُمْفِرَ لَهُمْ﴾ (13)، و يسميها أكثرهم لام الجحد لملازمتها للجحد أي النفي، قال النحاس: و الصواب تسميتها لام النفي لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار اهـ (14).

(1) انظر معني اللبيب (150).

(2) الصافات 147.

(3) النحل 77.

(4) البقرة 74.

(5) معني اللبيب 92، 91، و انظر الكتاب 184/3، و المختص 304/3، و المحتجب 226/2، 227.

(6) المصدر نفسه 472، انظر معاني القرآن للفراء 33/1.

(7) المصدر نفسه 97، انظر معاني القرآن للفراء 120/1.

(8) المصدر نفسه 322، انظر معاني القرآن للفراء 137، 58/1.

(9) المصدر نفسه 279، انظر معاني القرآن للفراء 52/1.

(10) المصدر نفسه 256، انظر معاني القرآن للفراء 453/1.

(11) المصدر نفسه 102، انظر معاني القرآن للفراء 58، 52/1.

(12) آل عمران 179.

(13) النساء 137.

(14) معني اللبيب 279، 278.

من خلال هذه الأمثلة يتبين لنا، بعد ابن هشام عن الارتباط المباشر بمدرسة أو اتجاه يَحُدُّ من اجتهاداته و تحليلاته، فقد جمع بين الآراء المختلفة، و اكتسب لطرها مرونة تفتح المجال واسعا للنقاش المنضبط المدعم بالأدلة، فكما كان^١ يختار لنفسه من المدرسين الكوفية و البصرية، كان يختار لنفسه أيضا من المدرسين البغدادية و الأنلسية...^(١)

وهذه الاختيارات جميعها تضاعفت لتجعل منه عند المهمتين بالتصنيف المدرسي للنحو و اللغة^٢ ممثلا للمدرسة المصرية بل أثبتة نحاتها على الإطلاق⁽²⁾، و القول بأن ابن هشام ينتمي إلى المدرسة المصرية، قول قاتم على تحديد اجتهادات ابن هشام بالمحلية الزمانية و المكانية، فتنى تضييق الخناق على منهج التحليل و الاستنباط و المخالفة العلمية الفردية، مما تميز به صاحب مغني اللبيب، فقد استطاع أن يزيح بمنهجه المتميز للتبعية التقليدية للمدرستين البصرية و الكوفية، نظرا لتوحيه الأدلة الصحيحة للسانفة؛ أما جعله من جديد زعميا و ممثلا لمدرسة أخرى هي المدرسة المصرية فهو أمر ناتج عن غياب الدقة العلمية الاستقرائية في تحديد اتجاه العلماء و مناهجهم؛ و السبب في ذلك يعود إلى إخضاع نقاشنا العلمي لخلفية مذهبية أو مدرسية مسبقة، ندعو إلى تتبع وجوه الخلاف أكثر من وجوه الاتفاق بين المدارس النحوية المختلفة.^٣ و على أية حال فإن كثيرا من صور الخلاف لا تتجاوز الفروع، أما الأصول النحوية فهم متفقون عليها، و لا يعدو اختلافهم بعض الاجتهادات الفردية و الجزئية التي لا ترقى إلى مستوى القطع بوجود مدارس مختلفة أو متحدة...⁽³⁾

(١) المدارس النحوية 351.

(2) المرجع نفسه 371.

(3) المعروف العاملة في الفرقان الكريم بين النحويين و البلاغيين د/ هادي عطية مطر الهادي 718.

الفصل الخامس

منهج ابن هشام في شرح دلالات حروف المعاني

المبحث الأول: منهج النحاة القدماء في شرح حروف المعاني

المبحث الثاني: منهج ابن هشام في عرض دلالات حروف المعاني

المبحث الثالث: الظواهر الدلالية البارزة في عرض حروف المعاني

عند ابن هشام و تفسيرها

المبحث الأول

منهج النحاة القدماء في شرح حروف المعاني

1- مادة الحروف بين الأصول و منهج ابن هشام

2- طريقة الكشف عن منهج ابن هشام في شرح حروف المعاني و تفسيرها

العلوم الإسلامية

1 مادة الحروف بين الأصول و منهج ابن هشام :

إنّ ما جاء في كتاب ابن هشام مغني اللبيب في بابيه الأول -في تفسير المفردات و ذكر أحكامها- ما هو إلا صدى لما جاء في كتب الأصول الأولى، نظمه ابن هشام حسب منهج تعليمي محكم، و قد أراد ابن هشام أن يكون منهجه مفصلاً تفصيلاً دقيقاً و شاملاً في أثناء حديثه عن المفردات، التي صنفها بما فيها حروف المعاني فتتبعها و رصدها مستعيناً بالتمثيل القرآني و الشعري، و ملتفتاً إلى الحديث النبوي الشريف، و بعضاً من كلام العرب المعثور، مما قد يجعل الباحث و الدارس في غنى عن الكتب الأخرى التي توزعت مادتها ضمن ترتيبات غير عملية، أو شروح و تفسيرات غير خاضعة لترتيب أو منهج معين.(1)

لقد كان منهج ابن هشام في عرض دلالات الحروف أكثر انضباطاً، أملت عليه طريقة عصره، فاستطاع أن يستعين بلفظات المتأخرين و ملاحظاتهم، ليبين أسلوباً خاصاً في استقصاء المادة و عرضها، محلاً و ممثلاً لها بالشواهد المتنوعة الكثيرة، مما جعل المتأخرين ينوّهون بطريقته و أسلوب تقديمه للمادة اللغوية، إذ يقول الدكتور علي فودة نيل: "...خدم بروز الأسلوب التعليمي بخصائصه المختلفة في بعض مؤلفات ابن هشام تدريس النحو خدمة جليلة، عبر ما يقرب من سبعة قرون، فمنذ ظهرت هذه المؤلفات و هي كتب الدرس المعتمدة في المؤسسات المتخصصة في دراسة العربية إلى يومنا.(2)

فمنهج ابن هشام منهج دراسي تعليمي، و لكنه بعيد عن الوصفية التقنية التي اتسمت بها كثير من مصنفات غيره في عصره. و قد كانت مادة المفردات في الباب الأول حافظاً لتدريب الدارس و المتعلم على البحث الدقيق و الاستنباط المعال، لما اعتمد ابن هشام من تحليل، و استطراد، و مناسبة ربط اللاحق بالسابق، و سابق باللاحق.

لقد كان الباب الأول -كما عرفنا- مخصصاً للمفردات و متضمناً في معظمه لحروف المعاني، و ربما رأى ضرورة تصدير الكتاب، بهذا الباب لوقوفه على أهميته التعليمية في تحصيل اللغة، ودقائقها تحصيلاً عميقاً، فكان لحروف المعاني في هذا الباب نصيب كبير من الشرح و التمثيل و الضبط، في ذكر أحكامها و شرح دلالاتها، و تعيين استعمالها.

و إذا كان ابن هشام قد خصص لحروف المعاني مبحثاً مستقلاً، في الباب الأول من كتابه المغني، فإن الأولات تنبها لأهميتها من خلال موضوعات النحو المختلفة، ففي الحديث عن الفعل المضارع و جزمه. قال سيبويه: " هذا باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها"(3) و عند الحديث عن النداء و تعيين حروفه قال: " هذا باب الحروف التي ينه بها المدعو"(4)، و في أثناء الحديث عن المبتدأ و الخبر و ما يطرأ عليهما قال في

(1) انظر ما جاء في الفصل الثاني في بحث من مناهج دراسة حروف المعاني قبل ابن هشام 64.

(2) ابن هشام الأصبلي آثاره و مذهبه النحوي 381.

(3) الكتاب 9/3 .

(4) المصدر نفسه 292/2

موضع من المواضع: "هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده"⁽¹⁾.
و مثل هذه الالتفاتات لم تأخذ حفيها من الشرح و التفصيل في ذكر أحكامها و استعمالاتها، إلا ضمن
موضوعات نحوية رئيسة أعملت فيها خصائصها الانفرادية في السياقات الواردة فيها.
و قد حاول الأوفل⁽²⁾ لموضع أطر منهجية لاستقصاء الحروف معتمدين في ذلك الاختصار و التركيز، فكانوا
لؤل من حاول أفراد مباحث مختصرة عن الحروف، و اكتفوا بالمثال و الإشارة لتجنب التكرار، لذي نخلل
الموضوعات المختلفة في مصنفاتهم لأنهم كانوا منشغلين بالتقعيد النحوي، فلم يظهر عندهم المنهج شاملا
و منضبطا، في عرض الحروف و دلالاتها و أحكامها المختلفة، لانتثارها في تضاعيف مؤلفاتهم. و كانت
محاولاتهم في أفراد مباحث مستقلة لحروف المعاني في مصنفاتهم تركز أساسا على تقسيمات حدودية
و شكلية، مفتقرة إلى التدريب و التمثيل عن طريق الشواهد. ففي كتاب سيبويه باب سماء تلب عدة ما يكون
عليه الكلام⁽³⁾، و فيه أورد عددا من حروف المعاني محاولا تقييد بعض دلالاتها و أحكامها، و من ذلك
تعرضه لبعض الحروف المفردة [الأحادية] من خلال قوله: "و أقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد"⁽⁴⁾
فمن الكاف و اللام في تصنيفه للحروف المفردة [الأحادية] قال:

"... و كاف الجر التي تجيء للتشبيه، و ذلك قولك: أنت كزيد، و لام الإضافة، و معناها الملك و استحقاق
الشيء".⁽⁵⁾

أما ليراده لبعض الحروف الثنائية، فكان من خلال قوله في الباب نفسه -المذكور آنفا- "... و قد جاء على
حرفين، ما ليس بسم، و لا فعل، و لكنه كالفاء و الواو، و هو على حرفين... فمن ذلك لم و أو، و قد بين
معناها في بابهما، و هل و هي للاستفهام و لم و هي نفي لقوله فعل، و لن و هي نفي لقوله سيفعل، و لن
و هي للجزاء".⁽⁶⁾

و في المقضب للمبرد وردت كذلك أبواب كثيرة متضمنة لحروف المعاني، من ذلك قوله: "هذا باب حروف
العطف ومعانيها"⁽⁷⁾، و قوله: "هذا باب ما يكون عليه للكلم بمعانيه"⁽⁸⁾، و في هذا الباب مثل أيضا للمبرد
للحروف بقوله: "... فأما ما كان من هذه الحروف فتي جاءت لمعان فهي منفصلة بأنفسها، مما بعدها
و قبلها إلا أن الكلام بها مفردة محال، كما وصفت لك، فإن منها كاف التشبيه التي في قولك: أنت كزيد

(1) لكتاب 131/7

(2) و أقصد بذلك أصحاب كتب الأصول في النحو و اللغة، و على رأسهم سيبويه، و المبرد، و ابن السراج.

(3) الكتاب 216/4

(4) المصدر نفسه 216/4

(5) المصدر نفسه 217/4

(6) المصدر نفسه 220/4

(7) المقضب 10/1

(8) المصدر نفسه 26/1

و معناه، مثل زيد، و اللام التي تسمى لام الملك نحو: هذا لعبد الله و لك⁽¹⁾، و في الباب الذي سماه المبرد "هذا باب ما جاء من الكلم على حرفين"⁽²⁾ نقف على جملة من حروف المعاني الثمانية، قال عنها: "... و مما جاء على حرفين من الحروف التي جاءت لمعنى، و الأسماء لداخلة على هذه الحروف قولهم: قد و هي تكون اسما إذا كانت في موضع حسب نحو قولك: كان قد و تكون حرفا جاء لمعنى، فإذا كانت كذلك قلها موضعان من الكلام."⁽³⁾

و لم يكتف القدماء بمحاولة حصر جميع الحروف عن طريق المثال المختصر، و إنما لجأوا إلى إيراد بعض دلالاتها، فكانت دفعا للمتأخرين ليفصلوا فيها، قال سيبويه: "و سأكتب لك من معاني ما عدة حروفه ثلاثة فصاعدا، نحو ما كتبت لك من معاني الحرف و الحرفين إن شاء الله..."⁽⁴⁾، و ضمن هذا المبحث يورد سيبويه مفردات حرفية و غير حرفية، جامعا بينها عن طريق مصطلح الكلم نحو إلى، على، حسب، غير، سوى، بله⁽⁵⁾، و قد عدت مثل هذه المباحث مصدرا أساسيا للمتأخرين -كابن هشام- في -- تثميرهم -- تمحيصه في حروف المعاني، و ما شابهها من المفردات و الأنوف الأخرى... و كان حديث سيبويه عن هذه المفردات لفئة للمتأخرين لكي يبحثوا و يفصلوا فيها، و يمثلوا لأحكامها، كما وردت -مختصرة- عنده فمن ذلك قوله مثلا عن الحرف إلى: "... و أما إلى فمتمتة لابتداء الغاية، نقول من كذا إلى كذا، و كذلك حتى و قد بين لمرها في بابها."⁽⁶⁾

إنها إحالة إلى المقارنة بين الحروف، و تتبع معانيها تتبعاً دقيقاً، إلزم الباحث لو المؤلف فيها أن يتوخى أو يبتدع منهجا جديدا يجمع فيه ما تفرق، و يطيل فيما اختصر و أوجز.

2- طريقة الكشف عن منهج ابن هشام في شرح حروف المعاني وتفسيرها :

و حتى نقف على مدى استيعاب ابن هشام لما انتثر في تضاعيف مؤلفات الأوتل، نحاول أن نعرض لدلالات بعض حروف المعاني التي أوردتها في الباب الأول من كتابه المعاني، و كيفية توخيه منهجا تفسيريا مطولا و مركزا في تتبع استعمالاتها، و في ضبط أحكامها من خلال الترتيب الأبجدي الذي اختاره، لاستقصاء و حصر حروف المعاني.

و قد يتصور العارف بموضوع البحث أن طبيعته تفرض على الباحث للتطرق لجميع حروف المعاني و دلالاتها، كما جاءت في الباب الأول من المعاني، و لكن مثل هذا العمل سيُعد ضربا من التكرار لما ورد

(1) المقضب 39/1 .

(2) المصدر نفسه 42/1 .

(3) المصدر نفسه 42/1 .

(4) الكتاب 230/4 .

(5) المصدر نفسه 230/4 - 232 .

(6) المصدر نفسه 230/4 .

في شياهم. ولكي نتجاوز هذا التكرار، ونقف على طريقة شرح ابن هشام للحروف، ووجوه مخالفته للقدماء في تنظيمها و عرض أحكامها و جمعها و التفصيل فيها، ارتأيت أن اختار نماذج من حروف المعاني الواردة في كتاب الأول من المعاني. و هذه النماذج اختيرت محاولة مني لإيجاد منهج عملي مجمل في هذا الفصل، و ذلك من خلال شروح و تفسيرات هذه الحروف المختارة، و موازنتها بما جاء في كتابين من كتب الأصول: كتاب سيبويه، و المفتضب للمبرد. و حتى يتعين تفرد منهج ابن هشام أكثر في عرضه و شرحه للحروف رأيت أنه من الأفضل أيضا تتبع دلالات الحروف بدقة كاشفة عن تفرد ابن هشام في تنظيمها، و ضبطها و التمثيل لها عن طريق موازنتها، و مقابلتها بما جاء في مؤلفين مختصين بحروف المعاني و ما شابهها من المفردات و الأكلات الأخرى، و هذان المؤلفان هما: حروف المعاني للزجاجي، و رصف المعاني في شرح حروف المعاني للمالقي.

و قد حاولت أن اتوخى الاختصار المركز للوقوف على مقدرة ابن هشام في الجمع و التفصيل و التنظيم و انتقاء المفيد، و فتح المجال للبحث في تلك المعاني و الشروح و التفاسير، بالاستفادة بما جاء في كتب المتأخرين عن الأوائل، ممن كتب في حروف المعاني.

و لكي تتمكن من معرفة أشهر الضوابط المنهجية لدراسة حروف المعاني، ارتأيت أن أتبع مايلي في عرض دلالات الحروف التي اخترتها، و قد لفت هذا الاختيار على النحو التالي:

- الهمزة: حرف غير عامل [مهملة] (1) مما يختص بالأسماء و الأفعال معاً.
- الباء: حرف عامل (2) للجر، مما يختص بالأسماء فقط.
- إن: حرف عامل للرفع و النصب، مما يختص بالجملة الاسمية.
- لم: حرف عامل للجزم، مما يختص بالفعل.

و هذه الحروف المختارة هي نماذج كاشفة عن منهج ابن هشام في عرض بقية حروف المعاني و استعمالاتها.

و دراسة الحرف من جانبي عمله، و ما يختص به، كفي بمساعدتنا على إيجاد العلاقة الكلية بين التركيب الجزئي و الكلي للجملة، أو بين انساق دلالي و لضبط النحوي في تتبع الحرف من خلال ارتباطه بقسمي الكلمة الاسم و الفعل.

و الإعمال و الإهمال و الاختصاص، من القضايا التي ارتبطت بمباحث حروف المعاني، و لذلك فمما لا
الأمور لا يمكن أن نغفلها، لأنها كانت لدى السابقين لابن هشام، الهيكل الذي بنيت عليه تلك المباحث،

(1) و يقصد بالحرف غير العامل أو المهملة أو العاطل عن العمل، الذي لا تأثير له في مخوله نحو هل و همزة الاستفهام و لو الشرطية. انظر الجني الدلي في حروف المعاني 92.

(2) و يقصد بالعامل الحرف الذي يجلب لما بعده جزم، أو النصب أو الجر نحو لم، و لن، و في. انظر الكتاب 1/28، 29، و المفتضب 108/4، 109.

بتقسيماتها المختلفة، و قد جردت هذه التقسيمات للحرف من قيمته في ترتيب النسق الدلالي في الجملة. كما جردته أيضا من الأثر البالغ في تحويل المعاني و الدلالات التي تكشف عن أسرار اللغة و خفاياها و علاقتها في توجيه مداركنا و أفعالنا، عن طريق التدريب و التمثيل الدقيقين، من خلال الشواهد المحفوظة، التي انتشرت إليها الكتب الأولى نحو قول المبرد: "هذا باب الحروف التي تجزم الأفعال"⁽¹⁾

و في هذا الباب يقوم المبرد بإحصاء الحروف العاملة للجزم، كما يوحي العنوان التقسمي لهذه الحروف. أما ابن السراج فيقسم الحروف إلى ثلاثة أقسام:

لقسم الأول: و ينقسم إلى نوعين:

- نوع منها يخفض الأسماء، و يدخل ليصل اسما باسم أو فعلا باسم كحروف الجر...

و نوع يدخل على المبتدأ، و الخبر فيعمل فيهما، فينصب الاسم، و يرفع الخبر نحو: لَبَّ و أخواتها.

لقسم الثاني من الحروف: ما يدخل على الأفعال فقط، و لا يدخل على الأسماء، و هي التي تعمل في الأفعال فتنصبها، و تجزمها...

لقسم الثالث من الحروف: ما يدخل على الأسماء، و على الأفعال فلم تختص به الأسماء، دون الأفعال، و لا الأفعال دون الأسماء، و ما كان من الحروف بهذه الصفة فلا يعمل لا في الأسماء و لا في الأفعال.⁽²⁾

و قد حاولت الدراسات الحديثة أن تتخذ من مثل هذه التقسيمات أطرا للبحث في التقسيم الثلاثي للكلمة، و وضع حدود جديدة لها لو محاولة التأسيس، و إيجاد توضيحات و تعريفات جامعة و شاملة لها، فعنما جاءوا إلى الحروف "وجدوا فيها ما يعمل، كما أن فيها قبيلًا آخر، مهملاً أي لا يعمل، ثم هدام الاستقراء و التأمل في كل من القَبيلين، إلى أن ما يعمل منها، إنما هو المختص، يعني ما يختص بالتدخل على الأسماء لو على الأفعال، و أما ما يدخل عليهما جميعاً فإنه لا يعمل."⁽³⁾

و مثل هذا الرأي يلفت الانتباه إلى العلاقة بين عمل الحرف و اختصاصه، النظير بعد ذلك تفرعات حنوية تقسيمية له، متفق عليها نحو قول: المالقي: "و تنقسم العاملة من هذه الحروف، لازمة كانت أو غير لازمة من جهة عملها لأربعة أقسام، قسم عامل رفعا و نصبا في الأسماء، و قسم عامل جرا فيها، و قسم عامل نصبا في الأفعال، و قسم عامل جزما فيها."⁽⁴⁾

ويتدرج هذا التقسيم ليتحدد أكثر عند المرادي في قوله:

"و أما أقسام الحرف فتلاثة: مختص بالاسم، و مختص بالفعل، و مشترك بين الاسم و الفعل، فأما المختص بالاسم فلا يخلو من أن يتنزل منه منزلة الجزء أولا، فإن تنزل منه منزلة الجزء لم يعمل كـ لام التعريف،

(1) المقضب 44/2 .

(2) الأصول في النحو 54/1، 55 .

(3) القياس في النحو د/ منى إلياس 36 .

(4) وصف المبني 5 .

و إن لم ينزل منه منزلة الجزء فحقه أن يعمل، لأن ما أُلزم شيئا لم يكن كالجزء منه أثر فيه غالبا...
و أما المختص بالفعل، فلا يخلو أيضا من أن ينزل منه منزلة الجزء لولا، فإن نزل منه منزلة الجزء لم
يعمل كحرف للتنفيس، و إن لم ينزل منه منزلة الجزء فحقه أن يعمل..⁽¹⁾
و من خلال هذه التفسيرات التي تجاوزها ابن هشام في مؤلفه بالباب الأول حينما تحدث عن المفردات،
حاولنا أن نتقصى منها تكمليا لأجل المتابعة المختصرة و المركزة لمنهج ابن هشام في عرض دلالات
حروف المعاني و استعمالاتها مستعينين في ذلك بلفظات و ملاحظات السامعين لتأصيل منهجه و لمس الجوانب
المفردة و المتميزة فيه.

(1) الجنى الثاني في حروف المعاني (1) .

المبحث الثاني

منهج ابن هشام في عرض دلالات حروف المعاني

- 1- "الهمزة" حرف غير عامل مما يختص بالأسماء و الأفعال
- 2- "إنّ" حرف عامل للرفع و النصب مما يختص بالجملة الاسمية
- 3- "الباء" حرف عامل للجر مما يختص بالأسماء
- 4- "لم" حرف عامل للجزم مما يختص بالفعل

١ - الألف | الهمزة | حرف غير عامل مما يختص بالأسماء والأفعال:

الوجه الأول من وجوه استعمال الألف: النداء.

لورد سيبويه الألف التي تأتي للنداء في باب الحروف التي ينه بها المدعو قائلا: "و هذه الألف، تختلف عن بقية الحروف، التي تستعمل لمد للصوت." (١)

كما لوردها المبرد أيضا في باب الحروف التي ينه بها المدعو قائلا: "...فهذه الحروف سوى الألف تكون لمد للصوت." (٢)، و يقصد بذلك أن حروف النداء كلها تستعمل لمد الصوت، و نداء لبعيد إلا الهمزة فهي لنداء القريب.

أما للزجاجي، فلم يورد الوجه الاستعمالي لحرف الهمزة حينما تأتي حرف نداء، و اكتفى بإيراد معاني ألف الاستفهام دون أن يعرض لهمزة النداء. (٣)

و المألقي يسمي هذا الحرف همزة، و ليس ألفا، و قد لجأ إلى إيراد استعمالاتها كصيغة من صيغ الزيادة، من تلك قوله مثلا:

"الموضع السابع، أن تكون المضارعة في الفعل المبهم، و هو الذي يحتل الحال و الاستقبال نحو أضرب و أخرج..." (٤)، و إيراد المألقي لمثل هذه الاستعمالات الصرفية لم يمنعه من الحديث المسهب عن الاستعمالات الدلالية لهذا الحرف، ففي الموضع الحادي عشر من مواضع الهمزة في كلام العرب يقول: "أن تكون للنداء ك يا و تستعمل في نداء القريب، المصغى إليك، و تمد إذا بعد..." (٥). و الملاحظة التي ستوقف القارئ لهذا الحرف عند المألقي، أنه جمع بين معاني و مواضع الهمزة و هو الحرف الأول في ترتيب ابن هشام، و بين معاني و مواضع ألف اللين و المد، التي هي أحد الحروف الأخيرة في ذلك الترتيب، و قد قدم ابن هشام صلة فصله بين الألف الأولى و ألف الأخيرة، فقال عن الأخيرة:

"و المراد هنا الحرف الهلوي، الممتنع الابتداء به، لكونه لا يقبل الحركة، لما الذي يرد به الهمزة فقد مر في صدر الكتاب..." (٦).

و قد جاء هذا الحرف في صدر الكتاب على وجهين:

الوجه الأول: "...أن تكون حرف ينادى به القريب كقوله:

(١) الكتاب 2/229.

(٢) مقتضب 4/233.

(٣) نظر حروف المعاني 19.

(٤) رصف المبني 47.

(٥) المصدر نفسه 51.

(٦) مقني اللبيب 484.

استقى ابن هشام هذا الوجه الاستعمالي من كلام العرب كما أثبتته كتب الأصول ضمن وحدة دلالية، هي وحدة حروف النداء، و لكن ابن هشام اتخذ من التركيب الألفياني، مسلکا لعرض دلالات الهمزة، متجاوزا الحديث عن الصيغ الصرفية التي تعرض لها المألقي، و قتي لمعها مع للمعاني الدلالية للهمزة كحرف معنى، و مع دلالات حرف الألف الذي جاء في قائمة الحروف الأخيرة عند ابن هشام. ففي الموضع الثالث عشر من مواضع استعمال الهمزة عند المألقي، نجد استعمال الهمزة قد أخذ هذا المعنى الذي عرض له ابن هشام مع الألف الأخيرة إذ يقول: "أن تكون للإينكار في أول الكلمة، و ذلك إذا تكررت كلام غيرك، أو تكررت رايه، فنقول في نحو جام زيد: أزيدنيه..." (3)

لقد تخطى ابن هشام كل تداخل غير منظم في منهج عرض دلالات الهمزة و استعمالاتها بطريقة معجمية دقيقة، جعلته يميز بين الفروق الخفية في الاستعمالات و مواضعها، و لكن مما يؤخذ عليه إهماله و حذفه لوجه من وجوه استعمال الهمزة أثبتته كتب الأصول (4) و أورده المألقي في الموضع الثاني عشر من مواضع استعمال هذا الحرف إذ يقول: "أن تكون معاقبة لحرف القسم مقصورة و ممدودة، نحو قولهم لله لأفعلن و أ لله لأفعلن..." (5)

الوجه الثاني من وجوه استعمال الألف: الاستفهام

أورد سيبويه الألف التي تأتي للاستفهام في طائفة حروف و أسماء الاستفهام، و قد أثبت أصالة هذا الحرف في أداء معنى الاستفهام، مقاما دليله على ذلك في أقوال متناثرة في تضاعيف كتبه من ذلك قوله: "الألف حرف الاستفهام، الذي لا يزول عنه إلى غيره، و ليس للاستفهام في الأصل غيره..." (6)، و لأن الألف أصل لغوات الاستفهام فإنه يحذف، من ذلك قول سيبويه أيضا: "و يحذف الألف. قال التميمي، و هو الأسود بن يعفر:

لعمرك ما لدرّي، و إن كنت دلرياً شعيتُ بن سهيم أم شعيتُ بن منقر (7)

و قال عمر بن ربيعة:

لعمرك ما لدرّي و إن كنت دلرياً بمتع رمين الجمر لم بتمن (8) (9)

(1) سبق توثيقه في الفصل الثاني ٦٦.

(2) مغني اللبيب 17.

(3) رصف المبتلي 51.

(4) انظر الكتاب 161/2، و المقضب 323/2، و الأصول في النحو 432/1.

(5) رصف المبتلي 53.

(6) الكتاب 99/1.

(7) البيت من [الطويل] للأسود بن يعفر و هو جاهلي، انظر شرح شواهد المغني 138/1، و شرح ألبت المغني 208/1.

(8) سبق توثيقه في الفصل الثالث 118.

(9) الكتاب 175، 174/3.

و المبرد أيضا يؤكد أصالة الهمزة لو الألف في أدائها للاستفهام قبل أدائها للنداء، فيقول مستقصيا حروف النداء:

” يا و أيا ، و هيا ، و أي ، و ألف الاستفهام (1) ”.

و في موضع إثبات أصالة هذا الحرف يقول أيضا:

” و سنذكر إن، كيف صارت أحق بالجزاء، كما أن الألف أحق بالاستفهام (2)، و قوله: ” ... كما تحتمل

الألف في الاستفهام تقديم الاسم في نحو قولك: أزيد قلم، لأنها أصل الاستفهام (3) ”.

و لأن الألف أصل لنوات الاستفهام عند المبرد، فقد أجاز حذفها فيما لورده من شواهد على ذلك قائلا:

” فأما قول ابن أبي ربيعة (4) ...

فليس على الإضراب، و لكنه أراد أيسع؟ فاضطر فحذف الألف، و جعل أم نبيلا على الإضراب، إذ كان

المعنى على ذلك، كما قال الشاعر (5) (6) ”.

و أما لزجاجي فلم يعرض لأصالة الهمزة و أحكامها في الاستفهام، و اكتفى بالتمثيل لبعض دلالاتها (7).

و كان للمالقي إشارات إلى أصالة الهمزة، و إن كانت تنسم بالعمومية من ذلك قوله:

” و تدخل على الجمل الاسمية، و الفعلية، كقولك أزيد قلم؟ و القلم زيد؟ و تكون معادلة لـ أم و غير

معادلة... و يجوز حذف هذه الهمزة إذا فهم المعنى، و دل عليه قرينة الكلام، كقولك: زيد قام أم عمرو؟

تريد أزيد، قال الشاعر (8) ... أراد أيسع (9) ”.

و يأتي ابن هشام إلى عرض ما جاء به السابقون بطريقة مفصلة و منظمة، فيقول عن الوجه الثاني من وجوه

استعمال الألف عنده:

” أن تكون الاستفهام، و حقيقته طلب الفهم، نحو أزيد قلم؟ ... و الألف أصل لنوات الاستفهام، و لهذا

خصت بأحكام: أحدها جواز حذفها، سواء تقدمت على لم كقول عمر ابن أبي ربيعة:

بَدَأَ لِي مِنْهَا مَعْصُومٌ حِينَ جَمَرَتْ	و كَفَّ خَضِيْبٌ رُبَيْثٌ بَيْنَانِ
فَوَاللَّهِ مَا لَدَرِي و لِي كُنْتُ دَلِيْبًا	بِمَسِيحٍ رَمَيْتَ الْجَمْرَ لَمْ يَثْمَكِ (10)

(1) المقضب 233/4 .

(2) المصدر نفسه 46/2 .

(3) المصدر نفسه 74/2 .

(4) انظر الشاهد الذي تقدم في هذا الفصل 194 رقم 8 .

(5) انظر الشاهد الذي تقدم في هذا الفصل 194 رقم 7 .

(6) المقضب 294/3 .

(7) انظر حروف المعاني 19 .

(8) انظر الشاهد الذي تقدم في هذا الفصل 194 رقم 8 .

(9) رصف المباني 45، 44 .

(10) سبق توثيقهما في الفصل الثالث 418 .

أراد: أيسع.

أم لم تنكدها أم كقول الكميت:

طربتُ و ما شوقاً إلى القبيص أطربُ و لا لعباً يني، و ذو الشيب يلعبُ (1) (2)

و في موضع الحديث عن حكم حذف ألف الاستفهام، لأصلاتها، يورد ابن هشام شواهد قرآنية كثيرة للاحتجاج، دون أن ينسى تنبيهها إلى أن ذلك يجوز مع اشتراط أمن القلب و الخلاف. و مادة ابن هشام. - فيما أورد - هي مادة كل من سيبويه و المبرد، أخضعها ابن هشام لتنظيم، و شرح تحليلي ممنهج. فإذا كان الأول قد أقرأ أصالة هذا الحرف في أدلته للاستفهام، دون سائر الألفات الأخرى، و مثلوا لحذفه، فإن ابن هشام قد بين معناه، و أصالة هذا المعنى، ثم ضبط ذلك بمعنى بأحكام مرتبة، ذكرها بعد رصدها و جمعها من كتب الأصول. و ما جاء به ابن هشام بعد مقدمات عملية تفتح الأبواب على مغالقات كثيرة قد تعترض الدارس، و تضع حداً لكثير من استفساراته و تشككه، أمام ما تفرق و انتثر في تضاعيف كتب الأصول.

فبعد حكم حذف همزة الاستفهام يورد ابن هشام للحكم الثاني لها قولاً:

«... إنها ترد لطلب التصور نحو أزيد قلتم أم عمرو؟، و لطلب التصديق نحو أزيد قلتم؟...» (3)

و الثالث من أحكامها: «أنها تدخل على الإثبات، كما تقدم، و على النفي نحو: أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟» (4)، «أَوْ لَعَنَّا أَصَابَتَكُمْ مُصِيبَةٌ؟» (5)... (6). و مثل هذه الإشارات، و النتائج استخلصها ابن هشام مما بُث في كتب الأصول من شواهد و سياقات كلامية متفق عليها من ذلك قول سيبويه: «تقول: أم من تقول؟ أم هل تقول؟ و لا تقول: أم تقول؟ و ذلك لأن أم بمنزلة الألف، و ليست أي و من و ما و متى بمنزلة الألف. و إنما هي أسماء بمنزلة هذا و ذلك...» (7)

و قوله: «و لا تدخل الواو على الألف، كما أن هل لا تدخل على الواو، فإمّا أرادوا أن يجروا هذه الألف مجرى هل، إذ لم تكن مثلها، و الواو تدخل على هل...» (8)

و عند المبرد نجد إيراداً لخاصية من خصائص أصالة الهمزة أو الألف في الاستفهام إذ يقول: «و هذه الألف لتمكنها تدخل على الواو، و ليس كذا سائر حروف الاستفهام، إمّا الواو تدخل عليهن في قولك: و هل هو

(1) قبيص من [الطويل] للكميت بن زيد الأسدي. انظر شرح شواهد المعنى 34/1 و شرح ليلت المعنى 31/1.

(2) معني اللبيب 20، 19.

(3) المصدر نفسه 21.

(4) شرح 1.

(5) ال عمران 165.

(6) معني اللبيب 21.

(7) الكتف 187/3.

(8) المصدر نفسه 187/3.

عندك؟ فتكون الواو قبل هل...⁽¹⁾

و مثل هذه الخصائص الأخيرة، لا نجد لها ضبطا و نكرا في كتاب الزجاجي، أما المألقي فقد تجاوزها و لم يلتفت إلا إلى بعض منها كما عرشنا لها سابقا. و لا نقوت مثل هذه الإشارات و الملاحظات لبن هشام ليعيدها و ينظمها و يجعل منها ضابطا لأحكام هذا الحرف فيقول في الحكم الرابع من أحكام الألف "تمام التصدير، بتلخين: أحدهما، أنها لا تنكر بعد لم التي للإضراب كما يذكر غيرها، لا تقول: لقام زيد لم لقع، و تقول: لم هل لعد و الثاني أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالقاء أو بضم، قدمت على للعاطف تنبئها على أصلتها في التصدير نحو ﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا ﴾⁽²⁾، ﴿ لَقَدْ سِيرُوا ﴾⁽³⁾، ﴿ لَمْ يَكُنْ إِذًا مَا وَقَعَ أَمْنُكُمْ ﴾⁽⁴⁾، و أخواتها تتأخر عن حروف العطف ...⁽⁵⁾

و ينتقل لبن هشام بعد إيراد أحكام همزة الاستفهام إلى تتبع دلالاتها و معانيها فأعطى لكل دلالة مسمى خاصا، مستقيا تلك الدلالات، و المسميات، من شروح الأوائل، و أمثلتهم، و ملاحظاتهم التي سجلت لهم في خروج ألف الاستفهام عن الاستفهام الحقيقي إلى أداء معان أخرى.

دلالة ألف الاستفهام على التسوية

فعند سيويوه: " و من هذا الباب قوله، ما أبالي أزيذا لقيت أم عمرا، و سواء علي لبشرا أم زيذا، كما تقول: ما أبالي ليهما لقيت، و إنما جاز حرف الاستفهام ههنا لأنك سويت الأمرين عليك كما استويا...⁽⁶⁾ و عند المبرد: " و تقول ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو؟ و ما أبالي لقيت أم لقيت، و سواء علي أذهبت أم جئت... لأن هذا ليس باستفهام، و لا قولك قد علمت أن أحدهما في الدار لا تكري ليهما هو؟ فقد استويا عندك. فهذه الأشياء التي وصفنا مستوية، و لن لم تكن استفهاما...⁽⁷⁾

و هذه الدلالة [التسوية] لم يتعرض لها الزجاجي، أما المألقي فقد ذكرها في الموضع الرابع من مواضع استعمال الهمزة فقال:

"الموضع الرابع لن تكون للتسوية، و صورتها في الكلام صورة الاستفهامية المعانلة، إلا أن هذه تنقسمها التسوية كقولك: سواء علي لقيت أم لقيت... قال الله عز و جل ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَقْرَأْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُقْرَأْهُمْ ﴾⁽⁸⁾ (9).

(1) المقضب 307/3 .

(2) الأعراف 185 .

(3) يوسف 109 .

(4) يونس 51 .

(5) معني اللبيب 22 .

(6) الكتب 170/3 .

(7) المقضب 297/3 .

(8) البقرة 6 .

(9) وصف المبلي 46 .

أما ابن هشام فقد أورد فصلاً تحدث فيه عن دلالات همزة الاستفهام، في مواضع سياقية متنوعة فقال: "قد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي فتزدلثامية معان: أحدها التسوية، وربما توهم أن المراد بها الهمزة الواقعة بعد كلمة سواء بخصوصها، وليس كذلك، بل كما تقع بعدها تقع بعد ما ألبالي و ما أدري و ليت شعري، و نحوهن. و الحساب أنها الهمزة الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو: سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (1)، و نحو ما ألبالي ألفت لم قعدت، ألا ترى أنه يصح: سواء عليهم الاستغفار، و عمنه، و ما ألبالي بقيامك و عمنه. (2)"

إنها صياغة جديدة منظمة لدلالة وردت عند الأول، و قد وجهها ابن هشام و ضبطها، و مثل لها تدريباً، كما خرجها إعرابياً، و هذا مما افتقد في الكتب السابقة.

دلالة ألف الاستفهام على الإنكار الإبطالي

و مثل هذه الدلالة وُجدت مثبتة في كتب الأصول تمثيلاً و شرحاً لا اصطلاحاً.

فسيبويه يقول:

"... مثل ذلك في اليمين لي ملك مصر و هذه الأنهر تجري من تحتي أفلا تبصرون لم لنا خير من هذا الذي هو مهين (3) كأن فرعون قال: أفلا تبصرون أم أفتم بصراء... ألا ترى أن الرجل يقول للرجل السعادة أحب إليك أم للشقاء؟ و قد علم أن السعادة أحب إليه من الشقاء، و أن المسؤول سيقول السعادة، و لكنه أراد أن يُبصر صاحبه و أن يعلمه. (4)"

و للمبرد وقفة دلالية في شرح ما جاء به سيبويه فقال: "... ألا تراه يقول عز وجل في آلمن يلقى في النار خير أم من يلقى أمناً يوم القيامة (5)، و قد علم المستمعون كيف ذلك. ليزجرهم عن ركوب ما يؤدي إلى النار كقولك للرجل: السعادة أحب إليك أم للشقاء؟ و من ذلك قوله في آلمن في جهنم منوى للمتكبرين (6) كما قل:

استم خير من ركب المقطبا و لئدى العالمين بطون راح (7) (8)"

أما لزجاجي فقد أورد بعض دلالات ألف الاستفهام من غير شرح أو توضيح، و اكتفى بإيراد اسم الدلالة مقروناً بالشاهد، فلخص معاني ألف الاستفهام في دالتين هما التقرير و التوبيخ فقال:

(1) فمبلغون 6.

(2) معنى اللبيب 24.

(3) الزخرف 52، 51.

(4) الكتاب 173/3.

(5) فصلت 40.

(6) الزمر 60.

(7) البيت من الفهر | الجوير و هو في الديون 98، فطر شرح شلوه المعنى 43/1، و شرح أيلت المعنى 53/1.

(8) المقضب 292/3.

٤ و تكون تقريراً و توبيخاً، فالتقرير قولك: ألسنت كريمة؟ ألم أحسن إليك؟ كقوله تعالى: ﴿مِ الْمَ أَغْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾ (١)، قال جرير (٢)...

و التوبيخ، كقوله: ألم تننب، فأغفر لك؟، ألم تسيء فأحسن إليك؟ (٣)
و أورد الملقى عبارة طويلة حاول أن يلخص من خلالها دلالة الإنكار الإبطالي في موضع من مواضع استعمال همزة الاستفهام فعال: "الموضع الثالث: أن تكون للإيجاب، و تحقق الكلام، و فيه معنى الاستخبار كقوله تعالى ﴿مِ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ (٤)، و المعنى ستجعل فيها، و منه قول جرير (٥)...

فلفظ هذا النوع يعطي معنى الاستخبار، و الإيجاب، و لتحقيق على ما ذكرت لك، و به يحصل معنى الممدح. (٦)

أما ابن هشام فيأتي إلى تحديد المصطلح الدلالي فيوضحه و يمثل له بالشواهد الكثيرة للتكريرية، مستخلصاً من الشروح السابقة للملاحظات و اللغات اللغوية فيفيدنا كقواعد لغوية بلاغية قائلا: "... الإنكار الإبطالي، و هذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع و أن مدعيه كاذب نحو ﴿مِ أَفَأَصْلَحَكُمْ رَبُّكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾ (٧)، و من جهة إفادة هذه الهمزة نفي ما بعدها لزم ثبوته إن كان منفيًا، لأن نفي النفي إثبات و منه ﴿مِ لَيْسَ لِلَّهِ كَافٍ عِدَّةُ﴾ (٩) ... و لهذا أيضا كان قول جرير في عبد الملك (١٠) ... مدحا، بل قيل: إنه أمدح بيت قلته العرب. و لو كان على الاستفهام الحقيقي لم يكن مدحا البتة. (١١)

دلالة ألف الاستفهام على الإنكار التوبيخي

و هذه دلالة من الدلالات التي تابعها ابن هشام فضبطها و حدد استعمالها بدقة، و قد أشارت كتب الأصول إليها، فقال سيبويه: "و مما يدل على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة هل، أنك تقول للرجل أطريا؟ و أنت تعلم أنه، قد طرب لتوبخه، و تفرره، و لا تقول هذا بعد هل... (١٢)

(١) يس 60 .

(٢) نظر الشاهد الذي سبق برقم 7 .

(٣) حروف المعنى 19 .

(٤) البقرة 30 .

(٥) نظر الشاهد الذي تقدم في هذا الفصل 138 رقم 9 .

(٦) رصف المباني 46 .

(٧) الإسراء 40 .

(٨) الصافات 149 .

(٩) الزمر 36 .

(١٠) نظر الشاهد الذي تقدم في هذا الفصل 138 رقم 7 .

(١١) معنى اللبيب 24، 25 .

(١٢) الكلب 176/3 .

و إذا كان سببويه لم يفصل بين التوبيخ و التقرير ، فقد حاول أن يفصل بينهما المبرد فقال: * ... ألا ترى أنك تقول أما زيد في الدار على التقرير و نقول يا زيد: أسكوتا، و الناس يتكلمون توبخه بذلك، و قد وقع منه، و لا تقع هل في هذا للموضع، ألا ترى إلى قوله: " أَطْرِبًا وَ أَنْتَ قَسْرِيٌّ (1)..... (2) و إنما هو اضطرب، و هو في حالة طرب. (2)

و لزجاجة أيضا جمع بين التقرير و التوبيخ، و مثل لكل منهما، و لم يفرد للدلالة الواحدة حديثا خاصا، و اكتفى بالتمثيل المختصر عن طريق الشاهد، من غير شرح و توضيح (3).

أما لما قلنا فقد حاول أن يفصل بين المعاني و الاستعمالات، فيختار لها المصطلحات و المسميات التي تقترب من الدقة الدلالية، و لكن طابع العموم غلب عليه، فقال في الموضع السابق من موضع استعمال الهمزة: * ... أن تكون للتوبيخ مجردا من التقرير تارة، و مصاحبا له أخرى. فمن الأول قوله تعالى ﴿لَذَهَبَتْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي خَوَافِكُمْ لَدُنِّي﴾ (4) و من الثاني قوله تعالى ﴿لَمْ تَزِدْكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ (5)... (6). و هذه الدلالة استطاع ابن هشام أن يستوعبها و يتتبع مواضعها في القرآن الكريم و كلام العرب، فيختار لها المصطلح الدلالي القبلاغي المناسب إذ يقول:

* الإنكار التوبيخي فيقتضى أن ما بعدها واقع، و أن فاعله ملوم نحو ﴿لَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُمُونَ﴾ (7)، ﴿أَغِيرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ (8)، ﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ نُونًا لِلَّهِ قَرِينُونَ﴾ (9) ﴿لَتَقُولَنَّ الذُّكْرَانُ﴾ (10)، ﴿لَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ (11)، و قول للعجاج: ... (12)

أي اضطرب و أنت شيخ كبير؟ ... (13)

و على خلاف السابقين فقد كان ابن هشام مستقصيا بدقة هذا المعنى في القرآن الكريم و متنبعا له، بفهم عميق، أمكنه أن يفصل به بين الاستعمالات المتداخلة و المتشابهة.

(1) تامله: و الدهر بالإنسان بوارثي من [فرج] للمعاج، انظر شرح شواهد المعنى 48/1، و شرح آيات المعنى 57/1 .

(2) المقضب 289/3 .

(3) حروف المعاني 19 .

(4) الأحقاف 20 .

(5) الشعراء 18 .

(6) وصف المباني 47 .

(7) الصفات 95 .

(8) الأعلام 40 .

(9) الصفات 86 .

(10) الشعراء 165 .

(11) النساء 20 .

(12) انظر الشاعرا الذي تقدم برقم 4

(13) معني القليب 26، 25 .

دلالة ألف الاستفهام على التقرير

و التقرير من الدلالات التي لمساها في شروح سيويه و المبرد السابقة، كما وجدنا إشارة إلى هذا المعنى عند الزجاجي أيضاً، أما المالكي فقد أفرد له موضعاً محالاً توضيحه فيه و شرحه، فقال عن الموضع الخامس من مواضع استعمال الهمزة: " أن تكون للتقرير مجرداً من معنى الاستفهام كقولك: أنت رأيتني أقوم، و معناه: أقرر بك معرفتي، و الفرق بينه و بين الاستفهام أن الاستفهام ممن لا يعلم لمن يعلم، أو يتوهم منه العلم، ليعلم، و التقرير ممن يعلم لمن يعلم، ليثبت على فعله، فيكون جزاءً أو ينحو أنه فعله عن قصد... (1)"

و يتمكن ابن هشام من ضبط هذا المعنى و التدريب عليه، بحيث لا يترك مجالاً لأي استفسار أو إشكال فيقول: "التقرير، و معناه حملك للمخاطب على الإقرار و الاعتراف، بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، و يجب أن يليها الشيء الذي تقرر به. نقول في التقرير بالفعل: أضريت زيدا؟ و بالفاعل: أنت أضريت زيدا؟ و بالمفعول: أزيداً أضريت؟ كما يجب ذلك في المستفهم عنه. و قوله تعالى: ﴿أَنْتَ لَعَلْتَ هَذَا﴾ (2)، محتمل لإرادة الاستفهام الحقيقي بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، و لإرادة التقرير، بأن يكونوا قد علموا و لا يكون استفهاماً عن الفعل، و لا تقريراً به، لأن الهمزة لم تدخل عليه، و لأنه عليه الصلاة و السلام، قد أجابهم بالفاعل بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ (3)... (4)"

دلالة ألف الاستفهام على التهنيم

و هذه الدلالة لم يعرض لها السابقون، و ربما ألمجوها مع ما أوروده من دلالات الإنكار، و التوبيخ، و التقرير. أما ابن هشام فقد أثبتها قائلاً: " و الخامس التهنيم، نحو: **إِصْلَاحُكَ تَلْمِزُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ أَبَاؤُنَا** (5) (6) .

دلالة ألف الاستفهام على الأمر

و هذه الدلالة أيضاً لم يعرض لها السابقون، و أثبتها ابن هشام في قوله: و السلام: الأمر نحو: ﴿أَسْتَقِمْ﴾ (7)، أي اسلموا (8) .

(1) رصف المباني 47 .

(2) الأنبياء 62 .

(3) الأنبياء 63 .

(4) معني القليب 26 .

(5) هود 87 .

(6) معني القليب 27 .

(7) آل عمران 20 .

(8) معني القليب 27 .

دلالة ألف الاستفهام على التعجب

لم يعرض لها السابقون و ضمنها ابن هشام قوله:

"و السابغ التعجب، نحو: **إِنَّمَا تَرَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** (1) ... (2)"

دلالة ألف الاستفهام على الاستبطاء

لم يعرض لها السابقون، و ضمنها ابن هشام قوله: و الثامن: الاستبطاء، نحو **إِنَّمَا يَأْنٍ لِلَّذِينَ**

آمَنُوا (3) (4)

و يردف ابن هشام ذكره لهذه المعاني بقوله: "و ذكر بعضهم معاني آخر لا صحة لها. (5)" و الملاحظ أن ابن هشام حينما لورد هذه المعاني الأخيرة، لم يشرحها و اكتفى بإيراد المصطلح الدلالي لها مع الشاهد القرآني، فلم يعط تعريفا أو ضابطا لمجيء هذه المعاني، كما عرف و ضبط للمعاني و المصطلحات الدلالية السابقة. و الحقيقة، أن هذه المعاني الأخيرة هي أغراض سياقية قرآنية مستخلصة من الغرض التفسيري لكل آية، و ليست وجوها من وجوه استعمال همزة الاستفهام، لأنها بقيت محتفظة في الأصل بالمعاني الأولى المنطق عليها، من إنكار إيطالي، و توبيخ و تقرير، و ما دفع ابن هشام إلى إثبات دلالات همزة الاستفهام الأخيرة هو اعتماد التحليل و تفرد دون الآخرين بالفتوة على استيعاب و تذوق المعاني للقرآنية، و مدى قدرته على التمييز بينها و إدراك الفروق بين ما تشابه منها.

2- إنَّ حرف عامل للرفع والنصب مما يختص بالجملة الاسمية:

و هي عند سيبويه واردة في "باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعده اكسِلْ تفعل فيما بعده (6)" و "لا تكون **إِنَّ** إلا مبتدأ، و ذلك قولك: **إِنَّ زيدا منطلق**، و **إِنَّكَ ذاهب...** (7)، و هي " ... تؤكد لقوله: زيد منطلق و إذا خفت فهي كذلك، تؤكد ما ينكلم به، و ليثبت للكلام غير أن لام التوكيد تلزمها عوضا مما ذهب منها... (8)"

و هي عند المبرد واردة في طائفة الحروف المشبهة بالأفعال "... و إنما تشبهتها لأنها لا تقع إلا على الأسماء... (9)"، إذ يقول عنها "اعلم أن **إِنَّ** مكسورة مشبهة بالفعل بلفظها، فعملها عمل الفعل المتعدي إلى

(1) الفرقان 45 .

(2) معنى اللبيب 27 .

(3) الحديد 16 .

(4) معنى اللبيب 27 .

(5) المصدر نفسه 27 .

(6) الكتاب 131/2 .

(7) المصدر نفسه 120/3 .

(8) المصدر نفسه 233/4 .

(9) المختضب 108/4 .

مفعول... (1)*. و هي تصبب الأسماء، و ترفع الأخبار، فتشبه من الفعل ما قندم مفعوله، نحو ضرب زيداً

عمر (2)*

و لا نجد عند اللزاجي تخصيصاً لهذا الحرف بالشرح، و إنما وجدنا إشارات مختصرة لوجوه استعماله من غير تدريب دقيق أو تمثيل واف لعمله أو تحديد تعديدي لاستعماله كما تحدثت عنه كتب الأصول السابقة من ذلك قوله: *... الوجه الثاني: تنصب الاسم و ترفع الخبر، تقول **إِنَّ زَيْدًا مَنْطَلِقٌ** و معناها التأكيد (3)، أما المالقي، فيقدم عرضاً جاهزاً عن هذا الحرف قائلاً: * اعلم أن لها في الكلام موضعين:

للموضع الأول: أن تكون للتوكيد في الجملة، و هي داخلة على المبتدأ و الخبر، فيصير ما كان مبتدأ اسماً لها فترفعه... (4)*

و يكثر المالقي من المفصلات الجاهزة فيقول عن عمل هذا الحرف:

*... و كان حقها، و حق أمثلها من الحروف التي تعمل عملها أن تخفض الاسم بعدها، لأنها اختصت بالأسماء، و لم تكن كجزء منها، و كل ما اختص بالأسماء، و لم يكن كجزء منها عمل فيها الخفض، كحروف الجر، إلا أن **إِنَّ** و أخواتها تشبهت الأفعال المتعدية إلى مفعول به واحد... (5)*

و يعمد ابن هشام إلى تقديم هذا الحرف تقديماً عملياً تدريبياً، معتمداً لتحليل و النقاش المعرّن، فيقول بمجيء هذا الحرف على وجهين: * أحدهما: أن تكون حرف توكيد، تنصب الاسم و ترفع الخبر، قيل: و قد تنصبهما في لغة، كقوله:

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلَنَاتٍ وَ لَتَكُونُ خُطَاكَ خَفَافاً إِنَّ حَرَّاسَنَا أَسَدًا (6)

و في الحديث: **إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا** (7)... (8)*

و لابن هشام في هذا البيت، و الحديث تدريباً إعرابياً نكياً و استطراداً نحوياً، يكشف عن مقرراته النحوية، و موضوعيته في رد اللغة القليلة بنصب **إِنَّ** للاسم و الخبر، و ذلك عن طريق توخي الأئلة القوية و تقييدها مع الشرح. (9)

(1) المقصّب 2/440.

(2) المصدر نفسه 4/109.

(3) حروف المعاني 30.

(4) رصف المبني 118.

(5) المصدر نفسه 118.

(6) من [الطويل] نسبة السيوطي و البغدادي لعمري بن أبي ربيعة، انظر شرح شواهد المعنى 1/122، و شرح أبيات المعنى 183/1.

(7) صحيح مسلم [كتاب الإيمان] 3/72.

(8) معنى اللبيب 55.

(9) انظر معنى اللبيب 55، 56.

لقد استفاد ابن هشام ممّا أثبتته كتب الأصول الأولى فأعاد بالشرح و التنظيم، ما بشوء عن إنّ، لكنه خالفهم في تناول هذا الحرف، بالدراسة مستقلاً عن طائفته و مجموعته من الحروف المشبهة بالفعل، فاستقرأ الشواهد المتنوعة التي تستوقف للدارس لهذا الحرف، فحللها و ناقشها و بذلك يمكن أن نقول إنه بدأ من حيث انتهى الأوائل، فاتخذ من الأصول النحوية في التراكيب العربية أساساً لتفريع مجموعات الحروف و تجزئتها لاستبطان و توليد منهج دلالي لغوي جديد، في دراسة الحرف.

و عن تخفيف إنّ يقول سيبويه:

و حدثنا من ننق به أنه سمع من العرب من يقول إنّ عمراً لمنطلق، و أهل المدينة يقولون ۞ و إنّ كلّاً لَمَّا لَيُؤَوِّفَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ ۞ (1) يخفون، ويتصيون ... (2) ۞

و للمبرد في إنّ المخففة من الثقيلة فصل في تعيينها إذ يقول: ۞ و تكون مخففة من الثقيلة، فإذا كانت كذلك، لزمها اللام في خبرها لنلا تنبئ بالنافية، و ذلك قولك: إنّ زيد لمنطلق، و قال الله عز و جل ۞ إنّ كلّ نفسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَالَفٌ ۞ (3) ۞ (4)

و يقول: ۞... فإذا رفعت ما بعدها لزمك أن تدخل اللام على الخبر، و لم يجز غير ذلك، لأن لفظها كافظ التي في معنى ما و إذا دخلت اللام علم أنها الموجبة لا النافية، و ذلك قولك إنّ زيد لمنطلق و على هذا قوله عز و جل ۞ إنّ كلّ نفسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَالَفٌ ۞ (5)، ۞ و إنّ كنّا لَنَقُولُ ۞ (6)... (7)

و الزجاجي يورد إنّ للمخففة من الثقيلة في موضع حديثه عن وجوه إن المكسورة المخففة و بذلك يفصل بين وجوه استعمال الحرف الواحد فيقول: ۞ و تكون للتحقيق مخففة من الثقيلة، فيلزمها في الخبر اللام، كقولك إنّ زيد لقائم... (8) ۞

و يفصل أيضاً الملقى بين إنّ للمكسورة المشددة، و إنّ المخففة منها، فلم يحصها بالحديث في هذا الموضع و كل ما قاله عنها ۞ أنه يجوز فيها التخفيف، و قد ذكر حكمها إذا كانت كذلك (9) ۞

أما ما قاله عنها في موضع حديثه عن إنّ للمخففة المكسورة في الموضع الثالث ۞ أن تكون مخففة من الثقيلة فتكون للتوكيد في الجملة كالثقلية، و تدخل على المبتدأ و الخبر و على ظننت، و أخواتها و سائر نولسح الابتداء من الأفعال كـ كان و أخواتها، و كاد و يجوز فيها الإلغاء، و الأعمال كالمنقلة نحو إنّ زيدا لقائم، و إنّ زيد لقائم... (10) ۞

(1) هــ 111.

(2) في كتاب 140/2، و نظر النشر في القراءات المشر 290/2.

(3) الطلاق 4.

(4) المقصّب 49/1.

(5) الآية السابقة.

(6) الصافات 167.

(7) المقصّب 363/2.

(8) حروف المعاني 57.

(9) وصف المبلى 123.

(10) المصدر نفسه 108.

و مثل هذا الفصل لا نجد في عرض ابن هشام، الذي استفاد كثيرا مما قدمته كتب الأصول في تخفيف الحرف إن، ولكنه أضاف إلى ذلك تخريجات وظيفية، و قياسات كلامية استنبط منها الحكم العملي لـ إن المخففة من الثقيلة، فيقول: * و تُخَفَّفُ فَتُسْتَعْمَلُ قَلِيلًا، وَ تُهْمَلُ كَثِيرًا، وَ عَنِ الْكُوفِيِّينَ، أَنَّهَا لَا تُخَفَّفُ وَ أَنَّهَا إِذَا قِيلَ إِنَّ زَيْدًا لَمُنْطَلَقٌ فِي إِنْ نَافِيَةٌ، وَ قَلَامٌ بِمَعْنَى إِلَّا وَ يَرُدُّهُ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُهَا مَعَ التَّخْفِيفِ، حَكَى سَيِّبُوهُ إِنْ عَمِرًا لَمُنْطَلَقٌ وَ قَرَأَ الْحَرَمِيُّانِ وَ أَبُو بَكْرٍ هُ وَ إِنَّ كَلَامًا لِيُؤْفِقَهُنَّ هُ (1) (2) *

و عن مجيء إنَّ حرف جواب و هو الوجه الثاني من استعمالها يقول سيبويه *... و أما قول العرب في الجواب بـه، فهو بمنزلة أجل و إذا وصلت قلت: إنَّ يا فتى، و هي التي بمنزلة أجل قال الشاعر:

بَكَرَ الْعَوْنُ فِي الضُّبِّ جَ يَلْفُنِّي وَلَوْ مَهْمَةً
وَ يَقْلَنُ: شَيْبٌ قَدْ عَلَا ك، وَ قَدْ كَبُرَتْ، فَقُلْتُ: بَهْ (3) (4) *

لما لم يرد فلم يورد هذا الوجه من وجوه استعمال إنَّ في مقتضبه (5)، لكن للزجاجي لورده على أنه الوجه الأول في استعمالها قائلا: من لها وجهان:

تكون بمعنى نعم، لاتعمل شيئا، فنقول إنَّ عبد الله ققم، تريد عبد الله ققم، و إنَّ قاتم عبد الله على ذلك التقدير. (6) *

و إذا كان للزجاجي قد قرر مجيء إنَّ بمعنى أجل أو نعم مكتفيا بالاستدلال بالشواهد على ذلك، فالمعاني يضبط موضع هذا الاستعمال بشروط فيقول: "الموضع الثاني: أن تكون جوابا بمعنى نعم فتقع بعد طلب، و الخبر إذا قال القائل: اضرب زيدا فنقول: إنه أي نعم، و نقول: قام زيد، فنقول بـه أي نعم. قال الشاعر:

وَ قَائِلَةٌ: لَسَيْتَ فَقُلْتُ جِيرٍ أَيْسَى ابْنِي مِنْ ذَلِكَ بَهْ (7) ... (8) *

-
- (1) هود 111 .
(2) مغني اللبيب 55، و انظر معاني القرآن للعراة 28/2، و الكتب 140/2 .
(3) من [مجزوء الكامل] لعبيد الله بن قيس الرقيات، شاعر إسلامي، انظر شرح شواهد المغني 1/26، و شرح أبيات المعني 191/1 .
(4) الكتب 151/3 .
(5) لم أهتم إلى استعمال إنَّ بمعنى نعم في المقتضب، و لعل المبرد أوردتها في مصنف آخر له.
(6) حروف المعاني 30، و في موضع آخر يورد الزجاجي استعمال إنَّ بمعنى أجل مستشهدا و معشلا لهذا المعنى. انظر حروف المعاني 56 .
(7) من [الفرار] و ذهب البغدادي إلى أن هذا البيت نسبة إلى السكيت إلى رجل من بني لند، و لم يتكرر اسمه، انظر شرح أبيات المعني 75/3، أما السيوطي فنسبه لذي الرمة، انظر شرح شواهد المغني 1/362، و البيت في لسان العرب 124 .
(8) رصف المعاني 124 .

و قد أورد المالفى تفصيلات إعرابية خاصة بشواهد استعمال إن في الموضعين المذكورين أنفاً، إلى حد أنه وقع في التكرار (1).

أما إيراد إن بمعنى نعم عند ابن هشام فكان على النحو التالي: ⁴... أن تكون حرف جواب بمعنى نعم خلافاً لأبي عبيدة، استدلل المبتون بقوله:

و يَقُولُ: شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَ قَدْ كَبُرَتْ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ (2)

و رد بأن لا نسلم أن الهاء للمسكت، بل هي ضمير منصوب بها، والخبر محذوف، أي إنه كذلك، والجيد الاستدلال بقول ابن الزبير (3) رضى الله عنه - لمن قال له: لعن الله ناقة حملتني إليك: إن و ركبها، أي نعم و لعن ركبها، إذ لا يجوز حذف الاسم و الخبر جميعاً.

و عن المبرد أنه حمل على ذلك قراءة ⁵ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ (4) و اعترض بأمرين: أحدهما: أن مجيء إن بمعنى نعم شاذ، حتى قيل إنه لم يثبت. و الثاني أن اللام لا تدخل في خبر المبتدا... (5)

فابن هشام لا يكتفى بإثبات معنى الحرف أو وجه استعماله، بل يعتمد على تصويب هذا الاستعمال و ضبطه، و اختيار الجيد منه، مدعماً اختياره و مناقشاته بشواهد أخضعها للنقد العقلي، على خلاف السابقين. فهو إذ يضيف على ما جاء به سيبويه، و المبرد و الزجاجي تحليلاً أو نقاشاً لو دليلاً، فإنه يحذف كثيراً من مقدمات و تعليقات المالفى التحوية الجاهزة، متجنباً في ذلك التكرار و موزعاً تلك المقدمات على مواضع آخر كحديثه عن إن، لن، جبر...

و من خلال مناقشة معنى الحرف، أو وجه استعماله يصل ابن هشام إلى الفصل بطريقة ذكية، فيما احتدم الخلاف فيه، واضعاً حلولاً لكثير من المشكلات الإعرابية إذ يقول: ⁶... و على هذا فقرأه هذان أقيس، إذا الأصل في المبني ألا تختلف صيغه، مع أن فيها مناسبة لألف ساحران، و عكسه إياء في ⁷ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ (6) فهي هنا أرجح لمناسبة ياء ابنتي. (7)

إنه منهج ذوقي أصولي، قائم على التدريب و التحليل، تفرد به ابن هشام عن سابقيه.

3- الباء حرف عمل للجر مما يختص بالأسماء :

فعند سيبويه: ⁸إنما هي للإزاق، و الاختلاط، و ذلك قولك: خرجت يزيد، و دخلت به، و ضربته بالسوط لُزِقت ضربك إياه بالسوط، فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله... (8)

و عند المبرد إثبات للدلالة نفسها التي أكدها سيبويه. إذ يقول: ⁹و أما الباء فمعناه الإصاق بالشيء، و ذلك

(1) انظر وصف المباني 149، 124.

(2) سبق توثيقه في هذا الفصل 205.

(3) هو عبد الله بن الزبير (ت73هـ)، انظر شذرات الذهب 79/1.

(4) طه 63.

(5) معني اللبيب 57، انظر المنتخب 364/2، و كتاب السبعة في القراءات 419.

(6) القصص 27.

(7) معني اللبيب 58.

(8) الكتب 217/4.

قولك: مررت بزيد، فثبأ، نُصِفَ مرورك بزيد، و كنتك نصف به، و لُصِفَ لثبأ به. (1)^{*}
و في موضع آخر يستدل المبرد على معنى آخر من معاني ثبأ إلى جانب معنى لو دلالة الإصاق فيقول:
...^{*} و منها ثبأ التي تكون للإصاق والاستعانة، فأما الإصاق فيقولك: مررت بزيد، و لُصِفَ بك، و أما
الاستعانة، فيقولك كتبت بقلم، و عمل النجار بالقنوم. (2)^{*}

و يريد المبرد لدلالة ثبأ على الاستعانة هي محاولة منه لإعطاء هذا الحرف حقه، من الوجوه لدلائله
الأخرى، التي تجلوزها سيويوه، فأرجعها إلى دلالة الإصاق الأصلية، و التي إن لشربت معنى آخر، فمن
باب الاتماع اللغوي في نظر سيويوه.

و يأتي آخرون فيثبتون لحرف ثبأ معاني كثيرة و متنوعة، بمناهج و عروض مختلفة، فكان الزجاجي من
هؤلاء الذين تتبعوا دلالات هذا الحرف و استعمالاته مما أمثلته كتب الأصول، و على الرغم من الاختصار
الذي طبع عرض الزجاجي، فإن هذا العرض لمعاني ثبأ، يُعد خطوة منهجية في استقراء دلالات الحرف
الواحد إذ يقول: " ثبأ تكون للإصاق، كقولك مررت بزيد، و قد تقع مكان من كقوله تعالى: مَ يَشْرَبُ بِهَا
عَبْدٌ لِّلَّهِ (3)، تكون بمعنى يشرب منها، و بمعنى يشربها. (4)^{*}

و في موضع آخر يفرد الزجاجي حديثاً عن تناوب حروف الجر في الوظيفة، و مما عرض فيه: مجي، الثبأ
بمعنى عن، و بمعنى في، و بمعنى على، و بمعنى من أجل و بمعنى عند، و بمعنى اللام. (5)^{*}
و يخص المألقي حرف ثبأ، بشروح و تفاصيل مُسهبة، و بمقدمات تلقينية جاهزة، عارضاً في ذلك معاني
و دلالات هذا الحرف، إذ يقدم له في باب سماء باب الثبأ المفردة قللاً:

" أعلم أن الثبأ المفردة لا تكون في كلام العرب إلا جارة لا غير، تخفض ما بعدها على كل حال، و هي
على ثلاثة أقسام، قسم لا يمكن أن تكون زائدة قطعاً، و قسم لا تكون إلا زائدة قطعاً، و قسم يحتمل أن تكون
زائدة و أن لا تكون. (6)^{*}

و بعد أن يعطي المألقي تعريفاً لمصطلح الزائد من الحروف يأتي إلى إيراد معاني و دلالات الثبأ المختلفة.
و قد ذكر لهذا الحرف اثني عشر معنى:

- (1) المقتضب 142/4 .
- (2) المصدر نفسه 39/1 .
- (3) الإنسان 6 .
- (4) حروف المعاني 47 .
- (5) المصدر نفسه 87، 86 .
- (6) مصنف المبرقي 142 .

المعنى الأول: "أن تكون التعدي، قال الله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ" (1).
و معناها معنى همزة التعدي، و التضعيف بمعناها، إذا قلت أقمت زيدا، و قومته... (2)
المعنى الثاني: "أن تكون للاستعانة نحو قولك: كتبت بالقلم وضربت بالسوط... و للمعنى أن الكتب، وقع منك بالة و هو القلم، و الضرب وقع بالة و هو السوط، فهما المعبران للدخول على الفعلين... (3)
المعنى الثالث: "أن تكون للإصاق، نحو مررت بزيد و قدته بعصاه، و جذبته بشعره، معنى ذلك كله أنك ألصقت المرور بزيد والعود بالعصا، ولجذب بالشعر... و هذا المعنى في كلام العرب في الباء، أكثر من غيره فيها، حتى إن بعض النحويين قد رتبوا أكثر معاني الباء إليه، و إن كان على بعد، و الصحيح للتوزيع... (4)
المعنى الرابع: "المصاحبة، و هي التي تعطي معنى مع نحو قولك جنت به. رجاء شبرد والطيفه، قال الله تعالى: "فَلْتَبَعَهُمُ الرَّعُونَ يَجْنُودُهُ" (5) أي: مع جنوده (6).
المعنى الخامس: "السؤال، فتكون بمعنى عن نحو سألتك بزيد أي عنه، قال تعالى: "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقٍ" (7) أي عن عذاب... (8)
المعنى السادس: "السبب، نحو قولك: ضربتك بمخالفتك، و أحصنت إليك بأكرامك، قال الله تعالى: "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ" (9)... (10)
المعنى السابع: "معنى التعجب، نحو قولك: أحسن بمسرو، و أكرم به، و معنى ذلك: ما أحسنه و ما أكرمه، أي هو حسن جدا و كريم جدا قال الله تعالى: "أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ" (11)، و "أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ" (12)... و لا يصح أن تكون هذه الباء زائدة لتلا بفسد معناها، و يخرج للكلام عن التعجب... (13)

(1) البقرة: 20.

(2) رصف المبني 143.

(3) المصدر نفسه 143.

(4) المصدر نفسه 143.

(5) طه 78.

(6) رصف المبني 144.

(7) المعراج 1.

(8) رصف المبني 144.

(9) المنكوت 40.

(10) رصف المبني 144.

(11) مريم 38.

(12) كهف 26.

(13) رصف المبني 144، 145.

المعنى الثامن: * الطرفية، فتكون بمعنى في نحو قولك: زيد بالبصرة و عبد لله بالكوفة، قال الله تعالى
﴿أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمْ مِمَّصْرَ بُوَّتَاهُ﴾ (1) أي في مصر ... (2)*

المعنى التاسع: * معنى الحال، كقولك: خرج زيد بشيئه، أي و ثيابه عليه أي و هذه حاله... (3)*
المعنى العاشر: * أن تكون للعوض كقولك: بعث هذا بهذا، و أعطيت ذلك بذلك قال الله تعالى ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ
بِجَنَّتَيْنِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ (4)... (5)*

المعنى الحادي عشر: * أن تكون الاسم، كقولك: بالله لتخرجن، و بك لألقطن... (6)*

وبعد شرح هذا المعنى يواصل المؤلف حديثه عن الباء فيقول:

«فأما الباء في قولهم طفت بالبيت و قوله تعالى ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ (7) في الآية فهذه بعضهم إلى أن
الباء في ذلك للتعرض... و الصحيح أن الباء في ذلك كله للإصاق كما تقدم في المعنى الثالث... (8)*
المعنى الثاني عشر: * التشبيه كقولك: لقيت به الأسد، و واجهته به الهلال كأنك قلت: لقيته فكأنني لقيت
الأسد، و واجهته فكأنني واجهته الهلال (9)* و بعد أن ينهي حديثه عن دلالات و معاني الباء في القسم الأول
الذي لا تكون فيه زائدة، ينتقل المؤلف إلى القسم الثاني الذي لا تكون فيه إلا زائدة. فيورد مواضع زيادتها
ثلاثة، مع المبتدأ إذا كان حسب كقولك: بحسبك أن تقوم... مع خبر ليس، نحو قولك: ليس زيد بقاتم مع
خبر ما نحو قولك: ما زيد بقاتم.

- مع فاعل كفي كقولك: كفي بك شهيدا، في حالة كون كفي غير متعد بمعنى اكتفى.

- مع مفعول كفي عند بعضهم في الضرورة كقول الشاعر:

فَكْفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرَنَا حُبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ لَيْتًا (10)

- مع لفاعل في الضرورة كقوله:

لَمْ يَلْتَوِكَ وَ الْأَنْبَاءُ تُنْمِي بِمَا لَأَقَتْ لَبُونُ بَنِي زَيْدٍ (11)... (12)*

و القسم الثالث من أقسام حرف الباء عند المؤلف، فهو الذي يحتمل أن تكون فيه الباء زائدة و ألا تكون، و قد

(1) يونس 87 .

(2) رصف المبني 145 .

(3) المصدر نفسه 145 .

(4) سبأ 16 .

(5) رصف المبني 146 .

(6) المصدر نفسه 146 .

(7) المائدة 6 ، و قد بينها المؤلف كما يلي ﴿أَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ .

(8) رصف المبني 146، 147 .

(9) المصدر نفسه 147 .

(10) من [الكامل] و هو في الكتاب 105/2، و قد نسب لكعب بن مالك . انظر شرح شواهد المعنى 337/1 .

(11) من [الوافر] و هو لقيس بن زهير . انظر شرح شواهد المعنى 328/1 .

(12) رصف قبلي 147-149 .

استشهد على ذلك قائلا: "... نحو قوله تعالى ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ (1)، فيحتمل أن تكون الباء زائدة، و يكون التفسير تنبت للدهن، أي تخرجه، و يحتمل أن تكون الباء، باء الحال كأنه قال: تنبت شجرها و الدهن فيها، فتكون من المعاني التي ذكرنا أولا، و كذلك قول الشاعر:

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّخْرُصَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زوراءَ تَنْفَرُ عَنْ حَيَاضِ الدُّكَلَمِ (2)

و قول الآخر:

شَرِبْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعْتُ مَنَى لُجَجٍ خَضِرٍ لَهْنٍ نَنِيحٍ (3)

لن جعلنا الباء زائدة، في البيتين كان الماء مفعولا لشربت أو لشربنا، و لن كانت غير زائدة، فهي الظرفية أو التي للإصاق، فيها معنى التقيض، كما تقدم ففسر على هذه الثلاثة. (4)

و يورد ابن هشام لحرف الباء أربعة عشر معنى، رتبها ترتيبا مُتدرجا حسب الكثرة في الاستعمال و الدوران في كلام العرب، مستعينا بما بثته كتب الأصول و ملتفتا إلى عروض الكتب المتخصصة، عن طريق تقديم دلالة على أخرى، أو المجيء بدلالة جديدة أو تجاوز بعض الدلالات، لينتهي في الأخير إلى الاعتراف بأربعة عشرة معنى لهذا الحرف.

أولها : الإصاق

" قيل و هو معنى لا يفارقها، فهذا يقتصر عليه سيبويه. ثم الإصاق حقيقي كأمسكت يزيد إذا قبضت على شيء من جسمه، أو على ما يحبسه ... و مجازي نحو : مررت بزيد أي ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد، و عن الأخفش أن المعنى مررت على زيد، بتليل ﴿ وَ إِنْكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصِحِّينَ ﴾ (5). و أقول إن كلاً من الإصاق و الاستعلاء، إنما يكون حقيقيا إذا كان مُضنيا إلى نفس المجرور كأمسكت بزيد و صعدت على السطح، فإن للضى إلى ما يقرب منه فمجاز كمررت بزيد في تلويح الجماعة. (6)

و يواصل ابن هشام شرحه مفصلا و معقبا، على المواضع التي يلتقي فيها الحديث عن حرفي الباء و على، معتمدا على التكريرات التي تبقى المجال مفتوحا للبحث في المعاني، و الدلالات و من ذلك قوله :

" ... وَ لَقَدْ أَمَرُ عَلَى الْقَلْبِ يَمِينِي (7)

(1) المزمون 20 .

(2) سبق توثيقه في الفصل الثاني 88 .

(3) سبق توثيقه في الفصل الرابع 181 .

(4) رصف المبني 151 .

(5) الصلقات 137 .

(6) معنى اللبيب 137، و انظر معاني القرآن للأخفش 205/1 .

(7) و تلمحه: قَمَضْتُ ثَمْتُ قَلْتُ؟ لا يخفى من [الكامل] لرجل من بني سُلَول، و البيت في الكتاب 3/ 34، انظر شرح شواهد

المعنى 310/1، و شرح ليلت المعنى 289/2 .

إلا أن مررت به أكثر، فكان أولى بتغييره أصله، و يتخرج على هذا الخلاف، خلاف في المقدر في قوله :

تَمَرُّونَ التَّيَّارَ وَلَمْ تَعُوجُوا (1)

أهو الباء أم على (2)؟

و بعد إيراد هذا المعنى، ينتقل ابن هشام إلى شرح المعاني الأخرى للباء، متداركا للمعاني و الدلالات التي لم يذكرها الأوائل، ليقف من خلال متابعته لها على الفروق اللغوية الدقيقة التي عطف عنها الغنماء، لعنايتهم بالتفصيل النظري، أكثر من عنايتهم بالتدريب الاستقرائي للشواهد لكاشفة عن الدلالات اللغوية، و الفروق القائمة بينها من خلال وجوه استعمال حرف الباء.

و على الرغم من محاولة الزجاجي لمس دلالات حرف الباء و متابعتها، و عنابة الماقي باستقصائها و شرحها كلها، فإن محاولة الأول كانت مختصرة تنقصها الدقة و التمثيل التدريبي، أما عنابة الثاني فكان ينقصها الترتيب العملي و المقاربات الدقيقة، و تغليب المقدمات و المفاهيم على التدريب و التحليل.

ثانيها : التعدية

" و تسمى باء النقل أيضا، و هي المعاقبة في نصيب الفاعل مفعولا، و أكثر ما تعدي للفعل الفاعل، تقول في ذهب زيد ذهب يزيد، و أذهيته و منه ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ ﴾ (3) و قرئ ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ ﴾ و هي بمعنى القراءة المشهورة... و أما ﴿ تَنَبَّأَ بِالذَّنِّ ﴾ (4) فيمن ضم لوله و كسر ثالثة، فخرج على زيادة الباء، لو على أنها للمصاحبة... لو أن أثبت يأتي بمعنى ثبت كقول زهير :

رَأَيْتُ نَوِيَّ الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ، قَطِيبًا لَهَا حَتَّى إِذَا لَبِثَ لَبِثُ (5) * (6)

ثالثها: الاستعانة

" و هي الدخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم، و نجرت بالقنوط قيل و منه لبسمة، لأن الفعل لا يتلوى على الوجه الأكمل إلا بها... (7) "

رابعها: السببية

"... نَحْوُ ﴿ قَلَّمْتُمْ ظُلُمَتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعَجَلَ ﴾ (8)، ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾ (9) (10) "

(1) و تمامه: كَلَّمْتُمْ عَلَيَّ إِذْنِ حَرَامٍ من [الفر] لجرير، و هو في الديوان 516 برواية مختلفة، انظر شرح شواهد المعنى 311/1 و شرح أبيات المعنى 291/2.

(2) معنى اللبيب 138.

(3) البقرة 17.

(4) المؤمنون 20.

(5) من [الطويل] لزهير بن أبي سلمى، انظر شرح شواهد المعنى 314/1، و شرح أبيات المعنى 296/2.

(6) معنى اللبيب 138، 139.

(7) المعبر عنه 139.

(8) البقرة 54.

(9) العنكبوت 40.

(10) معنى اللبيب 139.

خامسها: المصاحبة

٤... نحو ﴿ اٰمِطْ سَلَامَ ۙ (١) اَنْي مَعَهُ، ۙ وَ لَقَدْ دَخَلُوْا بِالْكَفْرِ ۙ (٢)، وَ قَدْ اٰخْتَلَفَ فِي الْبَاءِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالٰى
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ۙ (٣)، فَعِيْلٌ لِلْمَصَاحِبَةِ، وَ الْحَمْدُ مَضَافٌ اِلَى الْمَفْعُولِ، اَيُّ فَسَبِّحْ حَامِداً لَهٗ، اَيُّ نَزَّهَةً عَمَّا
لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَ اَلْتَبَتْ لَهٗ مَا يَلِيْقُ بِهِ، وَ قَبِلَ وَ الْحَمْدُ مَضَافٌ اِلَى الْفَاعِلِ، اَيُّ سَبِّحْهُ بِمَا حَمْدُ بِهِ نَفْسُهُ، اِذْ لَيْسَ كُلُّ
تَنْزِيهِ بِمَحْمُودٍ، اَلَا تَرٰى اَنْ تَسْبِيْحَ الْمَعْتَزَلَةِ لِقَنْضٰى تَعَطُّيلِ كَثِيْرٍ مِنَ الصِّفَاتِ... (٤)

سادسها: الظرفية [اَنْ تَجِيءَ بِمَعْنَى فَيَا]

٥... نحو ﴿ وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَنِيٍّ ۙ (٥)، ﴿ وَ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۙ (٦) (٧)

سابعها: البدل

٦ كقول الحماسي

فَلَيْتَ اِلٰى يَهْمٍ قَوْماً اِذَا رَكِبُوا شَتَوْا الْاِعَارَةَ فُرْسَاناً وَ رُكْبَاناً (٨)

و انتصاب الإغارة على أنه مفعول لأجله (٩)

ثامنها: المقابلة

٧ و هي الداخلة على الأعوان نحو اِشْتَرَيْتَهُ بِثَلْفٍ، وَ كَلَّفْتَ اِحْسَانَهُ بضعف و قولهم هذا بذاك، و منه
﴿ اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۙ (١٠) (١١)

تاسعها: المجاوزة [اَنْ تَجِيءَ بِمَعْنَى عَنْ]

٨... فقيل: تختص بالسؤال نحو ﴿ فَلَسَّالٌ بِهٖ خَبِيرًا ۙ (١٢) بظليل قوله تعالى ﴿ يَسْتَلْقُونَ عَنْ اَنْبِيَائِكُمْ ۙ (١٣)،

(١) هود 48.

(٢) المائدة 61.

(٣) النصر 3.

(٤) معنى اللبيب 140، و انظر الكشف 294/4.

(٥) آل عمران 123.

(٦) القمر 34.

(٧) معنى اللبيب 141.

(٨) من [البسيط] لفريدين أنيف، انظر شرح شواهد المعنى 68/1، و شرح ليلت المعنى 303/2.

(٩) معنى اللبيب 141.

(١٠) النحل 32.

(١١) معنى اللبيب 141.

(١٢) الفرقان 58.

(١٣) الأحزاب 20.

و قيل لا تختص به، بإيل قوله تعالى ﴿يَسْعَىٰ نَارُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (1)، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ (2).

و جعل للزمخشري هذه الباء بمنزلتها في شققت السنام بالشفرة، على أن الغمام، جعل كالالة التي يمشق بها... (3)

عشرها: الاستعلاء

« نحو: ﴿مَنْ لَّنْ نَلْمُهُ يَقْطَرُ﴾ (4) بدليل ﴿هَلْ أَمْنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (5)، و نحو ﴿وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ (6)، بدليل ﴿وَ إِنْكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ (7) ... (8)

الحادي عشر منها: التبعيض

« لبيت ذلك الأصمعي، و الفارسي، و القتيبي، و ابن مالك قيل و الكوفيون، و جعلوا منه ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَدَ اللَّهِ﴾ (9)

و قوله:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ
مَنْى لُجَجٍ خُضِرَ لِهِنَّ نَبِيحُ (10)

وقوله:

شُرِبَ النَّزِيرُ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَمْرِجِ (11)

قيل، و منه ﴿وَ لَمْ تَسْجُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ (12)، و الظاهر أن الباء فيهن للإصاق، و قيل هي في أية الوضوء للاستعانة، و لن في الكلام حنفا، و قلبا، فإن مسح يتعدى إلى المزال عنه بنفسه، و إلى المزيل بالباء، فالأصل لمسحوا رؤوسكم بالماء، و نظيره بيت الكتاب:

(1) الحديد 12.

(2) الفرقان 25.

(3) معني اللبيب 141، 142، و انظر الكتاب 89/3.

(4) آل عمران 75.

(5) يوسف 64.

(6) قطنين 30.

(7) الصافات 137.

(8) معني اللبيب 142.

(9) الإنسان 6.

(10) سبق توثيقه في الفصل الرابع 484.

(11) و صدره: ﴿وَلَيْسَتْ فَأَمَّا أَخَذًا بِقُرُونِهَا مِنْ [الكلل] و هو منسوب لعدد من الشعراء منهم جميل بثينة، و عمر بن أبي ربيعة،

و عبيد بن لؤس، انظر شرح شواهد المعنى 320/1 و شرح لبيت المعنى 313/2.

(12) المائدة 6.

كَنَاحٍ رِيَشٍ حَمَامَةٍ تَجِدِّيَّةٍ وَ مَسَحَتْ بِالْبَلَّتَيْنِ عَصْفَ الْإِيْمِدِ (1) ... (2)

الثاني عشر منها: القسم

* و هو أصل أحرفه، و لذلك خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو: أقسم بالله لتفعلن، و دخولها على الضمير نحو بك لأفعلن، و استعمالها في القسم الاستعطافي نحو: بالله هل قام زيد، أي لسألك بالله مستحلفاً. (3)

الثالث عشر منها: الغاية

نحو: و قد أحسن بي (4) أي إلي، و قيل ضَمِنَ أحسن معنى لطف... (5)

الرابع عشر منها: التوكيد

* و هي الزائدة، و زيادتها في ستة مواضع... (6)

و قد رتب ابن هشام هذه المواضع ترتيباً عملياً على حسب الكثرة والأهمية في الاستعمال.

و إذا كان للملحق قد أولى عنايته بمواضع الزيادة دون تحليل و ضبط دقيق للدلالة، فإن ابن هشام قد استخلص من مواضع الزيادة دلالة مستقلة بنفسها، هي دلالة التوكيد؛ فاستقرأ شواهدا و تتبع استعمالها، مستعيناً بما جاء في كتب الأصول الأولى، لتدعيم أقواله... فعند سيبويه نجد إثبات هذه الدلالة في قوله: ...وقد تكون باء الإضافة بمنزلتها في التوكيد، و ذلك قولك: ما زيد بمنطلق، و لست بذهاب. أراد أن يكون مؤكداً حيث نفى الإطلاق و الذهاب، و كذلك كفى بالشيب لو ألقى الباء لستقام للكلام، و قال الشاعر عبد بني الحسحاس:

كفى الشيب و الإسلامُ للمرءِ ناهياً (7) ... (8)

و دلالة التوكيد إذن عند ابن هشام تأتي في ستة مواضع هي:

-
- (1) و هو من [الطويل] للخفاف بن ندية، من شواهد سيبويه انظر الكتاب 27/1، و شرح شواهد المغني 324/1 و شرح أيلوت المغني 330/2.
 - (2) مغني اللبيب 142، و انظر تلويل مشكل القرآن 575 و الآية 26. و لم ترد عند الفراء هذه الدلالة، انظر معاني القرآن 215/3.
 - (3) مغني اللبيب 143.
 - (4) يوسف 100.
 - (5) مغني اللبيب 143، 144.
 - (6) المصدر نفسه 144.
 - (7) و صدره: عميرة و دَعِ إِنِّي تَهَيَّزْتُ غَالِيًا من [الطويل] لعبد بني الحسحاس، و هو من شواهد سيبويه، انظر الكتاب 26/2.
 - (8) و شرح شواهد المغني 325/1، و شرح أيلوت المغني 340/2.
- (8) الكتاب 225/4

أحدها: الفاعل، وزيادتها فيه واجبة و غالبة و ضرورية...

ثانيها: المفعول

ثالثها: المبتدأ

رابعها: الخبر

خامسها: الحال المنفي

سادسها: التوكيد بالنفس و للعين... (1)

و قد كانت دلالة التوكيد آخر دلالة يعرض لها ابن هشام، الذي حذف بعض دلالات الملقى ممثلة في دلالة التعجب و التشبيه، و قد جعل ابن هشام معنى التعجب موضعاً من مواضع ورود الباء زائدة مع الفاعل على الوجوب إذ يقول: "... للفاعل، و زيادتها فيه واجبة و غالبة و ضرورية، فلواجبة في نحو: أحسن بزيد... (2)"

أما معنى التشبيه فلم يشر إليه ابن هشام و لم يثبت أو يحتج له، و قد أضاف معانٍ أخرى هي: المقابلة، و البديل و التبويض، و خص مواضع زيادة الباء بمصطلح دلالي مستقل هي دلالة التوكيد، و بذلك غلب على شروح و تحليلات ابن هشام كثير من ملامح الدرس اللغوي الدلالي الدقيق، من خلال توظيف المصطلحات و التسميات، إذ أنه وفق كثير في انتقاء المصطلح الدلالي المناسب لمعنى الحرف و استعماله.

4 - لم حرف عامل للجزم مما يختص بالفعل :

و هذا الحرف هو أحد حروف الجزم التي يقول عنها سيبويه:

"... و أعلم أن حروف الجزم لا تجزم إلا الأفعال، و لا يكون الجزم إلا في هذه الأفعال المضارعة للأسماء.

كما أن الجر لا يكون إلا في الأسماء... (3)"

و في موضع آخر يحدد معناها من بين سائر الحروف فيقول:

"و قد جاء على حرفين ما ليس باسم و لا فعل، و لكنه كالفاء، و الأول... لم و هي نفي لقوله فعل... (4)"

و "... لم أضرب نفي لضربت. (5)"

و المبرد يحدد عمل الحرف لم ومعناه قائلاً:

"... و هي نفي للفعل الماضي و وقوعها على المستقبل، من أجل أنها عاملة، و عملها الجزم، و لا جزم إلا

لمعرب، و ذاك قولك: قد فعل فتقول مكنياً لم بفعل، فإنما نفيت أن يكون فعل، فيما مضى... (6)"

(1) مغني اللبيب 144-150.

(2) المصدر نفسه 144.

(3) الكتاب 9/3.

(4) المصدر نفسه 220/4.

(5) المصدر نفسه 136/1.

(6) المقفّص 46/3.

أما الزجاجي فيكتفي بتحديد معناها باختصار دون ذكر عملها فيقول "لم لنفي الماضي بالمعنى كقولك: لم يخرج زيد." (1)

و يخص المألقي الحرف لم بذكر معناه و عمله، و أحكامه، فأضاف إلى الأقوال و القشروح السابقة بعض اللفظات البلاغية و القفوية؛ و الملاحظ أن الحديث عن هذا الحرف ائسم بالاختصار لعدم ورود مسائل و خلاقات لغوية في أثناء استعماله، على خلاف للحروف الأخرى التي مثلنا لها سابقا. و مما جاء به المألقي عن هذا الحرف قوله:

"أعلم أن لم حرف يجزم الأفعال المضارعة، على اختلاف أنواع الجزم و ينفيها، إلا أنها تخلص معنى للفعل المضارع إلى الماضي... (2)"

و من لفتات المألقي البلاغية الخاصة بهذا الحرف قوله موافقا للحديث عنه:

"وأعلم أن الهمزة اللاحقة لها تصير الكلام تقريراً أو توبيخاً، فإذا قال القائل لم نعم، لم أحسن إليك، فكان للمعنى: أشكر ما فعلت معك أو تنساه أو شبه ذلك، و من قال لن الهمزة لدخلة عليها للاستفهام فغلط أيضاً، إذ الاستفهام [يكون] عن شيء لا يعلمه المستفهم، بخلاف التقرير و التوبيخ، و تقدم ذلك في باب الهمزة." (3)

و مما لفتت المألقي للحرف لم، هذا الحكم الذي نفرد فيه برأيه فقال: "ولا يصح حذف لم و إبقاء الفعل بعدها مجزوماً، كما لا يصح حذفه، وإبقاؤها لا تنزلهما و ارتباطهما باختصاصهما ببعضهما ببعض، فصارا كشيء واحد فاعلمه." (4)

و يعرض ابن هشام دلالة هذا الحرف، و وجوه استعماله بأسلوب توضيحي و تحليلي يحتكم إلى الشواهد المتنوعة و مناقشتها و تخريجها فيقول:

"حرف جزم لنفي المضارع، و قلبه ماضياً نحو: لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (5) (6)"

و يواصل ابن هشام عرضه الوظيفي لهذا الحرف قائلا:

"و قد يرفع الفعل المضارع بعدها كقوله:

لَوْلَا فُورُسٌ مِنْ نَعِيمٍ وَ لَسَرَّتْهُمْ
يَوْمَ الصَّلَافِ لَمْ يُوفُونَ بِالْجَارِ (7)

ففيل ضرورة، و قال ابن مالك: لغة... (8)"

(1) حروف المعاني 8 .

(2) رصف المعاني (280) .

(3) المصدر نفسه 280 .

(4) المصدر نفسه 281 .

(5) الإخلاص 3 .

(6) معني اللبيب 365 .

(7) من [البسيط] قلته مجهول، انظر شرح شواهد المعني 674/2 و شرح فيل المعني 132/5 .

(8) معني اللبيب 365 .

و من خلال هذا العرض نكتشف عن مدى عناية ابن هشام بإيراد كل الأحكام و الاستعمالات الوظيفية الحرف، قبل ضبطها و نخرجها، إذ لا يتردد من الوقوف عند الضرورة الشعرية و اللغات، لأجل الوصول إلى الوجه الدقيق و الصحيح في الاستعمال. إنه يحاول أن يستنبط من الفروع القواعد الواردة في كتب الأصول السابقة، عن طريق رصد للشواهد المتنوعة في الموضع الواحد، فيستنتج من ذلك تبنيه لمنهج وظيفي يحكم فيه الشواهد قبل القواعد. و قد كانت إرادته في ذلك جعله الدرس اللغوي درسا غير جاهز يمتاز بالمرونة لا بالجمود، و من ذلك قوله مواصلا:

و زعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم **لَمْ نَشْرَحْ** (1)

وقوله:

في أي يومٍ من الموتِ **أَفَرُّ** أيومٍ لم يُقَدَّرْ لم يومٍ **قُدِّرَ** (2)

وخرجا على أن الأصل تشرحن و يقدرن ثم حذفت نون التوكيد للخفيفة، و بقيت الفتحة دليلا عليها، و في هذا شذوذاً توكيد لتنفى بلم، و حذف للنون لغير وقف، و لا ساكنين... (3) و يستمر ابن هشام في حديثه عن فضايها هذا الحرف و استعمالاته فيقول:

* و قد تفصل من مجزومها في الضرورة بالظرف كقوله:

فَذَلِكَ و **لَمْ** إذ **نَحْنُ** **امْتَرَيْنَا** **تَكُنْ** في الناس يدركك **الْمِرَّةُ** (4)

و قوله:

فَأَصَحَّتْ **مَعَانِيهَا** **فَقَارَأَ** **رُسُومَهَا** **كَانَ** **لَمْ** سوى أهل من **الْوَحْشِ** **تَوَهَّلَ** (5) (6)

و مثل هذا الوجه الاستعمالي تجاوزه الأوائل في التفعيد للنحو، و نظروا إليه من باب بعض الاستثناءات، التي لا يمكن اعتمادها إلا في أجناس كلامية غير محكمة، فعند سبويه نجد قوله:

* و مما لا تقدم فيه الأسماء الفعل، الحروف العوامل في الأفعال الجازمة، و تلك لم، و لعا، و لا التي تجزم الفعل في التنهي... فلا يجوز أن تفصل بينها و بين الأفعال بشيء، كما لم يجوز أن تفصل بين الحروف التي تجر، و بين الأسماء بالأفعال... و لا يجوز أن تفصل بينها و بين الفعل بحشو، كما لا يجوز لك أن تفصل بين الجار و المجرور بحشو إلا في شعر. (7)

(1) اشرح 1.

(2) من [الرجز] للحارث بن المنذر الجرمي شهد حادثة صفين، انظر شرح شواهد المغني 674/2، و شرح أبيات المغني 134/5.

(3) معنى الليب 365. انظر المحتسب 418/2، و انظر تخريج قراءة في الكشف 299/4.

(4) من [قوافر] قلته مجهول، انظر شرح شواهد المغني 678/2، و شرح أبيات المغني 142/5.

(5) من [الطويل] الذي الرمة، انظر شرح شواهد المغني 678/2، و شرح أبيات المغني 144/5.

(6) معنى الليب 366، 367.

(7) الكتل 111/3.

و يستمر ابن هشام في عرض جميع الوجود و الاستعمالات السابقة التي يرد فيها الحرف لم، مبيّنا حدود استعمال كل سياق، إذ يقول في الأخير

«... و قد يليها الاسم معمول لا فعل محذوف يفسره ما بعده كقوله:

طَلَبْتُ فَقِيرًا ذَا غَيٍّ ثُمَّ يَلْتَهُ
فَلَمْ ذَا رَجَاءٍ لَقَهْ غَيْرَ وَاجِبٍ (1) (23)

فإذا كان الملقى لا يجيز حذف الفعل مع لم، فإن ابن هشام يجيز ذلك في الضرورة الشعرية، لتي عدها وجها من وجوه الاستعمال اللغوي التي لم يعرض لها الملقى، و هو الذي أنبته إلى بعض اللفظات البلاغية التي تخص هذا الحرف، مما لا نجده عند ابن هشام الذي وظف القواعد الأصولية توظيفا عمليا، فاستخلص منها استطرادات و فروعاً متنوعة، متأملة للصيغ والبنى و اللفظات الصوتية، الممثل لها بالشواهد المتنوعة. و قد فاده هذا الأمر إلى دعم تلك القواعد و إثباتها بأسلوب تحليلي دقيق.

(1) من الطويل | فأنله مجهول، انظر شرح شواهد المعنى 679/2 و شرح أبيات المعنى 144/5.

(2) - مني اللبيب 367 -.

المبحث الثالث

الظواهر الدلالية البارزة في عرض حروف المعاني عند ابن هشام و تفسيرها

- 1- ظاهرة التفسير القرآني في أحاديث ابن هشام
- 2- ظاهرة علاقة حروف المعاني بالأحكام الشرعية عند ابن هشام
- 3- ظاهرة تنالوب الحروف عند ابن هشام [بالتطبيق على حروف الجر]

ظواهر كثيرة يستوقف الباحث في حروف المعاني عند ابن هشام، و هذه الظواهر تُعدُّ من أسس و ضوابط تعيين منهج ابن هشام، و تميزه عن المناهج السابقة، في عرض دلالات الحروف و معانيها. فقد كانت تحليلاته و شروحه مفاتيح مُبَيَّزة للولوج بواسطتها إلى عوالم كاشفة عن كثير من أمور التفسير و البلاغة و الفقه، تميزت بها المادة اللغوية في باب المفردات. فالمادة التي احتواها هذا الباب لم تكن قاصرة على عرض القواعد و الأحكام، بل هي منار لفضايا كثيرة و بارزة، تنفع للباحث إلى توكي التجديد، و ملامسة الصواب، و استعمال الدليل، و إدراك الغاية من مناقشة الشواهد، و ضبط الأحكام و تفسيرها. و لعل أول ظاهرة تتلمسها في عرض ابن هشام لحروف المعاني، تحريره الذنوب للمادة القرآنية و تتبعه لفك ما لُشك منها، من خلال المعارف التي كان يعدها، فكانت بذلك ظاهرة لتفسير القرآني في أحاديثه يَمَّا تفرد به عن غيره من السابقين له في هذا المضمار، ساعده على ذلك معرفته بالتفسير، و ممارسته له. كما أثرت معرفته بالفقه و درايته بهذا العلم (1) في إثبات علاقة مادة حروف المعاني بالأحكام الشرعية، فبرزت بوضوح الظاهرة الثانية في عرضه، و المتمثلة في علاقة حروف المعاني بالأحكام الشرعية. أما ظاهرة تناوب حروف المعاني في الوظيفة، و مناقشة ابن هشام لها فقد كشفت عن معرفته اللغوية الواسعة الدقيقة في استيعابها و تحليلها و إقناع طالبيها بتحرري مواضعها، و متابعتها بالدليل و الحجة، مما يبعده عن إغفائها و تجاوزها لأهميتها و خطورتها.

والحقيقة أنَّ هذه الظواهر تستدعي بحثاً منفرداً لأهميتها، و لكن الذي يعيننا نحن هنا هو ما كان له علاقة بيئة بالمنهج، و لذلك ارتأيت أن اكتفي بالتمثيل لهذه الظواهر كاشفة بالدليل عن الخصائص الداخلية لمنهج ابن هشام في عرض حروف المعاني و دلالاتها، من خلال القضايا أو الظواهر التالية:

(1) انظر ما جاء في المدخل سلفاً- عن التكوين العلمي لابن هشام 54.

1 ظاهرة التفسير القرآني في أحاديث ابن هشام :

كان ابن هشام في باب المفردات من كتابه المعني كثير الاستشهاد بالآيات شعرية، بل كانت مادة الشواهد الغرامية، مادة عزيزة و مستخدمة، تطلبها مسجحه النقيض في تخريجاته اللغوية لمعاني و ضوابط الحرف أو المفردة الواحدة. لقد كان ينخذ عرض المعنى الدلالي أو الوجه الاستعمالي للحرف خططا يوصله إلى جميع الاستعمالات القرآنية، التي ارتبطت معانيها بدلالة و استعمال الحرف أو المفردة للمتحدث عنها، و من ذلك قول ابن هشام في موضع دلالة من على البذل:

الخامس: البذل ، نحو ﴿ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ (1) ، ﴿ لَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ (2)، لأن الملائكة لا تكون من الإنس، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ (3) أي بدل طاعة الله، أو بدل رحمة الله... (4)

و عناية ابن هشام بفك ما أشكل من معاني القرآن الكريم، كان دافعا قويا له لوقوفه لطويل مفسرا لكثير منها، و موجهها للأفهام فيها، ففي موضع حديثه عن ما للحرفية ينشغل ابن هشام بتفسير قوله تعالى ﴿ لِيُجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (5) قلنا:

و ليست هذه بمعنى الذي لأن الذي سقاء لهم للغنم، و إنما الأجر على السقي الذي هو فعله، لا على الغنم، فإن ذهبت تفكر أجر السقي الذي سقيته لنا فذلك تكلف لا محوج إليه، و منه ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (6). ﴿ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ (7)، و كذا حيث اقترنت بكاف التشبيه بين فعلين متماثلين... (8)

فالتعليل النحوي و اللغوي عند ابن هشام، كان سببه توجيه الآيات البينات و تفسيرها، و بهذا يتضح مدى ما كان لابن هشام من إرادة لغوية مجتهدة، في تحقيق الغاية التي نشدها من وضع كتابه هذا إذ يقول: فإن أولى ما تفرحه للقرايح، و أعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل، و يتضح به معنى حديث نبيه المرسل فإتھما للوسيلة إلى السعادة الأبدية، و للتريفة إلى تحصيل المصالح الدنيوية و الدنيوية. (9) فغاية ابن هشام هي خدمة الكتاب الكريم بما حصله من تكوين و ثقافة في هذا المجال، إذ أن ثقافته التفسيرية و درايته بأصول علم التفسير، نلمحها أيضا في معرفته بمواقع الآيات و مسمياتها، من ذلك

(1) الآية 38 .

(2) الخرف 60 .

(3) ال عمران 10 .

(4) معنى اللبيب 422 .

(5) القصص 25 .

(6) البقرة 10 .

(7) البقرة 13 .

(8) معنى اللبيب 400 .

(9) المصدر نفسه 12 .

قوله مثلاً في موضع حديثه عن أن الله دليلاً.

أو عن آية المشيئة (1) بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون، إذ أخبروا عن المستقبل، أو بأن أصل ذلك الشرط. ثم مسار يُذكر للتبرك، أو أن المعنى اتخذان جميعاً إن شاء الله ألا يموت منكم أحد قبل الدخول، وهذا الجواب لا يدفع السؤال، أو أن ذلك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين أخبرهم بالتمام، فحكي الله لنا ذلك، لو من كلام الملك الذي أخبره في المنام. (2)

لقد كان ابن هشام مالكا لأدب التفسير (3) التي أوجبها للعلماء على المفسر، فقد عد هؤلاء علم معاني الأدوات والحروف من أروع التفسير التي لا يمكن أن يستغني عنها المفسر. (4)

ولعل إجراء مقارنة مختصرة بين ما قاله بعض المفسرين، وما جاء به ابن هشام من خلال بعض الأمثلة، يعد لكاشف لنا عن شخصية ابن هشام المفسرة بمنهجها و عرضها المتميز، فأحاديثه في التفسير لا تقل قيمة عن أحاديث الطبري و الزمخشري و أبي حيان في تفسيرهم .

(1) يعني قوله تعالى ﴿لَتَنفَخَنَّ الْفُجَارُ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينِينَ﴾ الفصح 27 .

(2) معنى اللبيب 40 .

(3) ومنها اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبيان، والبيان، والفرائد، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأبواب النزول، والفصص... فنظر كشف الظنون 433/1 .

(4) فنظر الدرر في علوم القرآن 175/4 و كشف الظنون 1729/2 .

— الحديث عن ثم و إفاندها للترتيب في قوله تعالى م خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... ٤ (١)

الطبري	الزمخشري	أبو حيان	ابن هشام
٤ ... يقول تعالى نكحه خلقتكم	٤ ... فإن قلت ما وجه قوله	٤ ... أوجننا من نفس واحدة،	٤ ... و أما للترتيب فختلف
أيها الناس من نفس واحدة يعني	ثم جعل منها زوجها ما	و هي آدم عليه السلام و ذلك	قوم في أعضائها بإياه تسكن
من آدم ثم جعل منها زوجها	يعطيه من معنى التراخي قلت:	أن حواء على ما روي خلقت	بقوله تعالى يَخْلَقُكُمْ مِنْ نَفْسٍ
يقول: ثم جعل من آدم وزوجه	هما إيمان من جهلة الآيات التي	من آدم فقد صار خلفا من نفس	واحدة، ثم جعل منها زوجها
حواء، وذلك أن الله خلقها	عدها دال على وحدانيته	واحدة لوساطة حواء، و قيل	و الجواب عن الآية الأولى
من ضلع من أضلاعه،	و قدرته تسبب هذا الخلق القائل	أخرج ذرية آدم من ظهره	من خمسة أوجه:
و بنحو الذي قلنا في ذلك	للحصر من نفس آدم، و خلق	كأنه ثم خلق بعد ذلك حواء.	الحكما: أن العطف على
قال أهل التأويل ... (2)	حواء من قصيراه إلا أن	فعلى هذا كان خلفا من آدم	محذوف أي نفس واحدة،
	إحداها جعلها لله عادة	بغير واسطة. و جاء على	أنشأها ثم جعل منها زوجها.
	سيرة و الأخرى لم تجربها	هذا القول على وضعها،	الثاني: أن العطف على
	العادة، و لم يخلق أنثى غير	ثم للمهلة في الزمان، و على	واحدة، على تأويلها بالفعل.
	حواء من قصيري رجل،	القول الأول يظهر أن خلق	أي من نفس توحدت أي
	فكنت أنخل في كرمها آية	حواء كان بعد خلقها و ليس	تفرقت، ثم جعل منها
	و أجنب لعجب السامع،	كذلك، ثم جاء لترتيب الأخبار	زوجها .
	فقطعها بتم على الآية الأولى	كأنه قيل ثم كان من أمره قيل	الثالث: أن لفزيه أخرجت
	للدلالة على مباينتها لها فضلا	ذلك أن جعل منها زوجها	من ظهر آدم عليه السلام
	و مريه و تراخيا عنها فيما	ليس للترتيب في زمان	كأنه ثم خلقت حواء من
	يرجع إلى زيادة كونها آية فهو	الجعل، و قيل ثم معطوف	قصيراه.
	من التراخي في الحال	على الصفة التي هي واحدة	الرابع: أن خلق حواء من آدم
	و المنزلة لا من التراخي	أي من نفس وحدت أي	إما لم تجر العادة بمثله جبر
	في الوجود. (3)	تفرقت. (4)	بتم لهذا بترتب و تراخيه في
			الإعجاب، و ظهور الفترة، لا
			لترتيب الزمان و تراخيه.

(1) الزمر 6.

(2) تفسير الطبري 124/23.

(3) الكشاف 388/3.

(4) البحر المحيط 416/7.

شاع لابن هشام			
الخامس: أن ثم لترتيب الإخبار لا لترتيب الحكم و أنه يقال بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي ثم أخبرك لي للذي صنعت أمس أعجب. و الأجوبة السابقة أتبع من هذا الجواب، لأنها تصحح الترتيب و المهلة، و هذا يصحح الترتيب فقط، إذ لا تؤخر بين الإخبارين، م اكن «يراد الأخير أهم» لأنه يصح أن يجاب به عن الآلة ... (1)			

— الحديث عن في و إفادتها معنى على في قوله تعالى ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُنُوع النَّخْلِ﴾ (2)

الطبري	للزمخشري	أبو حيان	ابن هشام
«... و قوله ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُنُوع النَّخْلِ﴾ يقول: وَأَصْلِبْنَكُمْ عَلَى جُنُوع النَّخْلِ كما قال الشاعر: م سَلُوا لَمَبْهَرِي جَذْعَ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَشَتْ نَبِيْلٌ إِلَّا بِأَجْدَعَا (3) يعني على جذع نخلة، و إنما قيل في جنوع لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها ثم يصير عليها، فيقال صلب عليها» (4)	«... شبه تمكن المصلوب في الجذع يتمكن الشيء الموعى في وعاءه فلذلك قيل في جنوع النخل ...» (5)	«... و لرد بالفتطيع و التصليب في الجنوع التمثيل بهم و لما كان الجذع مقرا للمصلوب و اشتمل الطرف على المظروف عُدِي بني في الراء... و قيل في معنى على، و قيل نفر فرعون الخشبة و صلبهم في داخله فصار ظروها لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعا و عطشا و من تعديه صلب بالقر الشاعر: و م سَلُوا لَمَبْهَرِي جَذْعَ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَشَتْ نَبِيْلٌ إِلَّا بِأَجْدَعَا (6)	«و الرابع لاستعلاء نحو: ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُنُوع النَّخْلِ﴾ أو قال: م سَلُوا لَمَبْهَرِي جَذْعَ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَشَتْ نَبِيْلٌ إِلَّا بِأَجْدَعَا أو قال آخر: م سَلُوا لَمَبْهَرِي جَذْعَ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَشَتْ نَبِيْلٌ إِلَّا بِأَجْدَعَا (7) (8)

(1) معنى اللبيب 158 .

(2) طه 71 .

(3) سبق توثيقه في الفصل الثاني 66 .

(4) تفسير الطبري 141/16 .

(5) الكشف 546/2 .

(6) البحر المحيط 261/6 .

(7) و تملسه: يحدو فعال المسبب ليس بتوهم من [الكامل] لاعتراء، انظر شرح أيلت المعني 65/4 .

(8) معنى اللبيب 224 .

الحديث عن في و توجيه الرأي العاقل بإفادتها لمعنى الباء في قوله ﴿ فاطرُ السمواتِ و الأرضِ جعلَ لكم من أنفسكم أزواجاً ليتمَّ الأنعامَ أزواجاً و يذروكم فيه ﴾ (1)

الطبري	الزمخشري	أبو حيان	ابن هشام
«... يذروكم فيه يقول:	«... يذروكم، يكثر كم.	«... يذروكم فيه قال ابن عباس	و الخامس: مرادة الباء
يخلقكم فيما جعل لكم من	يقال نرا الله الخلق يثهم	أي يجعل لكم فيه معيشة تعيشون	كقوله:
الأنعام، و قد اختلف أهل	و كثر هم و قدر ...	بها، و قال ابن زيد يذروكم فيه	و يركب يوم لا توقع يثا هو من
التأويل في معنى قوله	و هو أن جعل للناس	و هو قريب من القول قبله.	سبون فرعون الأماير، فكثر (6)
يذروكم فيه في هذا الموضع	الأنعام أو و اجا حتى كان	و قال مجاهد يخفكم في بطون	و ليس منه قوله تعالى
فقال بعضهم معنى ذلك	بين ذكورهم و إناثهم	الإنث. و قال ابن زيد يذروكم	يذروكم فيه خلافاً للأعصه،
يخلقكم فيه ... و قال آخرون	الفراد و التناسل، و الضمير	هما خلق من السموات و الأرض	بل هي للتعليل، أي يكثر كم
بل معناه يعيشكم فيه ... و هذان	في يذروكم يرجع إلى	و قال الزجاج يكثركم به أي فيه	بسبب هذا الجعل، و الأظهر
فقران و إن اختلفا في اللفظ	المخلصين ...	أي يكثر كم في خلقكم أو و اجا.	قول الزمخشري إنها للطبري
من فائليهما فقد يحتمل توجيههما	فإن قلت ما معنى يذروكم	و قال علي بن سليمان ينقلكم من	المجازية قال: جعل هذا
في معنى واحد و هو أن يكون	في هذا التنبير و خلافاً	حال إلى حال، و قال ابن عطية	التنبير كالمنع أو المعين
القتل في معناه يعيشكم فيه لرد	يذروكم به قلت، جعل هذا	الضمير في فيه للجعل أي يخلقكم	اللبث مثل ﴿ و لكم في
بقوله ذلك يحييكم يعيشكم	التنبير، كالمنع و المعين	و يكثر كم في الجعل كما نقول	القصاص حياة ﴿ (7) و (8)
به كما يحي من لم يخلق	اللبث و التكثر، ألا تراك	كلمت ربنا كلاماً أكرمه فيه	
بنكوبه يثا... (2)	يقول للحيون في خلق	و قال و لقله تقرأ تريد على	
	الأزواج تكثر، كما قال	لفظة خلق معنى آخر، ليس في	
	تعالى ﴿ و لكم في	خلق و هو توفي الطليقت	
	القصاص حياة ﴿ (3) ... (4)	على من الزمان (5)	

و نخلص من خلال هذه المقارنة إلى لمس نزوع ابن هشام للوضوح إلى تتبع كثير من المعاني القرآنية

(1) السورى 11 .

(2) تفسير الطبري 918/25.

(3) البقرة 179.

(4) الاكتشاف 462/3.

(5) البحر المحيط 510/7.

(6) من [الطويل] لزيد الخيل الطائي، انظر شرح أبيات المضي 73/4.

(7) الآية السليفة .

(8) معنى الليب 224 .

التي عرّضت لها كتب التفسير، و قد اتخذ ابن هشام الحروف مفاتيح لإثارتها من جديد، مُغلباً في ذلك الدليل العقل على الدليل النقلي، فاستن لنفسه منهجاً في التفسير عن طريق رصد و توجيه الأدلة و الشواهد المتنوعة التي أوردها و ناقشتها. و لذلك لم تكن تحليلاته و شروحه أمراً مقصوداً لذاته، و إنما كانت وسيلة للتفسير، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، كما يحاول أن يوفق بين ما ثبت في التفسير، و بين المعارف اللغوية، بحيث يزيل ما يُؤمُّ من التناقض أو الاختلاف بينهما.

2 ظاهرة علاقة حروف المعاني بالأحكام الشرعية عند ابن هشام :

إن من أهم الظواهر التي تسترعي انتباه الدارس لحروف المعاني في المعنفات التي أقرت لها الحديث، مدى ارتباط هذه الحروف بتخرجات شرعية، تضمنتها كتب الأصول*، بل إن هناك من كتب الأصول المختلفة (1) ما عرض لكثير منها مع التنبيه إلى ضرورة معرفتها، و التقه فيها (2). و قد أشار إلى هذا الأمر السيوطي في قوله: "...أعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، و لهذا يختلف الكلام، و الاستنباط بحسبها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا وَ إِنَّاكُمْ لَعَلَىٰ هَدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (3) فاستعملت على في جانب الحق، و في جانب الضلال، لأن صاحب الحق مستعمل، بصرف نظره كيف شاء، و صاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام مخفض لا يدري أين يتوجه... (4)

و من الأمثلة الواضحة على اختلاف الاستنباط بحسب اختلاف استعمال حروف المعاني، هذه الرواية التي يسوقها للفطحي عن الكسائي حينما يقول: "...أما قوله: طالق طالق طالق، فواحدة، لأن الثنتين تأكيد، كما تقول: أنت قائم قائم قائم، و أنت كريم كريم كريم، و أما قوله: أنت طالق لو طالق لو طالق، وقعت في الأولى التي تتيقن، و أما قوله: طالق ثم طالق ثم طالق، فنلاث لأنها نسق، و كذلك طالق و طالق و طالق (5)

إن تخرير الحكم الشرعي في الرواية السابقة، متوقف بالدرجة الأولى على كيفية استعمال الحروف المعتمدة في جملة الطلاق، و لهذا السبب عني جمهور علماء الأصول بعقد مباحث في حروف المعاني. و ابن فارس كان محققا حينما قال: "رأيت أصحابنا من الفقهاء، يضمون كتبهم في أصول الفقه حروفا من حروف المعاني (6). فحاجة للفقيه إلى تستند: "...إلى معرفتها لكثرة وقوعها في الدلائل (7). و لذلك فهو ملزم بمعرفتها كما يرى ابن حزم، حينما يقول: "...إنه لابد للفقيه أن يكون نحويا لغويا، و إلا فهو ناقص، و لا تجل له أن يفني... (8)

فالنصوص الشرعية لا يمكن فهمها فهما صحيحا، إلا إذا فهمت معاني تلك الحروف التي لا بد أن يخضع استعمالها و توظيفها، لضبط دقيق و فهم عميق، مما يتعين على الأصولي أن يقف عنده طويلا، لاستنباط الحكم الشرعي، الذي يلزم به غيره.

* و أعني بها كتب أصول الفقه.

(1) و منها كتب الأحكام في أصول الأحكام للأمدى 85-89، و المنحول من تطبيقات الأصول لأبي حامد الغزالي 79-88.

(2) فنظر حروف المعاني بين دقائق النحو و لطائف الفقه د/ محمود سعد 13.

(3) سبأ 24.

(4) الإتقان في علوم القرآن 145/1.

(5) إنباء الرواة على إنباء النجاة 261/2.

(6) الفصاحي في فقه اللغة 125.

(7) الإنباه في شرح المنهاج للسبكي و ولده 218/1، و انظر المحصول في علم أصول الفقه للزبي 507/1.

(8) الأحكام في أصول الأحكام 47/1.

وان سألني ذلك، إلا بصيغة أبعاد معاني تلك الحروف، لتحديد المعنى المعهود والمراد، وهذا ما وقفنا عليه في مواضع كثيرة بالباب الأول من كتاب معني اللبيب لابن هشام، الذي شرح فيه دلالات حروف المعاني فعاده شرحه وتفسيره الدقيق لها إلى استنباط الأحكام في كثير من الأدلة الشرعية، التي مثل لها عن طريق تلك الحروف، ومن ذلك قوله في موضع حديثه عن أو وإفادتها معنى التخيير: ^(١) والثالث: التخيير وهي الواقعة بعد الطلب، وقيل ما يمنع فيه الجمع نحو تزوج هذا أو أختها وخذ من مالي ديناراً أو درهما فإن قلت: فقد مثل العلماء بابتي الكفارة ^(٢) و الفدية ^(٣) للتخيير مع إمكان الجمع قلت: يمنع الجمع بين الإطعام، والكسوة، والتحرير ثلاثي كل منهن كفارة، وبين الصيام والمسقة، والتسك اللاتي كل منهن فدية، بل تقع واحدة منهن كفارة أو فدية والباقي قرينة مستقلة خارجة عن ذلك ^(٤) وعن مجيء أو بمعنى إلا يقول:

^(٥) والثامن: لن تكون بمعنى إلا في الاستثناء، وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار إن كقولك لا تأكلنّه أو يسلم وقوله:

و كُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ فَنَاءَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُوءَئَهَا لَوْ تَسْتَعِيمَا ^(٦)

وحمل عليه بعض المحققين قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ^(٧) ففرد ﴿تَفْرِضُوا﴾ منصوباً لأن مضمره لا مجزوماً بالمعطف على ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ لأن لا يصير المعنى لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء لأن طلقتموهن في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين، مع أنه إذا انتفى الفرض دون الميسر لزم مهر المثل، وإذا انتفى الميسر دون الفرض لزم نصف المسمى، فكيف يصح نفي الجناح عن انتفاء أحد الأمرين؟ ولأن المطلقات المفروض لهن قد ذكرن ثانياً بقوله تعالى ﴿وَأِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية وترك ذكر الممسوسات لما تقدم من المفهوم، ولو كان ﴿تَفْرِضُوا﴾ مجزوماً لكانت الممسوسات والمفروض لهن مستويين في الذكر، وإذا قدرت أو بمعنى إلا خرجت المفروض لهن من مشاركة الممسوسات في الذكر... ^(٨)

(١) في الكفارة: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِالْفَلَاخِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُم بِمَا عَقَلْتُمُ الْإِيمَانَ، فَكَلَّوْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَّيْنُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ يَمْسُوهُمْ أَوْ يُعْرِضُوا رَقِيَةً...﴾ المائدة ٨٩.

(٢) آية الفدية: ﴿وَلَا تَكْفُلُوا زَوْجَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾ البقرة ١٩٦.

(٣) معنى اللبيب ٨٨، ٨٧، ونظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٥/٦، ٢٧٦ و ٣٨٤/٢.

(٤) من [الواهر] لأبي الأعجم، وهو من شواهد حيوية نظر الكتاب ٤٨/٣، وقد رواه البغدادي برفع تستقيم، النظر شرح أبيات المعني ٧٠/٢.

(٥) البقرة ٢٣٦، ٢٣٧، وتحتها ﴿وَمَمْسُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْبِرِ قَدْرَهُ مَنَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ، وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ لَهِنَّ فَرِيضَةٌ لِنِصْفِ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يُعْطُونَ أَوْ يُعْطُوا الَّذِي يَبْدُو عُقْدَةُ النِّكَاحِ...﴾.

(٦) معنى اللبيب ٩٤، ٩٣، ونظر الجامع لأحكام القرآن ١٩٦، ١٩٧/٣.

بأن ابن هشام الأحكام الشرعية المستنبطة من الشواهد المتسبقة على مناقشته و تفسيره لمعنى الحرف و دلالاته، معتمداً في ذلك على توخي الأداة و العال التي هي مناط الحكم الذي خلص إليه، عن طريق ضبط معنى الحرف و استعماله، إذ يقول في موضع آخر من مواضع استعمال أو:

أو الناسع أن تكون بمعنى إلى و هي كالتي قبلها (1) في انتصاب المضارع بعدها بأن مضمرة نحو لأكرمك أو تقضيني حقي و قوله:

لَأَسْتَهْلِكَ الصَّعْبَ أَوْ أَنْزِلَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَاحِبِ (2)

و من قال في أو أو تفرضوا (3) أنه منصوب جواز هذا المعنى فيه، و يكون غاية لنفي الجناح، لا لنفي المسير، و قيل: أو بمعنى أو أو (4)

و هكذا يتعين من خلال تفسير معنى الحرف أو و تحديد استعمالاته، تحري ابن هشام الدقيق للمعاني و الدلالات الشرعية القائمة عليه، و التي انقضت من موضع استعمال هذا الحرف الوقوف عليها، و على أحكامها، كما هو الحال بالنسبة لحروف المعاني الأخرى، فمن ذلك قوله في موضع دلالة الباء على التبعيض:

فَقِيلَ رَ مِنْهُ بِرَوْ لَفْتَحُوا بِرَوْوِيكُمْ (5) و الظاهر أن الباء فيهن للإلصاق، و قيل: هي في آية الوضوء للاستعانة، و إن في الكلام حذفاً و قلباً، فإن مسح يتعدى إلى المزلق عنه بنفسه، و إلى المزلق بالباء، فالأصل امسحوا رؤوسكم بالماء. و نظيره بيت الكتاب (6):

كُنُوجَ رِيَشٍ حَمَامَةٍ نَجْدِيَّةٍ وَ مَسَحَتْ بِالثَّنَيْنِ عَصَفَ الْإِيمِ (7)

يقول: إن لثانك تضرب إلى سمرة، فكانك مسحها بمسحوق الإثم، فقلب معمولي مسح... (8)

و في ضوء هذه الأمثلة نخلص إلى القول بأن ابن هشام قد استطاع أن يحقق غايته التي نشدها في مقامة مؤلفه حين قال: "...فإن أولى ما تقترحه للقرآن، و أعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل، و يتضح به معنى حديث نبيه المرسل..." (9)

و إذا كانت غاية ابن هشام من مصنفه هي ما ذكره إذن، فليس غريباً أن يكون بلبه الأول في المفردات هو عمدة كتابه، و ليس مستبعداً أيضاً أن يلجأ فيه إلى التعليل و الاستنباط.

(1) أي مجيء أو بمعنى إلا و قد مرت معنا.

(2) من [الطويل] قاله مجهول، انظر شرح أبيات المعنى 74/2.

(3) البقرة 236 و قد مرت معنا.

(4) مغني اللبيب 94.

(5) المائدة 6.

(6) و يقصد به كتاب سيبويه.

(7) سبق توثيقه في هذا الفصل 214.

(8) مغني اللبيب 143، و انظر الجامع لأحكام القرآن 88/87/6.

(9) المصدر نفسه 12.

3. ظاهرة تناوب الحروف عند ابن هشام [بالنظير على حروف الجر]:

إن ظاهرة تناوب الحروف في الوظيفة الدلالية من أهم الظواهر اللغوية التي تستوقف الدارس لحروف المعاني عند ابن هشام. وهذه الظاهرة برزت بقوة في الباب الأول من كتابه المعاني، و فحواها يقوم أساسا على إشغال الحرف معنى حرف آخر، أو إيراد الحرف الواحد في صور دلالات واستعمالات حروف آخر (1). فعند هذا الأمر إشارة لكولم للغة، و تجلية لأسرارها، و كشفًا عن سر جمالها، و إمكاناتها التعبيرية، و في ذلك يقول ابن جني:

«و وجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا، لا يكاد يُحاط به، و لعلّه لو جمع أكثره [لا جميعه] لجاء كتابا ضخما، و قد عرفت طريقه، فإذا مر بك شيء منه، فتقبله و انس به، فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى التمس بها، و الفقاها فيها...» (2)

فالوقوف إذن على هذه الظاهرة منسرب من صروب النغمة في اللغة و فهمها فهما عميقا و دقيقا، و إذا كان المجال هنا لا يسعنا لاستعراض ظاهرة التناوب من حيث حصر جميع حروفها، فقد ارتأيت أن اكتفي بالتمثيل لها بطلقة حروف الجر التي تمثلت فيها هذه الظاهرة بوضوح، لكثرة دوران هذه الحروف في الكلام العربي. لقد كان لهذه الظاهرة نصيب كبير في إبراز وجوه الخلاف بين مترسني للبصرة و الكوفة، و لم يزد ذلك للخلاف إلا أن يعبر عن مدى ما اكتسبته اللغة العربية من مرونة و من ثراء، في اتساع المعاني و الألفاظ. فسيبويه يرى أن معاني و دلالات الباء للجار تعود جميعها إلى المعنى الأصلي لها و هو الإصاق... (3) فتسع من هذا في الكلام فهذا أصله. (4)

أما المبرد، فيتساهل نسبيا في قبول هذه الظاهرة من دون أن يردّها إلى علتها أو تفسيرها، و ربما قصد من خلال شواهد التي مثل بها، الرصد لا الجمع. و من ذلك قوله: ... و يقال من الله لا تقطن، و من ربي، أبذل من من الباء التي في قولك: بالله لا تقطن، و بربي لا تقطن، كما تقول: فلان في الموضع و بالموضع فيدخل الباء على في و كذلك دخلت من على الباء... (5)

و لقد استطاع ابن سراج أن يعلّل مذهب البصريين في ظاهرة تناوب حروف الجر فقال: «... و اعلم أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تعاربت للمعاني، فمن ذلك الباء: تقول فلان بمكة و في مكة، و إما جازا معا لأنك إذا قلت فلان بموضع كذا و كذا. فقد خبرت عن اتصاله و اتصافه بذلك الموضع، و إذا قلت في موضع كذا، فقد خبرت بقي، عن احتوائه إياه، و إحاطته به...» (6)

(1) نظر مجل فرائد أبي عينة 14/1 .

(2) المصالح 310/2 .

(3) الكتاب 217/4 .

(4) المقطوب 331/2، و نظر 319/2 .

(5) الأصول في النحو 414/1 .

و لكن للكوفيين وعلى خلاف البصريين قبلوا هذه الظاهرة على ظاهر استعمالها، فتوسعوا في الاحتجاج لها. و يأتي ابن جني ليعضد حجوز هذه الظاهرة عند البصريين، فيُعَلِّها قائلا: ^١ اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، و كان أحدهما يتعدى بحرف و الآخر بأخر، فإن العرب، قد تتسع فتوقع أحد الحرفيين موقع صاحبه لئلا يأن هذا الفعل في معنى ذلك، فذلك جيء معه بالحرف للمعتاد مع ما هو في معناه، و ذلك كقول الله عز اسمه ﴿وَأَحَلَّ لَكُم كَلِمَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (١)، و أنت لا تقول رفثت إلى المرأة، و إنما تقول رفثت بها لو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإقضاء، و كنت تعدي أفضيت بـ إلى كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بالي مع الرفث... (2)

إن رأي ابن جني هذا، هو الرأي الذي تبناه كثير من المتأخرين و المحدثين كما سنرى- فتجاوز معظمهم ما ذهب إليه الكوفيون، في قولهم لهذه الظاهرة على ظاهر استعمالها، مكثفين بالتوسع في الاحتجاج لها، من ذلك قول القراء:

^٢... و قوله ﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (٣)، يصلح على في موضع في، و إنما صلحت في لأنه يرفع في الخشبة في طولها، فصلحت في و صلحت على لأنه يرفع فيها فيصير عليها، و قد قال الله ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ (4) و معناه في ملك سليمان... (5)

و في ضوء هذه الآراء و غيرها راح المتأخرون و المحدثون يلتمسون لهذه الظاهرة تخریجات، و تفسيرات لغوية لرجوها ضمن مُسميات و مصطلحات آخر، مدافعين عن أحد الرأيين لا موفقين بينهما، عن طريق التحليل و التعليل، و هذا هو السبب الذي دفع بأحدهم إلى القول: ^٣ و الملاحظ عند المحدثين، الذين لم يبنوا في الخلاف بين المذهبين، و مفضلين أنهم حاولوا الجمع بينهما بمصطلح موحد يحكم كل مذهب، و هي فكرة العول (6)... (7)

و لكن فكرة العول، لم تسند للظاهرة إلى عُلِّها، كما نظرت إليها المرستان السابقتان، و لذلك راح أنصار كل مدرسة يتحرون الأدلة التي تقوي، و تدعم المذهب الواحد، دون محاولة التوفيق بين المذهبين معا.

(1) الفقرة 187 .

(2) الخصائص 308/2، و نظر المحاسب 52/1، 53 .

(3) طه 71 .

(4) الفقرة 102 .

(5) معاني القرآن 185/2، 186 .

(6) و يزد بالعول في هذا الموضع ذكر حرف، و المراد به حرف آخر، فنظر حدَّ العول عموما في المقصد في شرح الإيضاح

لعبد القاهر الجرجاني 1014 .

(7) البلاغة و الأسلوبية د/ محمد عبد المطلب 212 .

فالدكتور عباس⁽¹⁾ يؤيد المذهب الكوفي في تفسير هذه الظاهرة، وبلغت نظارنا إلى أهميته بقوله إنه مذهب: "...نفس كما سبق فمن الأسبب الاكتفاء به، لأنه عملي سهل، بغير إساءة لغوية، و بعيد من الالتجاء إلى المجاز و التأويل، ونحوهما، من غير داع، فلا غرابة في أن يؤدي الحرف الواحد عدة معان مختلفة، وكلها حقيقي - كما قلنا - ولا غرابة لجناسي لثرتك عدد من الحروف في تالدية معنى واحد، لأن هذا كثير في اللغة، و يسمى المشترك اللفظي... (1)^٢

و مثل هذا الرأي في نظر المعارضين له، لا يعطي للحرف قيمته الدلالية المستقلة و يعتمد إلى إغفال وظيفته الأصلية، و لذلك ترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن في ظاهرة تناوب الحروف إقلالاً و إقصاء من قيمة الحرف فقد "...بلغ من هوأه على اللغويين أن جاز عند بعضهم القول بأن الحروف يقوم بعضها مقام بعض... (2)^٣

و لهذا السبب فالرأي البصري في نظرها يعف من ظاهرة التناوب موقفا فيه إحقاق و استعادة لمكانة الحرف الدلالية لأن البصريين "...يروون في الأماكن التي ادعت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه، فإن كان تجوز، فليكن في الفعل، لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف... (3)^٤

و هذا التجوز في الأفعال هو ما تفق على تسميته بظاهرة التضمين التي ألمح إليها ابن جني ففسرها سابقاً، و قد لاقت رواجاً كبيراً عند المحدثين فناصروها.

فالدكتور محمد حسن عواد يعيد ما قاله ابن جني بأن "التضمين في المقام الذي نحن بصدده فيطلق و يركب به التوسع في استعمال لفظ توسعا، يجعله مؤدياً معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي و القلزم... (4)^٥

و لذلك فهو يرى أن "الأمر على غير ما ظن الأستاذ عباس حسن، فمقتضى المذهب الذي تدفع في تأييده، الإقصاء إلى مشكلات لغوية لا حصر لها، و إحداث اضطراب في البيان لا حد له. (5)^٦

إن الآراء التي ذهبت تغذ و تخطئ للرأي الكوفي و أنصاره في ظاهرة تناوب الحروف، استندت في حقيقة الأمر إلى ما ذهب إليه ابن جني، فلم تضيف جديداً، و اكتفت بتأييد الأدلة التي جاء بها ابن جني حينما قال: "...و لسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكننا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، و المسوغة له، فأما في كل موضع و على كل حال فلا، ألا ترى أنك إذا أخذت بظاهر

(1) النحو قرأني 542/2 .

(2) من نثر العربية في البيان القرآني 13 .

(3) المرجع نفسه 32 .

(4) تناوب حروف الجر في لغة القرآن 51 .

(5) المرجع نفسه 13 .

هذا القول غفلا هكذا لا معيدا للزمك عليه أن نقول سرت إلى زيد، و أنت تريد معه...و نحو ذلك مما يطول و يتفاحش، و لكن سننضم في ذلك رسما يعمل عليه، و يؤمن التزام الصناعة لمكانه.(1)

وليس في هذا القول إلزام بإسناد الخطأ إلى الكوفيين، فإذا كان هؤلاء لم يقيموا تفسيراً لمذهبهم، و اكتفوا باستقراء الشواهد، و التعميل عن طريقها لإثبات هذه الظاهرة، فهذا لا يدل على سذاجتهم و إغفالهم لأصول اللغة؛ فلجؤوهم إلى هذا الأمر يستند إلى أساس متين و هو القرآن الكريم، و كثير من الشواهد العربية الفصيحة، مما يكشف عن احتواء رأيهم لإمكانات تعبيرية متجددة و مستمرة، و لقدرة كبيرة في توجيه الاستعمال اللغوي توجيهاً تطبعه المرونة في فهم للدلالات و المعاني، و بذلك فقد بالغ ابن قيم الجوزية حينما نظر إلى الذين أخذوا بظاهرة التناوب في ظاهرها على أنهم ليعتدوا عن فهم هذه للظاهرة بعمق و دقة في قوله: «و ظاهرة للنحاء يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، و أما فقهاء أهل العربية، فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، و معنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف و ما يتطلب من الأفعال، فيشربون للفعل المتعدي به معناه، هذه طريقة أمام الصناعة سييويه -رحمه الله تعالى- و طريقة حذق أصحابه، يضمنون الفعل معنى للفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، و هذه قاعدة شريفة جائلة المقدار، تستدعي فطنة و لطافة في الذهن...»(2) و لو ذهبنا مع مثل هذه الأراء فبنينا لن نتفادى الوقوع في التحيز غير العلمي، و لن نحصل للصواب دائماً، لأننا سنتجاوز كثيراً من الجهود و اللفظات اللغوية الموضحة للنصوص و المفسرة لها، و التي تضمنتها كتب و مصنفات قيمة(3)، عن طريق المتابعة و الاستقراء لكلام العرب. و لقد أثبتت هذه المصنفات ظاهرة تناوب الحروف بحيث لم تترك مجالاً لتفنيدها و لحضها.

ولعل السؤال الذي يقودنا لقبول هذه الظاهرة متمثل في الاستنتاج التالي: إذا كانت فكرة التضمن قد انمست لها البصريون تعليلاً في شواهد معينة مثلاً بها و جعلوا للفعل فيها متضمناً لمعنى فعل آخر، فلماذا إن لم يقوموا بالعملية نفسها مع ما تبقى من الشواهد الأخرى؟

من هنا نصل إلى القول بأن تفسير الكوفيين لظاهرة التناوب مقبول على ظاهره، إما في مذهبهم من بعد عن التأويل و التمثل، و وضوح المعاني و الدلالات و احتفاظ الحرف بمكانته في نوران معنى التركيب حوله، على خلاف ما قاله السابقون في أن ذلك إنقاص من قيمته الدلالية، و هم الذين انتقلوا من بيان وظيفته إلى بيان وظيفة الفعل، باعتماد فكرة التضمن، فتجاوزوا بذلك قيمة الحرف الحقيقية.

(1) الخصائص 308/2.

(2) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية 21/2 .

(3) فنظر هذه الظاهرة -مثلاً- في معاني القرآن للفراء 186، 185/2، و معاني القرآن للأخفش 206، 205/1، و تأويل مشكل القرآن 565، و منشآت الضرب 426-476، و الصاحبي في فقه اللغة 104، و فقه اللغة و لسر العربية 234، 233...

و نحن إذا كنا قد قبلنا تفسير الكوفيين لظاهرة التناوب فلأن مذهبهم في مثل هذه الظاهرة ولد في أذهاننا جملة من التساؤلات هي:

ما الغاية من إجازة تناوب الحروف؟

هل التناوب يصدق على جميع حروف الجر من غير ضابط؟

هل تفسير البصريين و تخرجهم للشواهد مخالف لما جاء به الكوفيون؟

- هل هناك تفسير آخر لظاهرة التناوب يقرب بين المذهبين، و يلقي الضوء على مفاهيم دلالية جديدة للحروف...؟

ولو تتبعنا النصوص تتبعاً دقيقاً، لوقفنا على إجابة شافية لكل سؤال، ففي آراء ابن هشام التي تضمنها كتابه للمعنى حول ظاهرة التناوب، نجد توجيهاً علمياً و عملياً لهذه الظاهرة من خلال النصوص التي بثت في الباب الأول من الكتاب، إذ يقول شارحاً للظاهرة، و مرجحاً أحد المذهبين: "مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم، و أحرف التنصب كذلك، و ما لوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلًا يقبله اللفظ و إما على تضمين الفعل معنى فعل، يتعدى بذلك للحرف... و إما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى، و هذا الأخير هو مجمل الباب كله، عند أكثر الكوفيين، و بعض المتأخرين، و لا يجعلون ذلك شذواً، و مذهبهم أقل تصفاً (١٣)"

إن في قول ابن هشام بُعداً عن التحيز، فهو لم يلجأ إلى قبول رأي على حساب آخر، لو إلغاء تفسير أحد المذهبين دون الآخر، فقد نظر إلى الظاهرة من حيث مساحة اتساعها، و الأخذ بها، و كثرة النصوص الواردة فيها، و تداعي المعاني و تكرارها لمرونة التعامل بها، فابن هشام لم يبن رأيه إلا على أدلة استقرأها عن طريق النصوص التي استوقفته عند إثبات هذه الظاهرة. إذ في كثير من المواضع التي أورد فيها هذه النصوص لم يصرح بنسبة موضع التناوب للمحتج له إلى الكوفيين، من ذلك قوله في موضع مجيء على بمعنى من: "السلاس: موافقة من نحو ﴿إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (٢) (٣)، و في موضع مجيء اللام بمعنى إلى قال: "نحو قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَىٰ إِلَيْهَا﴾ (٤)، ﴿كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٥)، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا إِمَّا نَهَاوْا عَنْهُ﴾ (٦) (٧) .

(١) معنى اليب ١٥٠، و انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٧٨-٤٨١، و معنى القرآن للفراء ١/٣١٦ و ٢/١٨٦ و ٣/٢٢٢ .

(٢) المطففين ٢ .

(٣) معنى اليب ١٩١ .

(٤) الرعدة ٥ .

(٥) الرعد ٢ .

(٦) الأنعام ٢٨ .

(٧) معنى اليب ٢٨٠ .

لقد استنطق ابن هشام النصوص من قبل إرجاعها إلى إطارها المنطقي أو المذهبي، بل قلما يرجعها إلى ذلك، حتى لا يُضيق المجال على تفسير تلك النصوص، فتتساقط بذلك مساحة الاستعمال اللغوي والدلالي... وفي إجازة ابن هشام لتناوب بعض حروف الجر، بُعد دلالي و بلاغي خفي و دقيق، لأن قصر حرف الجر على معنى حقيقي واحد، تعسف و تحكم لا مسوغ له، فما للحرف إلا كلمة، كسائر الكلمات الاسمية، و الفعلية، و هذه الكلمات الاسمية و الفعلية تؤدي الواحدة منها عدة معانٍ حقيقية لا مجازية، و لا يتوقف الفعل في فهم دلالاتها الحقيقية فهما سريعا. فما للداعي لإخراج الحرف من أمر يدخل فيه غيره من الكلمات الأخرى، و إبعاده عما يجري على نظائره من باقي الأقسام...⁽¹⁾

فالكوفيون التزموا الحدود الدلالية اللغوية لفهم العبارة التي ورد فيها الحرف نائبا عن غيره في الدلالة، و لم يحاولوا إيجاد تأويل نحوي أو معجمي لألفاظ تلك العبارة، و لو اكتفوا بظاهرة التضمن فسيخطئون بذلك كثيرا من النصوص التي لم نرد فيها أفعال يمكن أن نضمنها معنى أفعال آخر. و محاولة التأويل أو التخريج عن طريق التشوُّذ تُعدُّ ضربا من تضيق التنوع الدلالي و ثرائه، ففي قوله تعالى: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ»⁽²⁾ وردت إلى بمعنى مع⁽³⁾، فالأمر يصلح لأن نفهم دلالة الآية بهذا الشكل من أنصاري مع الله

و في حديث للرسول عليه الصلاة و السلام: «إِنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا»⁽⁴⁾، يأخذ الحرف في معنى لام التعليل، أي دخلت امرأة النار لأجل أو بسبب هرة حبستها.⁽⁵⁾

و إعادة هذين الشاهدين بغير حرفيهما الأصليين، يترتب عنه نوع من المغايرة للدلالية الخفية، و اختلاف في نسق الألفاظ و تسجامها، و هذا مما سنكشف عنه حينما نصل إلى الإجابة عن السؤال الأخير المعروض سابقا.

وظاهرة تناوب حروف الجر لا تصنق على جميع مواضع حروف هذه الطائفة، و لذلك فنحن لسنا أحرارا في إثباتها عن بعضها البعض، عند كل استعمال، من غير ضابط، و هذا الأمر تنبه إليه ابن هشام في الباب السادس من كتابه المغني، و قد جعله في التحذير من أمور اشتهرت بين العربيين و للصواب خلافها، ففي الموضع الثالث عشر من هذا الباب قال:

«قولهم: ينوب بعض حروف الجر عن بعض، و هذا أيضا مما يتداولونه و يستلون به، و تصحيحه بإدخال قد على قولهم ينوب، و حينئذ فيتعذر استدلالهم به، إذ كل موضع ادعوا فيه ذلك، يقال لهم فيه: لا نسلم أن هذا مما وقعت فيه النيابة، و لو صح قولهم لجاز أن يقال: مررت في زيد، و دخلت من عمرو، و كتبت إلى القلم،

(1) النحو لموافي 540 .

(2) إل عمر 52 .

(3) انظر مغني اللبيب 1104، و معاني القرآن 221/1، و الخصائص 309/2 .

(4) صحيح البخاري، كتاب [بدا الخلق] 157/4 .

(5) انظر مغني اللبيب 224 .

على أن البصريين، و من تابعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها التنبية أن للحرف باق على معناه، و أن التعامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف، لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف. (13)

فقد تبنى للمعريون إذن مذهب الكوفيين، تنبياً بعيداً عن الدقة و الفهم العميق، إذ للنصوص المستشهد بها يحتاج بها على ورود هذه الظاهرة في مواضع معينة من المواضع الكثيرة التي ترد فيها هذه الحروف. و لذلك فظاهرة تنالوب حروف الجر في بعض المواضع، قد أثبتت عن طريق النصوص لقرآنية و الشعرية، و هذه النصوص توحى بمجرد قراءتها أن للحرف فيها قد أخذ معنى حرف آخر، و مثل هذا الإحياء هو بداية لتأمل النص دلالياً. فإمعان النظر في نسق العبارة، و تركيبها النحوي، يعوننا إلى الوقوف على أن الحروف و سائط، و هذه الوسائط قد ترد مع أفعال متضمنة لمعاني أفعال أخرى و مثل هذا الرأي الأخير: يُخرج النص من حقيفة لفظية ظاهرية متفق عليها، إلى حقيفة ذهنية عميقة، و جه ابن هشام لظنارنا إليها، من خلال عرضه لهذه الظاهرة في نصوص كثيرة استقرأها و لم يلزمنا بتضييق مجالاتها الدلالية، حينما يقول في موضع مجيء عن بمعنى من متحرياً لإثبات ذلك عن طريق الأدلة:

«مرادفة من نحو: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (2) [الشاهد في الأولى]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَنَابُلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ (3) بدليل ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ لَدُنْهُمَا، وَ لَمْ يُنْقَبِلْ مِنَ الْآخِرِ﴾ (4)، ﴿وَرَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ (5). (6)

إن ما أورده ابن هشام لا يعني أن عن في كلا الآيتين غير محتفظة بمعناها الأصلي و هو للمجازرة، و إنما هذا المعنى تضاعف لتصبح عن أقرب إلى الدلالة عن معنى من، أما ورود عن في الآيتين بدل من، فلأنها أنسب للاستعمال في هذا الموضع دلالة و صوتاً (7). ففي الآية الأولى نبيين بالتأمل و التدبر مجاوزة الله سبحانه و تعالى لذنوب عباده و مغفرته لهم، و لو ورد الحرف من في مكان عن لَلْمُشْنَا قبول الله تعالى التوبة من عباده من غير افتراض ذلك القبول بالمغفرة و العفو. لكن للحرف عن يوحى بمغفرة و مجاوزة الله سبحانه و تعالى لذنوب سبقت، فتمستعر قبول التوبة بمقدارها، و لا ندرك عاجزين حدود مغفرة الله الواسعة، و مدى عظمة حلمه و رحمته في عفوه عن السيئات، أما في الآية الثانية (8) ف عن أيضاً حافظت على

(1) معنى اللبيب 861 .

(2) التنوير 25 .

(3) الأحكام 16 .

(4) السائدة 27 .

(5) البقرة 127 .

(6) معنى اللبيب 198 .

(7) و تعني بذلك انسجام الحروف مع بعضها البعض في التركيب القرآني - من حيث مخارجها و صلفاتها.

(8) و نقصت بها الآية السابقة من سورة الأحكام .

معنى المجاوزة، و القول بأنها بمعنى من، فيه جانب كبير من المسحة، فهذا هو المعنى الأولي الظاهر، و لكن عدل عن من إلى استعمال عن لأن القبول المعصود في الآية هو قبول الله سبحانه و تعالى المغفرون بتغفو و المغفرة، كما سبق أن وصحناء. ففي هذا القبول أثرٌ بعدني كبير. لا يمكن أن يتحقق بالحرف من في الآيتين الأخيرتين الواردتين في قول ابن هشام. و هذه الأبعاد الدلالية نلمسها في كثير من مواضع احتجاج ابن هشام لظاهرة تتأوب للحروف، ففي قوله عن مجيء في بمعنى على: **تَحَوُّ: ﴿وَلَا صَلَّيْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (١)....** و ليس منه قوله تعالى **يَذَرُوكُمْ فِيهِ (٢)** خلافا لزاعمه، بل هي للتعليل... (٣)

حين تنبر الآية الأولى لتستشف حفدا و كراهية من فرعون تجاه أتباع موسى عليه السلام و هذا الإحساسان أوحى بهما للتضعيف الموجود في الفعل صلب، كما أن استعمال الحرف في بدل على في الآية له بعده دلالي المتحقق عن طريق توارد المعنيين معا في الآية، و هما الاستعلاء و الوعائية الظرفية. فالحرف على لا يمكنه أن يحقق عند استعماله لفظا في موضع في الغاية الدلالية التي تتناسب و فحوى الخطاب على لسان فرعون، و كأننا بمعنى الاستعلاء العرفي العادي لا يحقق معنى الحقد و الكراهية في خطاب فرعون، لأن الحرف على يوحى بطلو أتباع موسى عليه السلام - من السحرة على جدوع النخل معًا لا يعمل على إطفاء نار الحقد في نفس فرعون تجاه أعدائه حتى و هم أموات، زيادة على أن في هنا نشعرنا بالحيز المكاني الضيق الموجود في الأسفل أي دون للتعالي و الرفة للذين أسبغهما فرعون على نفسه. و البصريون بذلك اقتربوا من هذا المعنى حينما شبهوا المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء، فكراهية و حقد فرعون للداخلين تعدت قسلب و تجاوزته لتتفرق هؤلاء، فتتحول الجدوع إلى مقابر لهم استمرارا في تحقيرهم و التثكيل بهم صلبا و إقبارا.

و نصل في الأخير إلى القول إن ما جاء به ابن هشام ما هو إلا محاولة زيجد توجبه بقيق لهذه الظاهرة، باتخاذ المذهب الكوفي مناز بحث في دلالات خفية كثيرة، و الاستناد إلى ما جاء به البصريون لضبط تلك الدلالات و منع الاضطراب عنها.

(١) طه 71 -

(٢) قصص ١١ .

(٣) معنى القليب 224 .

الفصل السادس

التوثيق اللغوي لدلالات حروف المعاني

عند ابن هشام

المبحث الأول: القرآن الكريم وقراءاته

المبحث الثاني: الحديث الشريف

المبحث الثالث: كلام العرب

المبحث الأول

القرآن الكريم و قراءاته

- 1- اعتماد ابن هشام القرآن الكريم مصدرا أوليا في توثيق دلالات حروف المعاني
- 2- الاستدلال بالقراءات القرآنية في توثيق دلالات حروف المعاني عند ابن هشام

اتسمت مادة عرض دلالات حروف المعاني في كتاب معنى اللبيب بالانتماع و الغزارة، و قد يكون ذلك راجعا إلى شروح و تحليلات ابن هشام، التي كانت تتخلل عرض كل دلالة من دلالات تلك الحروف. و المتتبع لهذه الدلالات يرى أنها استندت إلى توثيق لغوي متنوع كثير الشواهد، ساهم في إثراء المعاداة اللغوية، و دعمها بكثير من اللفظات الأدبية و الشرعية. و لذا رأيت أن الوقوف على منهج ابن هشام في التوثيق اللغوي للمعاني و الدلالات، يكون بمحاولة التركيز على كيفية تعامله مع الشواهد على اختلاف أنواعها، و قد قننتي هذه المحاولة إلى عرض استفسارات كانت إجابتها هي حسيطة الحديث في هذا الفصل. هل كان ابن هشام راصداً للشواهد متصديدا لها، لمجرد توثيق دلالة الحرف لو معناه، أم أن كثيرا من شواهدة ألمحت إليها مناقشته و استطرادته و ماتفرع عنها من لفتات و استدراكات و تنبيهات؟ كيف وسع ابن هشام من دائرة الاحتجاج، حين استعان بالحديث النبوي الشريف و شعر من غير عصور الاحتجاج؟

ما مرد غلبة الشواهد القرآنية على غيرها من الشواهد الأخرى(1)؟

ما مدى تعامل ابن هشام مع القراءات القرآنية؟

كيف تعامل ابن هشام مع الشاهد الشعري؟

هل استعان ابن هشام بكلام العرب المنثور في توطيد أحكام حروف المعاني و عرض دلالاتها؟

و حتى نقف على إجابات معقدة لمثل هذه الاستفسارات، فإنه لا مندوحة من إيجاد خطة منهجية، نمسك عن طريقها بمنهج ابن هشام في التوثيق اللغوي لدلالات الحروف، و بالتالي نكشف عن مدى استيعابه اللغوي الواسع، واضعين بذلك أيدنا على ملاحظات، قد تفتح الباب للفتات آخر، نكمل بها نقضا في بحوثنا اللغوية. لو ندعم بها رأيا مضطربا في مسألة.

لو ندعو بها متخصصا في علم من علوم الشرع إلى الاجتهاد و البحث، بالارتكاز على خلفية معرفية موسومة. لأن القارئ لهذا الكتاب سيروعه مايجده من فيض زاخر من الآيات القرآنية، و الأحاديث النبوية الشريفة، و من سيل دلفق من الشعر العربي، الذي وعى ابن هشام منه الكثير، فجرى علم لسانه ثم² و استشهدا يؤيد به دعوى، أو يثبت به قاعدة، أو يفند به رأيا و لذلك أخذ توثيق المعاني و الدلالات نصيبا كبيرا من حجم المادة النظرية في الباب الأول من الكتاب. فالقواعد و الأحكام التي أوردها ابن هشام في هذا الباب، و بخاصة في موضع حديثه عن حروف المعاني، أخضعها للتحليل و المناقشة، فاحتج لها بالشواهد القرآنية، و بشواهد من الحديث النبوي الشريف، و بما ورد في كلام العرب من شعر و نثر، فاستثمر كل

(1) فقد بلغ عدد الآيات المستشهد بها في باب المفردات ألفا و ثلاثمائة و ثلاثا و ستين آية.

أما عدد الشواهد الشعرية فبلغ سبعة مائة و ستة و ثلاثين شاهدا، كما بلغ عدد الأحاديث النبوية الشريفة ستة و خمسين حديثا، و بلغ عدد الأمثال و العبارات السائرة من كلام العرب المنثور سبعة و عشرين شاهدا.

هذا، وبنى تدريباته عليه. لقد وظف ابن هشام هذه الشواهد للتدريب على الإعراب، والعمل من أجل تكوين مائة معربة تستطيع أن تفهم سر التراكيب العربية، فتتضح المعاني وتعرف المغلولات، ويكون ذلك وسيلة لفهم كتاب الله وسنة نبي الله... (1)

لقد وقف ابن هشام، وقفات طويلة مع هذه الشواهد، مستطردا ومعينا على ما أورده من معان ودلالات، فتداعى التحليل عنده تداعيا تدريبيا أدى إلى إثراء الكتاب بالشواهد، فعُدَّ هذا أحد أسباب قيمة الكتاب الموسوعية مما دفع ببعض الدارسين (2) إلى وضع مصنفات هامة عن شواهد الكتاب التي كانت معينا غير ناضب (3) يدفعنا إلى المتابعة الدقيقة، للكشف عن جوانب لغوية، وأدبية، وتاريخية، تفرد بها الكتاب مادة ومنهجاً، وهذا ما سنقف على معرفته، من خلال بيان أسلوب ابن هشام في تعامله مع القرآن الكريم وقراءته، ومع الحديث النبوي الشريف، ومع كلام العرب شعرا ونثرا.

1- اعتماد ابن هشام القرآن الكريم مصدرا أوليا في توثيق دلالات حروف المعاني:

لنَّ القرآن الكريم هو النص الصحيح للمجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة (4) ولذلك عُدَّ النص القرآني المصدر الأول للتوثيق اللغوي عند النحاة واللغويين، كما كان اعتماد الفقهاء في أحكامهم، والبلغاء في نظمهم، ونثرهم لأنه يأتي في "... أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة ولذا وقفوا منه موقفاً موحداً، فاستشهدوا به، وقبلوا كل ما جاء فيه... (5) و ابن هشام يضع القرآن الكريم في رأس المصانير التي يرجع إليها، ويعتمد عليها، والمتصفح لمادة حروف المعاني في المعني يجد القرآن الكريم أخذاً للنصيب الأوفر فيها، فقد اتخذ منه ابن هشام موضعاً للدلالة، ودليلاً توثيقياً في الغالب على تأصيل قواعد الدلالات وأحكامها، فعنايته بالشاهد القرآني جعلت مادة حروف المعاني، تنحو منحى قرآنياً، فقد أصبحت شواهد القرآن الكريم وقراءته هي المنبع والمصنَّب لتحليلاته، إذ بنى على تلك الشواهد أصول إعرابه واتخذها ميداناً لتدريباته، ومجالاً لتأويلاته وتخريجاته،

(1) المدرسة النحوية في مصر و الشام 374، و انظر معني قليوب 12.

(2) و منهم الإمام السيوطي (ت 911هـ) ومبواضع كتبه شرح شواهد المعني المطبوع في جزئين، وقد عطلت مادة شواهد الباب الأول ما يزيد على نصف الكتاب لمؤلفه السيوطي. و من أولئك الدارسين أيضا البغدادي (ت 1093هـ) صاحب كتاب شرح أبيات المعني المطبوع في ثمانية أجزاء و قد عطلت مادة شواهد الباب الأول ما يزيد على ستة أجزاء.

(3) انظر كشف الظنون 1751/2-1753.

(4) في أصول النحو د/ سعيد الأفغاني 28.

(5) البحث اللغوي عند العرب 19.

حتى عُدَّ بذلك ابن هشام "... أول نحوي أكثر من التعرض للآيات القرآنية للكرامة... (1) خاصة وقد أكدنا في كم من موضع سابق أن غايته التي نحسب نفسه لها هي "... ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل... (2)

فابن هشام إذن ارتكز في توثيق دلالات حروف المعاني، و تعيينها على أرضية قرآنية، منطلقاً فيها من خلفية عقلية تفسيرية، كان يلجأ عن طريقها إلى إحصاء الآيات للكثيرة في الموضوع الواحد يدعم بها آراءه و آراء غيره، و يبنى عليها قواعده و أحكامه من ذلك قوله في موضع حديثه عن آل الجنسية:

"والجنسية: إما لاستغراق الأفراد، و هي التي تخلفها كل حقيقة، نحو ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (3)، و نحو ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ (4) أو لاستغراق خصائص الأفراد، و هي التي تخلفها كل مجازاً نحو: زيد للرجل علماً أي للكمال في هذه الصفة، و منه ﴿ ذَلِكَ لِلْكَتَلِبِ ﴾ (5)، أو لتعريف الماهية. و هي التي لا تخلفها كل لا حليفة و لا مجزاً، نحو ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (6)... (7) و قد كان تتبع المستمر و التدوُّب للشواهد القرآنية أسلوباً مميزاً عند ابن هشام، في توثيق دلالات حروف المعاني، و ذلك لِمَا للأكوت و الحروف من عمل مباشر و دقيق في تفسير أي القرآن الكريم، و نصوصه المتنوعة. و ذهب الدكتور عصام نور الدين إلى إيجاد كشفٍ منهجي يبين حدود تعامل و استثمار ابن هشام للنصوص القرآنية قللاً: " و يلاحظ دارس كتب ابن هشام أنه اعتمد على آيات القرآن الكريم في ثلاثة اتجاهات، هي:

- 1- آيات استشهد بها على تثبيت قاعدة متفق عليها.
 - 2- آيات اتخذ منها المؤلف أداة على قاعدة لرتأها، و أراد أن يدعمها بدليل قرآني.
 - 3- آيات لوضع ابن هشام ما دار حولها من نقاش و جدل... (8)
- و هذه القواعد التي ضمنها ابن هشام للباب الأول من كتابه المغني هي في معظمها قواعد دلالية أملت لها طبيعة حديث ابن هشام عن حروف المعاني، فمن مواضع تثبيت قاعدة دلالية و توثيقها بالشاهد القرآني قول ابن هشام عن وجه من وجوه استعمال لا: "... أن تكون موضوعاً لطلب الترك، و تخصص بالانخول على

(1) لقرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية (200).

(2) مغني اللبيب 12.

(3) النساء 28.

(4) القصص 2، 3.

(5) البقرة 2.

(6) الأنبياء 30.

(7) مغني اللبيب 73.

(8) ابن هشام الأصولي حقيقته، و منهجه النحوي 61.

المضارع، و تقتضي جزمه، و استقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطباً نحو ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (١)، أو غائباً نحو ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٢)، أو متكلماً نحو ﴿ لَا أَرَىٰكَ هَاهُنَا ﴾ (٣).

فابن هشام يستقرئ الآيات القرآنية للموضع الواحد المحتج له، و يتتبعها تتبعاً دقيقاً، فيخرج معنى الآية الكلية اعتماداً على دلالة الحرف لا. و بذلك تتوارد الشواهد القرآنية توارداً دلاليّاً و حدوياً. إنّه أسلوب جديد في التفسير يقودنا إلى الوقوف على معاني القرآن الكريم التي افترحتها ابن هشام بواسطة الحركات و حروف المعاني الواردة بالباب الأول من كتاب المعنى.

أما عن الاتجاه الثاني فمن الآيات التي اتخذها ابن هشام أدلة على قاعدة دلالية ارتأها و أراد أن يدعمها قوله في موضع حديثه عن لو موجهها دلالاتها العامة: ^٤ «و الثاني: أنها تفيد امتناع للشرط، و امتناع الجواب جميعاً، و هذا هو القول الجاري على السنة للمعربين، و نص عليه جماعة من النحويين، و هو باطل بموضع كثيرة منها قوله تعالى ﴿ وَ لَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَؤْمِنُونَ ﴾ (٤)، ﴿ وَ لَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِثَتْ كَلِمَتٌ لَّهُ ﴾ (٥) ... و بيانه أن كل شيء امتنع بثبوت نفيضة، فإذا امتنع ما قام ثبت قام و بالعكس، و على هذا فيلزم على هذا القول في الآية الأولى ثبوت إيمانهم مع عدم نزول الملائكة، و تكليم الموتى لهم و حشر كل شيء عليهم. و في الثانية نفاذ للكلمات مع عدم كون كل ما في الأرض من شجرة أقلاماً نكتب للكلمات و كون البحر الأعظم بمنزلة للدواء، و كون السبعة الأبحر معلومة مدادا و هي تعد ذلك البحر ... (٦) و في موضع آخر أثناء حديثه عن لن و عدم موافقته على مجيئها لإفادة معنى تأييد لنفي قوله: ^٥ «... و لو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿ فَلَنُؤْكِلَنَّكَ الْيَوْمَ إِمْسِيًّا ﴾ (٧)، و لكن ذكر الأبد في ﴿ وَ لَنُؤْتِيَنَّكَ أَجْرًا ﴾ (٨)، تكراراً و الأصل عدمه. (٩) و من آيات الاتجاه الثالث التي أوضح ابن هشام ما دار حولها من نقاش و جدل قوله في معرض حديثه عن من و دلالاتها على بيان الجنس:

(١) الممتحنة ١ .

(٢) آل عمران ٢٨.

(٣) معنى القليب ٣٢٣، ٣٢٤.

(٤) الأنعام ١١١ .

(٥) لقمان ٢٧ .

(٦) معنى القليب ٣٣٩ .

(٧) مريم ٢٦ .

(٨) البقرة ٩٥ .

(٩) معنى القليب ٣٧٤ .

الثالث: بيان الجنس، وكثيرا ما تقع بعد ما ومهما، ومما بها أولى لإفراط إيهامها نحو ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ (1)، ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ (2)، ﴿ مَهْمَا تَأْتِيَا مِنْ آيَةٍ ﴾ (3)، وهي مخفوضها في ذلك في موضع نصب على الحال، ومن وقوعها بعد غيرهما: ﴿ يَحْلَتُونَ فِيهَا مِنْ آسَورٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ ﴾ (4) الشاهد في غير الأولى فإن تلك للابتداء، وقيل زائدة، ونحو ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (5)، وإنكر مجيء من لبيان الجنس قوم، وقالوا: هي في ﴿ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ و ﴿ مِنْ سُنْدُسٍ ﴾ للتبعيض، وفي ﴿ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ للابتداء، والمعنى فاجتنبوا من الأوثان للرجس، وهو عبائنها، وهذا تكلف، وفي كتاب المصاحف (6) لابن الأثيري أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً ﴾ (7) في الطعن على بعض الصحابة، والحق أن من فيها للتبيين لا للتبعيض، أي الذين آمنوا هم هؤلاء، ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ، وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (8)، وكلهم محسن ومتق ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (9)، فالمقول فيهم تلك كلهم كفار. (10)

لقد وقف ابن هشام وقفا طويلا أمام شواهد القرآن الكريم، مدققا ومعللا وحافظا لكتاب الله - عز وجل - الذي كانت تحضره شواهد حضورا متتابعة، فكشفته عن أسلوبه المتميز في تحويل الحرس اللغوي إلى درس دلالي قرآني، والنحو العربي إلى نحو قرآني. ويبدو أن ابن هشام لم يكتف بإيراد الآيات القرآنية بمعزل عن أدائها اللغوي والنحوي، إذ كان يلجأ في كثير من المواضع إلى الاستدلال بوجود قراءتها، فاعتمد تلك الوجوه في عروضه وتحليلاته لما لها من أثر كبير في توجيه الدلالات، وضبط القواعد والأحكام، وتوليد المسائل باستمرار.

(1) غافر 2 .

(2) البقرة 106 .

(3) الأعراف 138 .

(4) الكهف 31 .

(5) الحج 30 .

(6) هو كتاب في الرد على من خالف مصحف عثمان، انظر الفهرست 339 .

(7) الفتح 29 .

(8) آل عمران 172 .

(9) المائدة 74 .

(10) معني اللبيب 420، 421، و انظر الأضداد لابن الأثيري 253.

2 - الاستدلال بالفراءات القرآنية⁽¹⁾ في توثيق دلالات حروف المعاني عند ابن هشام:

ارتكت القراءة عند ابن هشام إلى مرتبة الشاهد النحوي و اللغوي في الاستدلال العامي الدقيق على دلالات، و استعمال حروف المعاني، و قد وقف ابن هشام من الفراءات موقف من يقول بأنه: " يجب أن نشق منها المقاييس و نستخدم الأصول، و هذا المنهج، الكوفي في الاستشهاد بالفراءات، منهج سليم من وجهة نظرنا، لأنه يثري اللغة، و يزيد من رصيدها، و يجعلها غنية بأساليبها على الدوام⁽²⁾".

فمنهج ابن هشام إذن هو منهج الكوفيين في الاستدلال بالفراءات و الأخذ بها و قبولها بتوسع، و استثمارها لبناء القواعد و الأحكام عليها، و ذلك باعتماد توجيه ما يبدو منها في الظاهر غير موافق لوجوه العربية، إلى ما يرتضيه التأويل اللغوي و التعليل النحوي⁽³⁾. لقد أثرت الفراءات القرآنية مادة حروف المعاني عند ابن هشام إزاء واسعاً من غير الخروج عن القواعد و الأصول التي أفسح المجال لنا للبحث و اكتشاف الجديد في حدودها، من غير تحمل لو ابتداع غير مطل لا يقبله العقل لأن القراءة في نظره هي "سنة متبعة، و ليس كل ما تجوزه العربية تجوز للقراءة به⁽⁴⁾".

و لذلك فقد حاول ابن هشام دفن ما توجيه الفراءات و تخريجها على الوجه الذي ترتضيه اللغة، و بالمقابل يخضع تخريجاته و تحليلاته اللغوية لما جاءت به الفراءة، و هو بذلك يقبل الفراءات قبولاً واسعاً فيصنق عنده القول بأن: " كل قراءة ولفظ العربية، و لو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية، و لو احتمالاً، و صح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، و لا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين⁽⁵⁾". و استدلال ابن هشام بالفراءات القرآنية لتمر عن ضبط استعمال الحرف و تحديد دلالاته من جوانب متنوعة من ذلك:

ستأخذ القراءة دليلاً على مرونة استعمال الحرف بأكثر من وجه نحوي، ففي معرض الحديث عن ما الحرفية قال ابن هشام: " و أما أوجه الحرفية:

-
- (1) و الفراءات القرآنية علم يضبطها " ... يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى - من وجوه الاختلافات المتواترة، و مبالغيه مختمات تواترية، و له أيضاً استمداد من العلوم العربية، و الغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة، و فلتنته صون كلام الله تعالى، عن تملق تحريف و تغيير "، كشف الظنون 1317/2.
 - (2) معجم فراءات القرآنية د/عبد العال سالم مكرم و د/أحمد مختار عمر 102/1.
 - (3) المدرسة النحوية في مصر و الشام 419-421.
 - (4) شرح شذور الذهب 304.
 - (5) النشر في الفراءات العشر 9/1.

فأحدها أن تكون نافية، فإن دخلت على الجملة الاسمية أعلمها الحجازيون و التهاميون، و السجديون عمل
ليمن بشروط معروفة نحو « مَا هَذَا بَشَرًا » (١)، « مَا هُنَّ امْتَهَاتِهِمْ » (٢)، و عن عاصم أنه رفع أمهاتهم
على التعمية، و ندر تركيبها مع الذكر تشبيها لها بـ لا ... (٣)

-اتخاذ القراءة دليلا على مرونة استعمال الحرف بأكثر من وجه صوتي ففي معرض الحديث عن الحرف ها
قال ابن هشام عند دخوله على نعت أي: « و الثالث نعت أي في النداء نحو يا أيها الرجل و هي في هذا
واجبة للتبني على أنه المقصود بالنداء، قيل: و للتعويض عما تضاف إليه أي، و يجوز في هذه في لغة بني
السند تحذف ألفها، و أن تضم هاؤها إتباعا، و عليه قراءة ابن عامر « آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ » (٤)، « آيَةُ
التَّقْلَانِ » (٥)، « آيَةُ السَّاحِرِ » (٦)، يضم الهاء في الوصل ... (٧).

-اتخاذ القراءة دليلا على تعيين حركة الحرف و مدى التجوز في نطقها ففي معرض الحديث عن اللام قال
ابن هشام: « و أما اللام العاملة للجزم فهي اللام الموضوعية للطلب، و حركتها الكسر، و ساكن فتحها،
و إسكانها بعد الفاء و الواو أكثر من تحريكها، نحو « فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي، وَ لْيُؤْمِنُوا بِي » (٨)، وقد تسكن بعد
نَمْ نحو « نَمْ لِيُقْضُوا » (٩) في قراءة الكوفيين و قلون و البزي، و في ذلك رد على من قال: إنه خاص
بالشعر. (١٠)

-اتخاذ القراءة دليلا على توجيه دلالات الحرف و استعمالاته، ففي معرض الحديث عن الواو قال ابن هشام:
« الخامس عشر: الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها كقراءة قبيل « و إليه النشورُ
و آمنتم » (١١)، « قَالَ فِرْعَوْنُ وَ آمَنُتُمْ بِهِ » (١٢)، و الصواب ألا تعد هذه أيضا، لأنها مبدلة، و لو صح عدها
لصح عد الواو من أحرف الاستفهام ... (١٣)

(١) يوسف 31.

(٢) المجادلة 2.

(٣) معني اللبيب 399، و انظر كتاب السبعة في قراءات 628.

(٤) النور 31.

(٥) الرحمن 31.

(٦) الفرقان 49.

(٧) معني اللبيب 456، و انظر كتاب السبعة في قراءات 455.

(٨) البقرة 186.

(٩) فتح 29.

(١٠) معني 294، 295، و انظر كتاب السبعة في قراءات 177، 178.

(١١) الملك 15، 16.

(١٢) الأعراف 123.

(١٣) معني اللبيب 482، و قد نسب ابن مجاهد هذه القراءة لابن كثير، انظر كتاب السبعة في قراءات 614.

- اتخاذ القراءة لبللا على إثبات وجوه إعرابية متعلقة بتراكيب الحروف ففي معرض الحديث عن عل
و عملها قال ابن هشام هي: "لغة في لعل... و عقول تخفص بهما، و تجيز في لاهما الفتح تخفيفا و الكسر
على أصل النقاء الساكنين. و يسمع النصب في جوابهما عند الكوفيين تمسكا بقراءة حفص: "لَعَلَّيْ أَبْلُغُ
الْأَشْيَاءَ سَبِيلَ السَّمَوَاتِ فَطَاطِلَعُ... (1) بالنصب ... (2).

و ابن هشام يعتمد كثيرا في إنشاء استدلاله بالقراءات إلى شجمع بينها إذا اختلفت، فيقبلها جميعا مع الترجيح
منها الوجه الذي يراه خلاصة لتحليلاته و تعليلاته، و هو في ذلك لا يلزمنا بتفضيله و تقديمه على الوجوه
الأخرى، فوافق حينئذ ما جاء به السيوطي عن غيره قائلا:

"... و قد حكى أبو عمر الزاهد في كتب اليواقيت عن ثعلب أنه قال: إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم
أفضل إعرابا على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام للناس فضلت الأقوى (3).

و لم يكن استدلال ابن هشام بالقراءة إلا لمدى قوتها كدليل على توثيق الوجوه اللغوية و النحوية التي ضمنها
بابه الأول من كتابه المغني. و هو في ذلك يريد أن يقدم للباحث و المتعلم مادة علمية دقيقة تميز بها عن
سابقه الذين كانوا لا يتحرون في استدلالهم القراءة بقدر ما كانوا يتحرون الشعر. و هو الأمر الذي دعا
لفخر الرززي إلى القول: "و العجب من هؤلاء النحاة لهم يستحسنون هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين،
و لا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة و مجاهد، مع أنهما من أكبر علماء السلف في علم القرآن... (4)

و لم تغت لب هشام أهمية الاستدلال بالقراءة في توثيق دلالات حروف المعاني، فراح يتبعها من غير أن
يجرا تضعيفها أو تبحيحها بل يعتمد إلى الاجتهاد في تخريجها على الوجه اللغوي الذي يراه قويا إن حدث
و تبانئت قراءات عديدة في الموضوع الواحد من ذلك قوله في أثناء حديثه عن إن المخففة المكسورة:

"فالثالث: أن تكون مخففة من النغيلة، فتدخل على الجملتين، فإن دخلت على الاسمية جاز إعمالها خلافا
للكوفيين، لنا قراءة للحرميين و أبي بكر (5) و إن كُلا لما ليوليتهم (6)، و حكاية سيبيويه إن عمرا لمنطلق
و يكثر إعمالها نحو: "و إن كل ذلك لما متاع الحياة للثنيا (6)، م و إن كل لما جميع لدينا مخضرون (7)
و قراءة حفص: "و إن هذان لساحران (8)، و كذا قرأ ابن كثير إلا أنه يحدد نون هذان. و من ذلك

(1) طاهر 36، 37.

(2) معني القليب 206، و انظر كتاب السبعة في القراءات 570.

(3) الإنشغال في علوم القرآن 83/1.

(4) تفسير الفخر الرززي المشهور بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب 170/9.

(5) هود 111.

(6) الفرق 35.

(7) يس 32.

(8) طه 63.

﴿ إِنَّ كَلَامِي لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (١) في قراءة من خفف لَمَّا... (٢)

فكل قراءة من هذه القراءات يستلزمها ابن هشام في أكثر من موضع، وكل وجه قرئ به يجد له تخرجاً لغوياً أو نحوياً ذكياً، متخذاً من الحروف مداراً لتخرجه، فكلاً تكرّر ذكر القراءة عنده كلما تجدد التحليل والتعليل، مما جعل للدرس اللغوي يحافظ على مرونته وتوسعه الوظيفي. ففي موضع الحديث عن ﴿ إِنَّ ﴾ ومجبتها بدلالة نعم يقف ابن هشام مرة أخرى أمام قراءة ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ (٣) فيقول مخرجاً لها بعد نقاش وشرح طويل...^٤ وعلى هذا فقراءة هَذَانِ أقيس، إذ الأصل في المبني ألا تختلف صيغته، مع أن فيها مناسبة لألف - ساحران - عكسية. الياء في ﴿ إِخَذَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ ﴾ (٤)، فهي هنا لرجح لمناسبة ياء ابنتي، وقيل: لما اجتمعت ألف هذا، و ألف للتثنية في التعبير قدر بعضهم سقوط ألف للتثنية فلم تقا. لا، لا، لا...^٥ التغيير (٥).

وفي موضع الحديث عن لَمَّا والبحث في تركيب بنيتها يقف أيضاً ابن هشام مرة ثانية أمام قراءة ﴿ إِنَّ كَلَامًا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ ﴾ (٦) فيقول مخرجاً لها متنبهاً كل أدلتها للتحقق من الوجه الاستعمالي للحرف لَمَّا.^٧ فأما المركبة من كلمت فكما تقدم في ﴿ وَ إِنَّ كَلَامًا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ رَبُّكَ ﴾ في قراءة ابن عامر، و حمزة و حفص بتشديد نون ﴿ إِنَّ ﴾ و ميم لَمَّا، فيمن قال: الأصل لمن ما فأبليت للنون ميماً و أدغمت، فلما كثرت الميمات حذف الأولى، و هذا القول ضعيف لأن حذف مثل هذه الميم استغالياً لم يثبت، و أضعف منه قول آخر: إن الأصل لَمَّا بالتثنية بمعنى جمعاً... و الأولى عندي أن يندر لَمَّا يُوَفَّقُوا أَعْمَالَهُمْ أي أنهم إلى الآن لم يوفِّقوها و سيوفِّقونها و وجه رجحانه أمران:

أحدهما: أن بعده ﴿ لَيُؤْفِقُنَّهُمْ ﴾ و هو دليل على أن التوفية لم تقع بعد، و أنها ستقع.

و الثاني: أن منفى لَمَّا متوقع الثبوت كما قلنا، و الإهمال غير متوقع الثبوت. و أما قراءة أبي بكر بتخفيف ﴿ وَ تَشْدِيد لَمَّا فَتَحْتَمَل وَجْهين:

أحدهما: أن تكون مخففة من الثقيلة، و يلتي في لَمَّا تلك الأوجه

و الثاني: أن تكون إن نافية، و كلا مفعول بإضمار لرى و لَمَّا بمعنى إلا.

(١) طارق ٤.

(٢) معني اللبيب 36، 37، و نظر الكتاب 2/140، و كتاب السبعة في القراءات 419، 586، 678، و المعشيب 1/328، و إعراب القرآن للنحاس 2/304، 305، و النشر في القراءات العشر 2/290، 321.

(٣) طه 63.

(٤) القصص 27.

(٥) معني اللبيب 58.

(٦) هود 111.

و أما قراءة النحويين بتشديد النون، و تخفيف الميم، و قراءة الحرميين بتخفيفهما فـ إن في الأولى على أصلها من التشديد، و وجوب الإعمال، و في الثانية مخففة من الثقيلة، و أعملت على أحد الوجهين، و اللام من لما فيهما لام الابتداء... (13)

و ابن هشام لا يرمي القراءات بالشذوذ إلا نادرا في مواضع تدفعنا إلى المتابعة و التصحيح الدقيق، و هو بذلك يحترم أصول الأخذ بالقراءة (2) من ذلك قوله في موضع حديثه عن ابن:

« قال جماعة من النحويين: إذا وقعت إذن بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان (3) نحو ﴿وَ إِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا لَبِلاَ﴾ (4)، ﴿وَ إِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (5)، و قرئ شاذًا بالنصب فيهما، و التحقيق أنه إذا قيل: إن تزرنى أزرك و إذن أحسن إليك، فإن قدرت العطف على الجواب جزمت و بطل عمل إذن لوقوعها حشوا، أو على الجملتين جميعا جاز الرفع و النصب لتقدم العاطف و قول: يتعين للنصب، لأن ما بعدها مستلغف، أو لأن المعطوف على الأول أول ... (6)

إنه يحلنا على تتبع موضع القراءة للشذوذ و التحقق من مصدرها قبل اقتضاها إذ يقول في إنشاء حديثه عن أو: « ... و في كامل الهذلي أن ابن محيصن، قرأ من طريق للزعفراني ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَوْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ (7)، و هذا من الشذوذ بمكان، و إن كانت همزة الاستفهام جاز قياسا، و كان الجواب بنعم أو بلا. و تلك لـ إذا قيل أزرك أو عمرو فالمعنى أحدهما عندك لم لا، فإن أحببت بالتعيين صح، لأنه جواب و زيادة. (8)

و هكذا لا يمنع رمي القراءة بالشذوذ عند ابن هشام من التماس الوجه اللغوي التخريجي لها، مما يجعلنا نقبلها، و لا نرفضها مباشرة إلى حين نصيب الدليل الذي يقويها أو يضعفها، غير مهملين القواعد العامة التي تقوم عليها أصول النحو و اللغة. لأن كل قراءة تمثل قياسا و نظاما لغويا قائما بذاته عند قوم من العرب. و لهذا السبب لا يمكننا أن نعترض عليها لو نردها نون تمحيص. و قد استطاع ابن هشام أن يملك منهجا توفيقيا و علميا في قبولها و تصحيحها ثم اختيار المسوغ منها، ليتخذ شاهدا على صحة أصل من أصول العربية، أو سندا ترتكز عليه دلالة من دلالاتها.

(1) معنى اللبيب 371، 372

(2) نظر ما جاء به ابن الجوزي سابقا 245 .

(3) رفع المضارع بعدها و نصبه.

(4) الإسراء 76.

(5) النساء 53.

(6) معنى اللبيب 32، لم أعتد إلى تخريج القراءة.

(7) البقرة 6.

(8) معنى اللبيب 63، 64، لم أعتد إلى تخريج القراءة.

المبحث الثاني

الحديث الشريف

- 1- موقف ابن هشام من الاستدلال بالحديث الشريف
- 2- أسلوب ابن هشام في الاستشهاد بالحديث على توثيق دلالات حروف المعاني

1 موقف ابن هشام من الاستدلال بالحديث الشريف:

اعتمد ابن هشام على الحديث الشريف كمصدر من مصادر الاحتجاج والاستشهاد، فاستعان به كثيراً في التوثيق اللغوي بالباب الأول من كتابه المعنى، على الرغم من أن النحاة قد وقفوا منه موقفاً غير الذي رأيناه في القرآن الكريم، ورفضوا الاستشهاد به في اللغة، والقياس عليه، ولم يُعتمد نصاً من النصوص المعتمدة في اللغة... (1)². وإذا كان بعضهم يرى أن هناك نسبة قليلة من الأحاديث احتج بها القمءاء واستشهدوا بها، فإن هذه النسبة لم تعط للحديث حقه، ووزنه في التوثيق اللغوي والتحوي/زيادة على أن المستثمر منها، تنفّر معظمه في المصنفات اللغوية إذ أن شواهد النحاة من الحديث ليست في غزارة، شواهد اللغويين و كثرتها فهي قليلة بالنسبة إليها بخاصة عند قدامى النحاة، وقد رأينا كيف أن سيبويه لم يستشهد إلا بسبعة أحاديث فقط. (2)³

و يأتي ابن هشام في مرحلة لاحقة يساهم بقوة في تأصيل الاستدلال بالحديث لشريف في مواضع لغوية وأحوية كثيرة. لقد دعم دلالات حروف المعاني، من غير الأدوات الأخرى التي ليست حروفاً، بما يقارب أربعين حديثاً أو أكثر، قلده منهجه في التأليف إليها، فاتخذها آلة لضبط الدلالات وأحكامها، بخاصة وأن ابن هشام مؤمن بأن أعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر به فهم كتاب الله لمنزل، ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل... (3)⁴

ومما لا شك فيه أن ابن هشام كان عارفاً بالحديث الشريف وعلمه، حافظاً ومستوعباً لمصادره وهذا يبدو من خلال للمواضع التي استدلل فيها بالحديث أثناء متابعته ومناقشته الدقيقة لتلك المواضع، وبذلك يكون ابن هشام واحداً من المؤيدين لابن مالك (4) في صحة الاحتجاج بالحديث الشريف. وما فتوجه إلى الاحتجاج بكلام الرسول عليه الصلاة والسلام إلا لأنه أفصح العرب لسناً ولقواهم بيلناً، ولفقههم بالعربية ولسانيها (5)، فكانت أحاديثه لصح سنداً من كثير مما ينقل من كلام العرب ولشعارهم.

فمن أهمية الاحتجاج بالحديث وضرورة الاستشهاد به لمنع تسرب اللحن إلى العربية وتقنين ضوابطها، يورد ابن هشام رواية عن سيبويه يبين فيها أن سيبويه كان مدفوعاً لتعلم النحو بسبب لحنه في حديث من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول في موضع مجيء ليس أداة استثناء: "...و هذه المسألة كانت سبب قراءة سيبويه النحو، و ذلك أنه جاء إلى حماد بن أبي سلمة، لكتابة الحديث، فاستملى منه

(1) دراسة في النحو الفكري من خلال معاني القرآن للفراء (61) .

(2) فبحث اللغوي عند العرب 37 .

(3) معاني اللبيب 12 .

(4) وابن مالك مؤلف بأكمله، خصصه لمسائل نحوية ولغوية، ناقشها وخرجها من الأحاديث الصحاح التي استدلل بها أو سألها: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح .

(5) المدرسة النحوية في مصر و الشام 431 .

قوله صلى الله عليه وسلم : ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخنت عليه، ليس لها الدرداء⁽¹⁾ ففتى سيبويه: ليس أبو الدرداء، فصاح به حماد: لحت يا سيبويه، إنما هذا استثناء، فقال سيبويه: والله لأطلبين علما لا يلحنني معه أحد، ثم معسى و لزم الخليل وغيره.⁽²⁾

ولا يهمننا هنا صحة الرواية بعد ما يهمننا أن ابن هشام نقلها و ثبت من خلالها بقوة وجه من وجوه استعمال الأداة ليس و لم يجد أقوى في الاستدلال على ذلك من هذا الحديث، و بذلك نلمس عند ابن هشام مدى حاجة للدرس اللغوي و النحوي الملحة، في الاستدلال بالحديث الشريف و القياس عليه. فهو حجة كلامية فصيحة لا يمكن إغفالها و تجاوزها كما حدث عند بعضهم. ذلك لأن جمهور اللغويين و النحاة وفقوا مواقف متباينة في الاستشهاد بالأحاديث الشريفة و هذه المواقف يمكن أن نقسمها إلى طوائف هي:

- طائفة منعت الاحتجاج بالحديث مطلقا و على رأسها أبو حيان و هو الغائل في انتقاد ابن مالك لاستشهاد بالحديث: "قد أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، و ما رأيت أحدا من المتقدمين، و المتأخرين سلك هذه الطريقة غيره..."⁽³⁾

- طائفة جوزت الاحتجاج بالحديث بشرط أن يكون الحديث المستدل به قصيرا بحيث يحفظ بسهولة من دون زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير و من هؤلاء السيوطي.

- طائفة أجازت الاستشهاد بالحديث كله، و على رأسها ابن مالك الأندلسي و ابن هشام الأنصاري و من قبل الجوهري، و ابن سيده، و ابن فارس و ابن جني ...

لقد عدَّ ابن هشام ابن من الطائفة الثالثة التي أجازت الاستشهاد بالحديث كله إلى جانب ابن مالك، و استشهاد ابن هشام بالحديث كله مدعاة للبحث من جديد، في تتبع الأحاديث، و تدقيقها، و معرفة الصحيح و الفصيح منها، مما يكسب العربية ثراء و اسعا، و يفتح المجال أمام الباحثين في علم الحديث إلى الانتفاة إلى كتب النحو و اللغة للوقوف على جوانب علمية في توثيق الأحاديث، تكون قد خفيت عليهم من قبل، فيلقون الضوء عليها. و يبدو أن ابن هشام كان مدركا لهذا الأمر، إذ نلمس في مذهبه إيمانا قويا بأن أحاديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- من أهم المصادر التي يعتمد عليها بالضرورة في إثبات القواعد و تصحيحها. و ترك الاستشهاد بها بعد خسارة كبيرة تقلص من حجم الاتساع اللغوي، و تحد من تنويع المصدر النحوي. لأن

(1) لم أجد في هذا الحديث في كتب الصحاح، و قد وردت روايته بهذا الشكل في هذه المسألة التي شقيقت هي ترجمة سيبويه بكتب المبيقات و التراجم. انظر إنباء الرواة على إنباء النحاة 350/2.

(2) معنى اللبيب 387.

(3) الاقتراح في علم أصول النحو 52، و انظر ارتشاف الضرب 387/2.

(4) انظر الاقتراح في علم أصول النحو 52-55، و ابن هشام الأنصاري حقيقته و منهجه النحوي 71-75، و ابن مضاه و موقفه من أصول النحو العربي/نحوي عبد الكريم 31.

تصحيح مصادر الاستدلال يؤدي بالضرورة إلى وقوع اللغويين و النحاة في الخطأ مما يؤثر على توجيه العلوم الأخرى.

فالنحاة الذين رفضوا الاحتجاج بالأحاديث " أخطأوا لأنهم أبعادوا جانباً مهماً من المصادر اللغوية، و هو الحديث، فلم يرضوا الاستشهاد به لأنهم زعموا أن كثيراً من رواته كانوا من الموالى... مع أنهم لو انصفوا لعنلوا عما ذهبوا إليه، لأنهم كانوا يعلمون مدى حرص المحدثين على سلامة الأحاديث، و مدى ما قاموا به في سبيل المحافظة عليها، و كان المحدثون و لا سيما المتأخرون منهم من الدقة، بحيث يستبعد عن صنيعهم كثير من الشكوك التي لقامها النحاة عفت في طريق الاستشهاد بها، و الأخذ منها... (1)"

2- أسلوب ابن هشام في الاستشهاد بالحديث على توثيق دلالات حروف المعاني:

ابن هشام الأنصاري عالم ذو ثقافة موسوعية، فهو و إن اشتهر بكونه عالماً نحويًا، نجده حين نصفح باب المفردات رجلاً مستوعباً لشواهدها، فهو حافظ للقرآن الكريم، عالم بقراءته و بالحديث الشريف. و معرفته بالمصادر الشرعية، عمقت منهجه في شرح حروف المعاني و تفسير دلالاتها. فالحديث الشريف الذي حنقه كثيرون من مصادر احتجاجهم (2) استدل به هو في مواضع كثيرة، و كانت حاجته ماسة إلى ذلك لتثبيت دلالات الحروف، و استعمالاتها، و ضبط أحكامها، و إبقاء المجال مفتوحاً للوقوف على الجديد فيها. و قد سلك ابن هشام في أثناء استعماله بالحديث الشريف منهجاً متميزاً تحدده الملاحظات التالية :

— إنه لا يقبل الاحتجاج بأي حديث ما لم تدعمه شواهد من القرآن الكريم أو من كلام العرب و لذلك فالشواهد عنده مكتملة لبعضها البعض في تثبيت قاعدة أو توجيه رأي أو تصحيح دلالة. و نلحظ ما نجد عنده استدلالاً منفصلاً وحيداً، فابن هشام دائماً يستمسك بتوثيق كل ما يأتي به من مادة و شواهد فيوثق المادة بالشواهد، ويدعم الشواهد بغيرها من مصادر الاستدلال الأخرى، و بخاصة الحديث الشريف، الذي شهد على صحته و حكم على فصاحته و على ضرورة الاحتجاج به عن طريق الشواهد. — تنوعت، ففي موضع الحديث عن ربِّ و إفادتها للتكثير غالباً و للتقليل قليلاً يقول ابن هشام:

" فمن الأول مَرْبِماً يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (3) و في الحديث يَا رَبِّ كَاسِيَةً لِي الدُّنْيَا عَارِيَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (4) و سمع أعرابي يقول بعد انقضاء رمضان يَا رَبِّ صَلِّ لِي بِرَبِّكَ يَا رَبِّ قَلْبِي لِنَ بَقْوَمِهِ، و هو مما تمسك به الكسائي على إعمال اسم الفاعل للمجرد بمعنى الماضي، و قال الشاعر:

(1) مدرسة فكرية 58.

(2) انظر المرجع نفسه 52.

(3) الحجر 2.

(4) صحيح البخاري [باب التهجد] 62/2.

فَيَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَ لَيْلَةٍ
بِأَسَى كَانَهَا خَطُّ تَمَثَّلِي (1)

و قال آخر :

زُبْمًا أَوْفَيْتُ فِي عَظِيمٍ
تَرْقَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتٍ (2)

و وجه التليل أن الآية و الحديث و المثل مسوقة للتخويف و التوبيخ مسوقان للافتخار و لا يناسب واحد منهما التليل (3) 4.

و في موضع الحديث عن الواو يقول ابن هشام مستشهدا على صحة الحديث المستدل به بما ورد في القرآن الكريم فيقول :

و الثالث عشر: عطف الشيء على مرادفه، نحو ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (4)، و نحو ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَرَحْمَةٌ ﴾ (5)، و نحو ﴿ عِوَجًا وَ لَا لَفْئًا ﴾ (6)، و قوله عليه الصلاة و السلام: ليلني منكم ذوو الأحلام و النهي (7) و قول الشاعر:

و تُغَيُّ قَوْلَهَا كَيْبًا وَ مَيَا (8) 9

.....

و الملاحظ أن ابن هشام يرتب الشواهد ترتيبا قيميا منتقلا من المهم إلى الأهم، إذ يقدم القرآن الكريم على الحديث كما يقدم الحديث على كلام العرب من شعر و نثر، و بذلك تتضح مكانة الحديث الشريف في ترتيب شواهد ابن هشام للمستدل بها.

— إنه لا يترك مجالا للشك في صحة الحديث إذا كان موضع استعماله اللغوي مثيرا لبعض التساؤلات، إذ يلجأ إلى إثباته بإسناده إلى خلفيته المرجعية، و كأنما به يوجهنا إلى النظر و التدقيق في سياق اللفظي قبل للعباس عليه ففي موضع الحديث عن بلي يقول:

و يشكل عليهم أن بلي لا يجاب بها الإيجاب، و ذلك متفق عليه، و لكن وقع في كتب الحديث، ما يقتضي أنها يجاب بها الاستفهام للمجرد، ففي صحيح البخاري في كتاب الإيمان أنه عليه الصلاة و السلام قال لأصحابه: أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة؟ قللوا بلي (10)، و في صحيح مسلم في كتاب الهبة: لم يترك

(1) سبق توثيقه في الفصل الثالث 124.

(2) سبق توثيقه في الفصل الثالث 124.

(3) معني اللبيب 180.

(4) يوسف 86.

(5) البقرة 157.

(6) طه 107.

(7) صحيح مسلم [كتاب الصلاة] 154/4.

(8) و صدره فقلت الأبيوم لراؤشيه و هو من [الوافر] لعدي بن زيد البغدادي، انظر شرح شواهد المعنى 776/2.

(9) معني اللبيب 467.

(10) صحيح البخاري [كتاب الإيمان و النذور] 217/7.

أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى. قال: فلا إذن (1)، وفيه أيضا أنه قال أنت الذي لعيتني بمكة؟ فقال له المجيب: بلى (2)، وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك، لأنه قليل فلا يخرج عليه التنزيل (3) له يعتمد الحديث الشريف دليلا قويا على توجيهه وتصحيح دلالات حروف المعاني التي أخطئ في فهم استعمالها في بعض المواضع ومن ذلك قول ابن هشام مصححا للمعريين قولهم إن لو تفيد امتناع الشرط و امتناع الجواب جميعا والصحيح أنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. (4) ... وقد وقع مثله في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفي كلام الصديق رضي الله عنه و قل من يتبها لهما، فالأول قوله عليه الصلاة والسلام - في بنت أبي سلمة: إنها لو لم تكن ربييتي في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة (4)، فإن خطأ عليه الصلاة والسلام - منتف من جهتين: كونها ربييته في حجره، و كونها ابنة أخيه من الرضاعة... والثاني قوله رمسى الله عنه لما طول في صلاة الصبح وقيل له كانت الشمس تطلع: لو طلعت ما وجدتنا غافلين لأن الواقع عدم غلظتم، و عدم طلوعها، و كل منهما يقتضي أنها لم تجدهم غافلين. أما الأول فواضح، و أما الثاني فلأنها إذا لم تطلع لم تجدهم لليلة لا غافلين، و لا ذاكرين. (5)

- إنه يجتهد بنكاه لإيجاد للعلاقة المنطقية حتى ولو كانت خفية بين المحتوى للدلالي للشاهد القرآني، و المحتوى للدلالي للشاهد من الحديث الشريف، بحيث لا يوجد أدنى مجال للتعارض بينهما فيثبت بذلك صحة الحديث في مثل قوله عن الباء: "... و الثامن: المقابلة، و هي الداخلة على الأعراض، نحو اشتريته بألف و كالمات إحسانه بضعف و قولهم هذا بذلك و منه: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون (6)، و إنما لم نقرها بباء السببية كما قالت المعتزلة، و كما قل للجميع في أن يدخل أحدكم الجنة بعمله (7)، لأن المعطى بعوض قد يعطى مجانا، و أما المسبب فلا يوجد بدون السبب، و قد تبين أنه لا تعارض بين الحديث و الآية، لاختلاف محملي البائنين جمعا بين الأدلة (8).

- إن الحديث الشريف عند ابن هشام هو مطية لاستنباط دلالات و المعاني التي خفيت على السابقين عن طريق التنبيه إليها بحرف المعنى الذي يتضمنه الحديث من ذلك قول ابن هشام في موضع الحديث عن حتى و إفادتها لمعنى إلا في الاستثناء:

-
- (1) صحيح مسلم [كتاب الهبات] 68/11، و فطر مسند أحمد 269/4.
 - (2) لم اجد إليه في كتب الصحاح.
 - (3) معني اللبيب 154.
 - (4) صحيح البخاري [كتاب النكاح] 12/7.
 - (5) معني اللبيب 343.
 - (6) النحل 32.
 - (7) صحيح البخاري [كتاب الرقاق] 122/8، و صحيح مسلم [كتاب صفة القيامة و الجنة و النار] 160/17، 161. و قد روي الحديث فيها من غير حرف "الله".
 - (8) معني اللبيب 141، و فطر الكشف 408/2.

"... و جعل ابن هشام من ذلك الحديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه (2) إذ زمن الميلاد لا يتناول فتكون حتى، فيه للغاية، و لا كونه يولد على الفطرة علته اليهودية و النصرانية، فتكون فيه للتعليل، و لك أن تخرجه على أن فيه حذفاً أي يولد على الفطرة، و يستمر، على ذلك حتى يكون... (3)

- إن الحديث الشريف عند ابن هشام يمسع لغات كثيرة عربية صالحة للاحتجاج، و الاستدلال بها على استعمالات لغوية معينة، و هذه السعة قد يسندوها ابن هشام لمصدرها حتى لا يترك مجالاً لردّها و رفضها، فيقول في موضع الحديث عن أم.

"الرابع: أن تكون التعريف، نقلت عن طيء، و عن حمير، و أقشدوا:

ذاك خليلي و نوّ يواصلني يرمي، و رثي بامسهم و لمسلمه (4)

و في الحديث: لومس من أمير مصيول في أمشقر (5) كذا رواه القنبر بن تولى رضي الله عنه (6)، و قيل: إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي لا تدغم لام التعريف في أولها نحو غلام، و كتاب، بخلاف رجل و ناس و لباس. (7)

و يقول في موضع الحديث عن الولو:

"الثاني عشر: و او علامة للمذكرين في لغة طيء أو أزد شنوء أو بلحارث، و منه الحديث، يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، و ملائكة بالنهار (8)، و قوله:

لأولم و آني في أشيراء فأنخيه لي أهلي فكلهم قوم (9) (10)

إن ابن هشام يتخذ من الحديث الشريف في مواضع كثيرة منقذاً لإثبات وجه استعماله لا يجد له إثباتاً قوياً في الشواهد الأخرى، فيحتاج بالحديث كتليل لا يُرد على ذلك، بخاصة إذا كان الحديث مروياً بصيغة موحدة من ذلك قول ابن هشام في موضع الحديث عن لو و مجيء ما بعدها خبراً لكان محنوفة:

(1) و يعني به ابن هشام الحضراوي. انظر مغني اللبيب 169.

(2) صحيح البخاري [باب إذا سلم الصبي فقلت] 119، 118/2، و صحيح مسلم [كتاب القدر] 210/6، و لم يرد فيهما الحديث بهذه الرواية.

(3) معنى اللبيب (170).

(4) من [المسرح] لجبير بن نعمة الطائي. انظر شرح شواهد المغني 159/1، و شرح لميات المغني 288/1.

(5) المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري [كتاب الصرم] 433/1.

(6) شاعر محضرم، عمر طويلاً في الجاهلية ثم أسلم و كانت له صحبة، (ت 14هـ)، انظر الشعر و الشعراء لابن قتيبة 195.

(7) مغني اللبيب 71، 70.

(8) صحيح البخاري [كتاب التوحيد] 154/9.

(9) من [المفتقر] فقله مجهول. انظر شرح شواهد المغني 783/2.

(10) معنى اللبيب 478.

و الثالث نحو الشمس و لو خاتمًا من حديد⁽¹⁾، و اضرب و لو زيدا، و ألا ماءً، و لو باردا، و قوله:

لا يأمن الدهر ذو بغي و لو ملكاً جنوده ضاقت عنها السهل و الجبل⁽²⁾ (34)

و نختم في الأخير من خلال ما مثلنا به سابقا لأسلوب ابن هشام في الاحتجاج بالحديث الشريف إلى القول: إن ابن هشام استعان كثيرا بالأحاديث في عرض دلالات حروف المعاني و توثيقها كما اعتمدها في تحليلاته و تخريجاته الإعرابية مثبتا صحة تلك الأحاديث و فصاحتها بما عرضه من شواهد لقرآن الكريم و كلام العرب المنظوم و المنثور و إذا كان ما عرضنا له من أحاديث على سبيل المثال لا الحصر فإن هذا الجدول سيكشف لنا بالترتيب الأحاديث التي وظفها ابن هشام في تفسيره لحروف المعاني فقط من غير الأدوات الأخرى الاسمية و القلبية.

جدول الأحاديث الشريفة الواردة مع حروف المعاني في الباب الأول من المعاني.		
الحرف	الحديث الشريف كما ورد مع الحرف	موضعه بالكتاب
الألف (همزة)	و ابن زنى و ابن سرق ⁽⁴⁾	21
بَ	و بئنا إن شاء الله بكم لاحقون؟ ⁽⁵⁾	39
بِ	إن قعر جهنم سبعين خريفاً ⁽⁶⁾	55
	إن من لشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون ⁽⁷⁾	428,378,56
لَم	ليس من لمبرامصيام في امسفر ⁽⁸⁾	71
أَيَّ	أَيَّ رَبِّ؟ ⁽⁹⁾	106
الباء	لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ⁽¹⁰⁾	141
//	لا يزني الزاني و هو مؤمن، ولا يشرب الخمر	

(1) صحيح البخاري [كتاب النكاح] 8/7.

(2) من [اليسيل] قلته مجهول شرح شواهد المعاني 658/2، و شرح أبيات المعاني 81/5.

(3) معني التيب 353، 354.

(4) صحيح البخاري [باب الجنائر] 89/2، 90 و صحيح [سلم كتاب الإيمان] 94/2.

(5) صحيح مسلم [كتاب الجنائر] 41/7.

(6) المصدر نفسه [كتاب الإيمان] 72/3.

(7) صحيح البخاري [باب التماثيل] 215/7 و صحيح مسلم [كتاب القياس و الزينة] 88/14.

(8) المصدر لك على الصحيحين [كتاب الصوم] 433/1.

(9) صحيح مسلم [كتاب الإيمان] 23/3، و مسند أحمد 74/3.

(10) صحيح البخاري [كتاب الفرقاء بلب الفصد] 122/8 و صحيح مسلم [كتاب صفة القيامة و الجنة و النار] 161، 160/17.

الحرف	الحديث الشريف كما ورد مع الحرف	موضعه بالكتاب
//	حين يشربها و هو مؤمن ⁽¹⁾	147
//	* كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع ⁽²⁾	148
بلى	* لترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: بلى ⁽³⁾ ليسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال بلى، قال فلا إذن ⁽⁴⁾	154
	* أنت الذي لقيتني بمكة فقال له للمجيب بلى ⁽⁵⁾	154
ثم	* لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل منه ⁽⁶⁾	161
حاشا	* لسانة أحب للناس إلي ما حاشا فاطمة ⁽⁷⁾	164
حتى	* لنا بك وإليك ⁽⁸⁾	168
	* كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون لبواه هما للذئب يهوديه أو ينصرانه ⁽⁹⁾	170
رُبَّ	* يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة ⁽¹⁰⁾	180
عن	* صومي عن أمك ⁽¹¹⁾	196
القام	* فلن جاء صاحبها و إلا استمتع بها ⁽¹²⁾	219
في	* إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ⁽¹³⁾	224

(1) صحيح مسلم [كتاب الإيمان] 41/2، و سنن الترمذي 1: 7/4.

(2) سنن أبي داود [كتاب الأدب] 298/4.

(3) صحيح مسلم [كتاب الإيمان] 72/3.

(4) المصدر نفسه [كتاب الهبات] 68/11، و مسند أحمد 2: 69/4.

(5) لم أجد إليه.

(6) صحيح البخاري [كتاب الوضوء] 69/1.

(7) المستدرک علی الصحیحین [كتاب معرفة الصحابة] 596/3.

(8) صحيح مسلم [كتاب الأدعية] 39/17.

(9) صحيح البخاري [باب إذا أسلم الصبي فمات] 119، 118/2، و صحيح مسلم [كتاب الفجر] 210/6.

(10) المصدر نفسه [باب التهجيد] 62/2.

(11) صحيح مسلم [كتاب الصوم] 25/8.

(12) صحيح البخاري [كتاب الفقه] 162/3.

(13) المصدر نفسه [كتاب بدأ الخلق] 157/4.

تابع للجدول السابق		
الحرف	الحديث الشريف كما ورد مع الحرف	موضعه بالكتاب
كي	"فَيَذْهَبُ كَيْمَا فَيَعُودُ ظَهْرَهُ طَبْعًا وَاحِدًا" (1)	243
اللام	"أَسْتَرْطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ" (2)	280
	"حَسُمُوا لِرُؤْيَيْهِ وَافْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ" (3)	281
	"قَوْمُوا فَلَأَصِلْ لَكُمْ" (4)	296
	"لَتَأْخُذُوا مَصَافِكُمْ" (5)	300, 297
لا	"ثُمَّ إِنَّ الْعَنْبِتَ لَا لِرِضَا قَطْعٍ وَلَا ظَهْرًا لِبَقَى" (6)	320
لو	"إِنَّمَا لَوْلَمْ تَكُنْ رَبِّيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي لَهَا لَابَنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ" (7)	343
	"أَعْطُوا السَّائِلَ وَ لَوْ جَاءَ عَلَى فَرْسٍ" (8)	348
	"تَصَدَّقُوا وَ لَوْ بِظُلْفٍ مَحْرُوقٍ" (9)	353
	"الْأَتَمُّسُ وَ لَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ" (10)	353
لولا	"لَوْلَا لَنْ أَلْشِقَّ عَلَى أَمْنِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسُّلُوكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" (11)	359
	"لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُوا عَهْدَ بِالْإِسْلَامِ لَهَدَمْتَ لَلْكَعْبَةِ" (12)	360
لعل	"وَ مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ" (13)	380

(1) صحيح البخاري [كتاب التوحيد] 159/9 و صحيح مسلم [كتاب الإيمان] 96/3 .

(2) سنن النسائي [كتاب المقاتل] 164/6 .

(3) صحيح البخاري [كتاب الصوم] 35/2 و صحيح مسلم [كتاب الصوم] 190/7 .

(4) المصدر نفسه [كتاب الصلاة] 160/1 .

(5) سنن الترمذي 46/5 و مسند أحمد 243/5 .

(6) كشف الخفاء للعجلوني 300/1 .

(7) صحيح البخاري [كتاب النكاح] 12/7 .

(8) شرح موطأ الإمام مالك [باب ما جاء في المساكين] 255/4 و مسند أحمد 201/1 .

(9) المصدر نفسه [باب ما جاء في المساكين] 129/4 و مسند أحمد 70/4 .

(10) صحيح البخاري [كتاب النكاح] 8/7 .

(11) صحيح مسلم [كتاب الطهارة] 143/3 .

(12) صحيح البخاري [كتاب الحج] 180/2 و صحيح مسلم [كتاب الحج] 88/9-90 .

(13) المصدر نفسه [تفسير سورة الممتحنة] 186/6 .

تابع للجدول السابق		
الحرف	الحديث الشريف كما ورد مع الحرف	موضعه بالكتاب
ما	"أحق ما أكل للرجل من كسبه، و إن ولده من كسبه" (1)	415
من	"فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة" (2)	420
	"و لا ينفع ذا اللجد منك اللجد" (3)	422
نعم	"أستم ترون لهم ذلك" (4)	453
هل	"و هل ترك لنا عفيل من رباع" (5)	458
الولو	"ليلني منكم نوو الأحلام و انتهى" (6)	467
	"يتعلقون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار" (7)	478

(1) سنن النسائي [كتاب البيوع] 241/7 و مسند أحمد 31/6.

(2) صحيح البخاري [كتاب الاستسقاء] 36/2.

(3) المصدر نفسه [كتاب الاعتصام] 118/9 و صحيح مسلم [كتاب الصلاة] 194/4.

(4) لم ائت إليه في كتب الحديث المعروفة.

(5) صحيح البخاري [كتاب الحج] 181/2.

(6) صحيح مسلم [باب تسوية الصفوف] 154/4.

(7) صحيح البخاري [كتاب التوحيد] 154/9.

المبحث الثالث

كلام العرب

- 1- موقف ابن هشام من الشواهد الشعرية
- 2- أسلوب ابن هشام في الاستشهاد بالشعر على توثيق دلالات حروف المعاني
- 3- استدلال ابن هشام بلغات العرب وشواهدهم النثرية

1 موقف ابن هشام من الشواهد الشعرية:

إذا كان استشهاد ابن هشام بالعران الكريم و قراءاته قد أخذ نصيبا وافرا من حجم الشواهد الأخرى المنبغية، التي وثق بها مادة حروف المعاني، فإن الشواهد الشعرية تحتل المرتبة الثانية⁽¹⁾ من حيث الوفرة والكثرة فيما احتج به ابن هشام. وليس هذا أمرا غريبا إذا كان الشعر قد لقي "... اهتماما كبيرا من اللغويين و اعتبروه الدعامه الأولى لهم حتى تخصصت كلمة للشاهد فيما بعد و أصبحت مفصورة على الشعر فقط و لذلك نجد كتب الشواهد لا تحوي غير الشعر، و لا تهتم بما عداه.⁽²⁾

و قد اعتمد ابن هشام كما اعتمد النحاة و اللغويون من قبله على الشعر اعتمادا كبيرا في استنباط القواعد و الأحكام، و توجيه التراكيب و معانيها، مصداقا لقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- " الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه."⁽³⁾

درس ابن هشام شواهد الشعرية دراسة تاريخية أدبية، و نحوية لغوية، أخضعها لميزان نقدي؛ احتكم فيه إلى الغلبة و الكثرة و الندرة و القلة و الإطراد⁽⁴⁾. كما وسع من دائرة الاستشهاد و الاحتجاج بالشعر، إذ قادتته تدريباته الإعرابية و الدلالية إلى تخطي عصور الاحتجاج⁽⁵⁾ فاستأنس بشعر من هم خارج عصر الاحتجاج كالمتنبى⁽⁶⁾، و أبي نواس⁽⁷⁾، و أبي العتاهية⁽⁸⁾... فمثل بشعرهم على توثيق دلالات حروف المعاني، ذلك لأن البحث في المعاني و الدلالات يقتضي التوسع في التمثيل بالشعر و الاستدلال به، إذا كان يحتكم إلى السلامة. فالمعاني لا يمكن أن يفيدها بزمان أو عصر يحد من ثرائها و ثباتها، و هذا هو الأمر الذي جعل واحدا كابني عمرو بن العلاء يقول: " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، و لو جاعكم و افرا لجاعكم علم شعر كثير، فهذا ما نراه، و قد روي في معناه كثير."⁽⁹⁾ لقد فتح ابن هشام عندما وسع دائرة احتجاجة بالشعر في المعاني و الدلالات المجال للمتابعة و النظر، و العمل على إثراء للمباحث اللغوية بما قالته العرب، ومما اتفق على سلامته. و لم يكن الأول الذي شجع على ذلك، فواحد مثل ابن قتيبة احتكم قبله إلى

(1) انظر ما جاء في هذا الفصل هامش 240.

(2) البحث اللغوي عند العرب 39.

(3) القمعة لابن رشيقي 27/1.

(4) انظر المرمر في علوم اللغة 140/1.

(5) و عصور الاحتجاج ممثلة في طبقة الشعراء الجاهليين، و طبقة الشعراء المخضرمين، و طبقة الشعراء الإسلاميين، و اخرهم ابراهيم بن هرمة (انظر 170هـ)، انظر المرمر في علوم اللغة 265/2، و البحث اللغوي عند العرب 43، 44.

(6) انظر مغني القليب 20، 69، 109.

(7) انظر المصدر نفسه 200، 211.

(8) انظر المصدر نفسه 376.

(9) المختصر 386/1.

شهرة الشاعر في الاستدلال بشعره فيقول موضحاً الغرض من وضعه كتاب الشعر و الشعراء: ^١ ... و كان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الألب و الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، و في النحو، و في كتاب الله عز و جل، و حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم. ^(١)

إن المنهج الذي اتبعه ابن هشام حينما راح يترصد الأدلة و يتتبع الخطأ فيصوبه، هو الذي فرض عليه توسيع دائرة تدريباته و تطبيقاته الشعرية من غير حدود زمنية صارمة، لأنه كان مدركاً لأصول الاستدلال بالشعر العربي، و هو القائل في بيت لأبي علاء المعري لورده في واحد من مؤلفاته: ^٢ ... و ليس ذكر هذا البيت للاستشهاد بل للتمثيل، لأن المعري لا يحتج بشعره، و لقد لحنه في هذا البيت القائلون يوجب حذف بعد لولا مطلقاً. ^(٢)، فالرخصة التي أعطاه ابن هشام لنفسه في الاحتجاج بشعر من هم خارجين عن عصور الاحتجاج مبنية على أصول عقلية أقام عليها مؤلفه مغني اللبيب إذ يقول: ^٣ ... و تتبعت فيه مقفات مسائل الإعراب، فالتحتتها، و معضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها، و نقحتها، و أغلطها، وقعت لجماعة من المعربين و غيرهم فتبعت عليها و أصلحتها. ^(٣)

وإنك كان مذهب ابن هشام هو رفض الخطأ و الغامض و العويص يتبعه و يرصده، مستنداً إلى كل ما امتاز بالفصاحة و الصفاء و السلامة من الفساد، و قد تعين هذا المبدأ بوضوح في الباب الأول من كتابه مغني اللبيب، فتتبع ابن هشام لدلالات و معاني المفردات، ألزمه بتتبع الشواهد للكثيرة، و المتنوعة من الشعر العربي. فالمعاني كما سبق أن قلنا ليست حكرًا على مرحلة زمنية معينة ^٤ و ذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها، فتصلحها، و تهذبها، و تراعيها، و تلاحظ أحكامها بالشعر تارة و بالخطب أخرى، و بالأسجاع التي تنزّمها و تتكلف استمراره، فإن المعاني، أقوى عندها، و أكرم عليها، و أفحم قنرا في نفوسها. ^(٤)

فبسبب تعدد المعاني التي تحقّقها المفردة أو الحرف الواحد، نجد الأسلوب العربي يحمل معاني متعددة تبعاً للمعنى الذي يحققه الحرف، فقد يوجد في شعر المتأخرين من المعاني التي يستأنس بها و يمثل لها ما لا يوجد في شعر الأوائل، و هذا مما دعا أبا عمرو بن العلاء إلى القول ^٥ لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبيقتنا بروايته. ^(٥)

ولكن ابن هشام استدل بالشعر الذي ناسب موضع شرحه و تفسيره فقلده إلى لفظة متفردة بغض النظر عن الزمن الذي قيل فيه، لو من قائله؟ لقد كان يتحرى السلامة و الفصاحة، فإذا وقع على أبيات شعرية قائلها

(١) الشعر و الشعراء 21.

(٢) تخليص الشواهد و تلخيص الفوائد 209.

(٣) مغني اللبيب 12.

(٤) الفصائل 215/1.

(٥) السدة لابن رشيق 90/1.

مجهول، و سررت سيرا سليما فهو لا يجد مانعا من إيرادها، و تدعيم حكم لو قاعدة بها، و قد يقع على شعر قائله معروف، فلا يجد حرجا في توجيهه و تصويبه من ذلك قوله في موضع الحديث عن إلّا و توجيه بيت لذي الرمة مستدل به:

“ و الرّبيع: أن تكون زائدة، قاله الأصمعي و ابن جني، و حمل عليه قوله:

حراجيج ما تنفك إلا مناخةً على الخسف أو نرمي بها بلداً قفراً (1)

... و أما بيت ذي الرمة، فقيل: غلط منه، و قيل: من الرواة، و ابن الرواية الّا بالتثنية، أي شخصا، و قيل: تنفك تامة، بمعنى ما تنفصل عن التعب، أو ما تخلص منه، ففيها نفي، مناخة: حال، و قتل جماعة كثيرة: هي نالصة و الخبر على الخسف و مناخة حال و هذا فاسد، لبقاء الإشكال، إذ لا يقال جاء زيد إلا راكبا (2)

2- أسلوب ابن هشام في الاستشهاد بالشعر على توثيق دلالات حروف المعاني:

كان موقف ابن هشام من الشواهد الشعرية مظهرا من مظاهر تميز أسلوبه في استثمارها، و التعامل معها على خلاف السابقين له. و قد كان معياره في ذلك دقيقا في ملاحقة الخطأ و تصويبه، من أجل إرساء قواعد اللغة و تعيين دلالات الحروف و استعمالاتها.

- لقد بدا ابن هشام عالما بالشعر و حافظا لمناسباته و رواياته و متربكا للطائفة من ذلك قوله في موضع حديثه عن الهمزة [الألف] و مجيئها للإنكار الإبطالي:

“ ... و لهذا أيضا كان قول جرير في عبد الملك

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطْلِيَا وَ لَدَيَّ الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَح (3)

منحا، بل قيل: إنه أمدح بيت قائله العرب. و لو كان على الاستفهام الحقيقي لم يكن منحا لثبته (4)

- كان لا يكتفي بإيراد النص الشعري المستدل به فقط، و إنما يلجأ كثيرا إلى إرفاقه بمتابعات و استطرادات أدبية و تاريخية، و نحوية، و من ذلك قوله في موضع الحديث عن كان:

ثم قوم لن كلن قد تنصب الجزلين، و أنشدوا:

كلن لئنني إذا تشوقا قائمة أو قلما محرّقا (5)

ف قيل للخبر محذوف، أي يحكيان، و قيل: إنما الرواية تغال لئنني و قيل الرواية قلما أو قلما محرّقا بألفات غير متونة، على أن الأسماء مشاة، و حذفت النون للضرورة، و قيل أخطأ قائله، و هو أبو نخيلة و قد أنشده

(1) من [المطول] لذي الرمة و هو من شواهد سيويه، انظر لكتاب 48/3، و شرح شواهد المعنى 219/1 و شرح لبيت المعنى 109/2.

(2) معني اللبيب 101، 102.

(3) سبق توثيقه في الفصل الخامس 138.

(4) معني اللبيب، 25.

(5) من [الرجز] لمحمد بن ذؤيب العماني الراجز، انظر شرح شواهد المعنى 515/2 و شرح لبيت المعنى 178/4.

بحضرة الرشيد فلهذه أبو عمرو، و الأصمعي، و هذا وهم فإن أبا عمرو توفي قبل الرشيد... (1)^١
 - إنه يُعَيَّن حدود استعمال دلالة الحرف عن طريق الاستقراء الكمي للشواهد الشعرية المناسبة لموضع استعمال الحرف، فيقول في أثناء حديثه عن أن في موضع من م... م مجيئها زائدة:
 " الثالث - و هو نادر - أن تقع بين الكاف، و مخفوضها كقوله:

و يوماً توافيناً بوجهٍ مَقْسَمٍ كأنَ طَبِيبَةٍ تَعطو إلى وارقِ السَّلَمُ (2)

في رواية من جر الظبية. (3)^٢

و في موضع الحديث عن الحرف عن و مجيئه بمعنى جانب يقول:
 " الثالث: أن تكون اسماً بمعنى جانب، و ذلك يتعين في ثلاثة مواضع.

أحدها: أن يدخل عليها من و هو كثير كقوله:

فَلَقَدْ لَرَأَيْتِي لِلرَّماحِ دَرِينَةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً و لَمَامِي (4)

... الثاني: أن يدخل عليها على و ذلك نادر، و المحفوظ منه بيت واحد، و هو قوله:

عَلَى عَن يَمِينِي مَرَّتِ الطَّيْرُ سَنَحًا (5) (6)^٣

فالكثرة و الندرة من مقاييس ابن هشام في استثمار شواهد الشعرية، و اعتماده لها في تثبيت دلالات الحروف و استعمالاتها و ضبط أحكامها، و هذا مما تميز به عن سابقه من النحاة و اللغويين.
 - إن ابن هشام لا يتوانى عن شرح مفردات شواهد الشعرية شرحاً معجمياً لغوياً، إذا كان ذلك يخدم تخريجه لدلالة الحرف فيقول في موضع حديثه عن عن و مجيئها بمعنى أي:
 " السادس: الظرفية كقوله:

و أسير سراً الحَيِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ و لَأَقْبَعُ عَن حِمْلِ الرِّبَاعَةِ وَفِيًّا (7)

الرِّبَاعَةُ: نجوم الحملية، قيل لأن وني لا يتعدى إلا بلي بليل ﴿وَلَا تَنِيَّأْ لِي نَكْرِي﴾ (8)، و الظاهر أن

(1) معني اللبيب 255.

(2) من [الطويل] و قد اختلف في نسبه، فهو عند سيوبه لباعث بن صريم البشكري. انظر الكتاب 134/2، و هو عند السيوطي إما لباعث بن أرقم أو باعث بن صريم أو أرقم بن عطاء. انظر شرح شواهد المعنى 111/1، و هو عند البغدادي إما لباعث ابن صريم البشكري، أو لراشد بن شهاب البشكري، انظر شرح أبيات المعنى 159/1.

(3) معني اللبيب 51.

(4) سبق توثيقه في الفصل الثالث 113.

(5) سبق توثيقه في الفصل الثالث 443.

(6) معني اللبيب 199.

(7) من [الطويل] للأعشى ميمون بن قيس، انظر شرح شواهد المعنى 434/1، و شرح نيفت المعنى 299/3.

(8) طه 42.

معنى ونى عن كذا جاوزه و لم يدخل فيه و فتر^(١).

و هذا الشرح اللغوي الذي يخص به ابن هشام بعض شواهد الشعرية قد يكون اللجوء إليه من باب الاستطراد و تحقيق الفائدة لا غير، بخاصة إذا كانت مفردات البيت الشعري غريبة عن ذلك قوله في موضع الحديث عن لا:

“و لا يمتنع العطف بها على معمول الفعل الماضي خلافا للزجاجي أجاز يقوم زيد لا عمرو و منع قلم زيد لا عمرو و ما منعه ميموع فمنعه مدفوع، قال امرؤ القيس:

كَانَ نِثَارًا حَلَقْتُ بِلَبُونِهِ عَفَابُ تَوَفِي لَا عَفَابُ لِقَوَاعِلِ (2)

نثار: اسم راع، و حلقت: ذهبت، اللبون: نوق نولت لبن، و تتوفي جبل عال، و لقواعل: جبال صغار... (3)

- إنه يعنى كثيرا بالشرح الألبى لبعض الشواهد الشعرية فيتخذ من ذلك الشرح مطية للكشف عن استعمال دقيق للحرف، و توضيحا للشواهد الأخرى التي اختلف فيها، من ذلك قوله في موضع الحديث عن الباء و توجيه قول القائل بمجيئها للتبعض في قوله تعالى:

“... وَ أَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ” (4)، و الظاهر أن الباء ... للإصاق، و قيل: هي في آية الوضوء للاستعانة، و إن في الكلام حذفا و قلبا، فإن مسح يتعدى إلى المزال عنه بنفسه، و إلى المزيل للباء، فالأصل امسحوا رؤوسكم بالماء و نظيره بيت للكتاب:

كَنَواحٍ رِيثٍ حَمَامَةٍ تَجِدِيَّةٍ وَ مَسَحَتْ بِاللَّيْتَيْنِ عَصْفَ الْإِثْمِدِ (5)

يقول: إن لثائك تضرب إلى سمرة، فكأنك مسحتها، بمسحوق الإثمد، فقلب معمولي مسح... (6)

و في موضع الحديث عن إذ و مجيئها للتعليل يستشهد شارحا و محلا:

“و قول الأعشى:

إِنِّ مَحَلًّا وَ إِنِّ مَرْتَحَلًّا وَ إِنِّ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًّا (7)

أي إن لنا حولا في الدنيا، و إن لنا ارتحالا عنها إلى الآخرة، و إن في الجماعة الذين ماتوا قبلنا إمهالا لنا، لأنهم مضوا قبلنا، و بقينا بعدهم، و إنما يصبح ذلك كله على القول بأن إذا التعليلية حرف كما فهمنا. (8)

فابن هشام لا يكتفي بفك مقفلات الأبيات و إنما قد يستخلص منها قيما و أحكاما من ذلك قوله في موضع:

(1) مغني اللبيب 197، 198.

(2) من [الطويل] لامرؤ القيس النيبون 174، و انظر شرح شواهد المغني 616/2، و شرح أبيات المغني 384/4.

(3) مغني اللبيب 318، 319.

(4) المائدة 6.

(5) سبق توثيقه في الفصل الخامس 214.

(6) مغني اللبيب 143.

(7) من [المسرح] للأعشى من شواهد الكتاب 141/2 برواية ما مضى، انظر شرح شواهد المغني 238/1، و شرح أبيات المغني 163/2.

(8) مغني اللبيب 114.

الحديث عن أم و مجيئها بمعنى بل ومناقشته هذه الدلالة يقول:

“و قوله:

لَنِي جَزُوا عَامراً سَوْءَ بَفَعْلَهُمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السَّوءَ مِنْ الْحَسَنِ ؟
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ رُئُمانُ لَيْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّسَنِ ؟ (1)

العلوق - بفتح العين المهملة - لئاقة التي علق قلبها بولدها، و ذلك أنه ينحر، ثم يحشى جلده ثبناً، و يجعل بين يديها لتشمه فتكر عليه، فهي تسكن إليه مرة، و تنفر عنه أخرى، و هذا البيت ينشد لمن يعد بالجميل و لا يفعله، لانتواء قلبه على ضده... (2)

و مثل هذه الشروح اللغوية الأدبية كثيرة في عرض دلالات حروف المعاني عند ابن هشام، مما يكشف عن أسلوبه الدقيق، في تقديم الدرس اللغوي، و كيفية تحقيق الغاية التعليمية و الوظيفية لاستعمال جزئيات اللغة استعمالاً صحيحاً سليماً، و مرناً واسعاً.

- إنه لا يتورع عن انتقاد الشاهد الشعري و وضعه في ميزان الرفض و القبول، و لهذا السبب فلا مانع عنده من الاحتجاج و التمثيل بشعر المتأخرين إذا كانت غايته تصويب خطأ و تحديد الاستعمال الصحيح. من ذلك قوله في موضع حديثه عن أم و ورودها محتملة للاتصال و الانقطاع:

“و من ذلك قول المتنبي :

أَحَدٌ أَمْ سِدَاسٌ فِي أَحَدٍ لَيْلَتَانِ الْمَنُوطَةُ بِالسَّادِي؟ (3)

فإن قدرتها فيه متصلة فالمعنى أنه استطال الليلة فشك أوادة هي أم ست اجتمعت في واحدة فطلب للتعيين، و هذا من تجاهل للعرف كقوله:

لِيَ شَجَرَ الْخَبِيرِ مَالِكٌ مَوْقَا؟ كَذَلِكَ لَمْ تَزَعْجْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ (4)

و على هذا فيكون قد حذف الهمزة قبل أحد و يكون تقديم الخبر و هو أحد على المبتدأ و هو ليلتنا تقديماً واجباً، لكونه المقصود بالاستفهام مع سداس، إذ شرط الهمزة المعادلة - أم أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما، و يلي أم لمعادل الآخر، ليفهم السامع من أول الأمر الشيء المطلوب تعيينه، تقول إذا استفهمت عن تعيين المبتدأ أزيد قائم أم عمرو و إن شئت أزيد أم عمرو قائم، و إذا استفهمت عن تعيين الخبر ألقم زيد أم قاعد، و إن شئت ألقم أم قاعد زيد، و إن قدرتها منطقة فالمعنى أنه أخبر عن ليلته بأنها

(1) من [اليسيط] لأفون فتظلي، انظر شرح شواهد المعنى 1/145، و شرح لبيات المعنى 1/242.

(2) معنى اللبيب 67.

(3) من [الولف] للمتنبي ديوان 1/224، وانظر شرح لبيات المعنى 1/274، و قد أهمله السيوطي في شرحه لشواهد المعنى لأنه خرج عن عصور الاحتجاج.

(4) من [الطويل] عزاه السيوطي لليلى بنت طريف، انظر شرح شواهد المعنى 1/148، أما البغدادي فقد عراه إلى الشاعر عذرة أخت الوليد، و قيل فاطمة، و قيل ليلى، انظر شرح لبيات المعنى 1/277.

ليلة واحدة ثم نظر إلى طولها فشك فجزم بأنها ست في ليلة فأضرب، أو شك هل هي ست في ليلة أم لا، فأضرب واستفهم، وعلى هذا، فلا همزة مقترنة، و يكون تقديم أحاد ليس على التوجب، إذ الكلام خبر، و أظهر الوجهين الاتصال لسلامته من الاحتياج إلى تقدير مبتدأ يكون سداس خبراً عنه في وجه الانقطاع، كما لزم عند الجمهور في إنها لأجل أم شاء، و من الاعتراض بجملة أم هي سداس بين الخبر و هو أحاد و المبتدأ و هو ليلتنا، و من الإخبار عن الليلة الواحدة بأنها ليلة، فإن ذلك معلوم، لا فائدة فيه، و لك أن تعارض الأول بأنه يلزم في الاتصال حذف همزة الاستفهام و هو قليل، بخلاف حذف المبتدأ.

و اعلم أن هذا البيت اشتمل على لحنات: استعمال أحاد و سداس بمعنى واحدة، و ست، و إنما هما بمعنى واحدة واحدة و ست ست، و استعمال سداس، و أكثرهم بابه و يخص العدد المعدول بما دون الخمسة، و تصغير ليلة على ليلية، و إنما صغرتهما العرب على ليلية بزيادة الياء على غير قياس، حتى قيل: إنها مبنية على ليلية في نحو قول الشاعر:

... في كل ما يوم و كل ليلة (1)

و مما قد يستشكل فيه أنه جمع بين متباينين: استطالة الليلة و تصغيرها و بعضهم يثبت مجيء للتصغير للتعظيم كقوله:

دويهة تصفر منها الأكليل (2) (3)

- و قد يجد في شعر متأخر من نزل قوي على إثبات دلالة حرف ما لا يجده في شعر السابقين له، ممن يحتج بشعرهم من ذلك قوله في موضع الحديث عن ليل:

حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالباً كقوله:

فيا ليلت الشَّبَاب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب (4) (5)

- و استعانة ابن هشام بشعر متأخر قد يكون تدعيماً لشاهد آخر ثبت الاحتجاج به، و لذلك فلا ابن هشام لا ينقص من شعر الخارجين عن عصور الاحتجاج إذا كان كلامهم لا تنقصه الملاحة و شدة تنغضية و دلالية، من ذلك قوله في موضع الحديث للواو:

و الثامن: عطف ما حقه التنبيه أو الجمع، نحو قول الفرزدق:

(1) و قبله يا و تحه من جمل ما أنشأه من [مشطور السريع] قلته مجهول، انظر شرح شواهد المعنى 58/1، أما البغدادي فقال بإشاد ابن الأعرابي له، انظر شرح أبيات المعنى 280/1.

(2) و صدره: و كل أنس سوف تكحل بينهم من [طويل] للبيد بن ربيعة، انظر شرح شواهد المعنى للبيب 150/1، و شرح أبيات المعنى 289/1.

(3) معنى اللبيب 69، 70.

(4) من [الوافر] لأبي الساهية، انظر شرح ليلت المعنى 163/5 و قد أمهله السيوطي في شرحه لشواهد المعنى لأنه خرج عن عصور الاحتجاج.

(5) معنى اللبيب 375، 376.

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا ففقدانُ مِثْلِ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدٍ (1)

و قول أبي نواس:

لَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَ يَوْمًا وَ ثَلَاثًا وَ يَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ (2)

و هذا البيت يتساءل عنه أهل الأدب، فيقولون: كم أقاموا؟ و الجواب ثمانية، لأن يومًا الأخير رابع، و قد وُصف بأن يوم الترحل خامس له، و حينئذ فيكون يوم الترحل هو الثامن بالنسبة إلى أول يوم. (3)
- إن مادة حروف المعاني إلى جانب كونها مادة لغوية نحوية فهي مادة أدبية، لما حوته من رصيد شعري في توثيق الدلالات و إثبات القواعد و الأحكام، التي يجد ابن هشام نفسه مدفوعا في كثير من الأحيان إلى الاحتجاج بها بمقطوعات شعرية يناقش فيها رأيا أو يوجه بها مسألة: من ذلك قوله في موضع لم التي يجاب عنها بالنعيين، و ليس بلا لو نعم:
... فإن قلت: فقد قال ذو الرمة:

تقول عجوزٌ مدرجيٌ مُنروحاً على بابها عند أهلي و غلبا:
لنؤ زوجةً بالمُصّر، لم نؤ خصومةً أراك لها بالبصرةَ العامَ ثلويًا؟
فقلت لها: لا، إن أهلي جـيرةٌ لأكتبه لَدَها جميعاً و مليا
و ما كنتُ مذ أبصرتني في خصومةٍ أراجعُ - يابنة القوم - قاضيًا (4)

قلت: ليس قوله لا جوابا لسؤلها بل رد لما توهمته من وقوع أحد الأمرين: كونه ذا زوجة، و كونه ذا خصومة، و لهذا لم يكف بقوله لا إذ كان رد ما لم تلفظ به إنما يكون بالكلام تمام فلهذا قال: إن أهلي جيرة - البيت ، و ما كنت مذ أبصرتني - البيت (5)

إن في هذه الوقفة لابن هشام مع هذه المقطوعة تعبير دقيق عن تقويمه لجزئيات التركيب اللغوي و كيفية استعماله استعمالا صحيحا سليما.

- إنه يتتبع شواهد من الشعر تتبعا مرجعا دقيقا، و يبدو أنه لم يكن يستشهد به من الشعر إلا و هو عارف بالخلفية المرجعية التي يستند إليها هذا البيت من ذلك قوله في موضع الحديث عن إلى:

(1) من [الكامل] للفرزدق، انظر شرح شواهد المغني 775/2 و شرح أبيات المغني 80/6 .

(2) من [الطويل] لأبي نواس، انظر شرح أبيات المغني 85/6، و قد أهمله السيوطي في شرحه لشواهد المغني لأنه خارج عن عصور الاحتجاج.

(3) مغني اللبيب 465، 466.

(4) من [الطويل] لذي الرمة، انظر شرح شواهد المغني 139/1، و شرح أبيات المغني 227/1.

(5) مغني اللبيب 63 .

“و ما أصاحب قوماً فينكر قومه لهم إلا و يزيد هؤلاء القوم حباً إليّ هم” (1)

... فإن مراده أنه ما يصاحب قوماً فينكر قومه لهم إلا و يزيد هؤلاء القوم حباً إليه، لما يسمعه من ثنائهم عليهم، و القصيدة في حاملة أبي تمام... (2)

و في موضع حديثه عن أو و مجيئها بمعنى اللولو يقول:
“... و قول جرير:

جاء الخِلافة لو كُنتَ له قَدراً
كما لئى رَبِّه مُوسَى عَلَى قَدَرٍ (3)

و الذي رأيته في ديوان جرير إذ كانت. (4)

و ابن هشام لا يذكر دائماً اسم الشاعر، ففي كثير من مواضع الاستشهاد يتجاوز ذلك، كما أنه أحياناً يستغني عن ذكر البيت و يكتفي بالشطر الذي يحتوي على الشاهد و قد مر معنا من ذلك كثيرٌ فيما مثلنا به في الفصول السابقة، و قد يجد نفسه ملزماً بالاستدلال في مواضع آخر بمقطوعات لو حتى بقصيدة تكون خادمة لغرضه (5).

و إذا كان تتبع ابن هشام لشواهد من الشعر و مناقشته لها و العمل على فك ما لشكل منها و إدراك الخطأ عن طريقها هو الذي جعله يوسع امتدادها الزماني في الاحتجاج، فهذا الأمر أيضاً هو الذي حملته على إيراد أشعار كثيرة لم يعرف لدارسون قائلها، فهو إذن لا يمنع الاستشهاد بالشعر المجهول لقليل إذا توفرت فيه أسس السلامة اللفظية و الاستقامة الدلالية، من ذلك قوله في موضع زيادة إن بعد ألا الاستفتاحية:
“و بعد ألا الاستفتاحية كقوله:

أَلَا إِنَّ مَرَى لَيْلِي فَبْتُ كَثِيباً
أحذرُ لَنْ تَنَأَى النَّوَى بَغْضُوباً (6) (7)

و في موضع الحديث عن ضوابط مجيء أن بمعنى للشرط يقول:

“الثالث: عطفها على إن المكسورة في قوله:

بِمَا لَقِمْتَ وَأَمَّا أَنْتَ مُرْتَجِلاً
فَقُلْهُ يَكْلَأُ مَا تَلْتِي وَمَا تَنْزُرُ (8)

(1) من [البيضا] للمرور الحنظلي العدوي زياد بن منقذ، انظر الشعر و الشعراء، 469.

(2) مغني للبيب 195.

(3) من [البيضا] لجرير، الديوان 275 و انظر شرح شواهد المغني 1/196 و شرح أبيات المغني 26/2.

(4) مغني للبيب 89.

(5) انظر قصيدة حازم القرطاجني في المسألة الزنبرورية، مغني للبيب 123.

(6) من [الطويل] قائله مجهول، انظر شرح شواهد المغني 1/86، و قد عزاه البغدادي على ما ذهب إليه أبو حيان إلى الحسن شيب بن إبراهيم. انظر شرح أبيات المغني 1/115.

(7) مغني للبيب 38.

(8) من [البيضا] قائله مجهول، و قد أعمل ذكره السيوطي، و ذكره البغدادي انظر شرح أبيات المغني 1/179.

الرواية بكسر الهمزة الأولى و فتح الثانية، فلو كانت المفتوحة مصدريةً لزم عطف المفرد على الجملة ... (1)^{٥٤} و ابن هشام إذ يستشهد بالشعر المجهول قلته فلان اللغويين من قبله استشهدوا به^{٥٥} إن صدر عن ثقة يعتمد عليه، و لذا عدّوا الأبيات التي وردت في كتاب سيبويه أصح شواهد اعتمد عليها خلف بعد سلف، مع أن فيها لبياتاً عديدة جهل قائلوها ...

بل إنّ اللغويين و النحاة قد صرحوا بأن تعدد الروايات في البيت الواحد لا يسقط حجيتها، و أن كل رواية سما دلت قد نقلت عن ثقة - يصح الاستشهاد بها ... (2)^{٥٦}

إنّ لشاهد في نظر ابن هشام هو الأساس في العربية، و ما دلم له نظائر فمن العبث رفضه، و من الإحجاف نبذه. (3)

و نخلص بعد هذا التمثيل لطريقة ابن هشام في توظيف شواهد الشعرية إلى القول إنّه كان مستمرا لها، و هو يتحرى في ذلك الصواب و السلامة، و هلل الميزتان لا يمكن أن تتحققا إلا إذا كانت الشواهد كثيرة و مناقشتها متنوعة و ثرية، عن طريق الجمع بين التمثيل للمرن، و الاحتجاج للصارم في أن، و بذلك استطاع ابن هشام أن يحطم بقواعد علمية جديدة الحاجز السميك الذي وضعه لقدماء، و حافظوا عليه بإلزام اللغوي بعدم الاستشهاد بشعر من جاء بعد عصور الاحتجاج إذ لا ينبغي أن يستشهد بشعر واحد كالمتنبّي أو لبي نولس أو لبي تمام ... فهؤلاء ممن يُقطع بعدم حجية أشعارهم. و قد ألمح ابن هشام من خلال ما مثل به من شعر بعض المتأخرين إلى أن توسيع حدود الاحتجاج و التمثيل يخدم اللغة أكثر مما يضر بها، طالما أن المنهج المتبع في ذلك يقوم أساسا على متابعة الخطأ و تصويبه، و تحري الأئمة أينما وجدت لتدعيم الأصول النحوية و اللغوية؛ و إلا كيف نجيز للنحوي أو اللغوي الاستشهاد بشعر لمجهول و حجته في ذلك للرخصة الزمنية و لا نجيز له أن يستشهد، و يحتج بشعر شاعر معروف و قد يكون مشهورا، فيمكن للدارس أن يقوم و يتحكم فيه من خلال مصدره الزمني و المكاني، إذا كان واضعا نصيب عينه ميزان القضاة و الصفاء و السلامة من الخطأ.

3- استدلال ابن هشام بلغات العرب و شواهدهم الشعرية:

كانت لغات العرب و أقوالهم المأثورة و أمثالهم السائرة ضرب من ضروب التحكم في الوسائل اللغوية عند ابن هشام، إذ استعان بها ابن هشام بكثرة في توثيق دلالات حروف المعاني و ضبط أحكامها، و تتبع عوارضها. و مما لا شك فيه أنه قد استن له في كل وقفة استدلالية طريقا و منهجا معينا.

(1) معنى اللبيب 54.

(2) البحث اللغوي عند العرب 40.

(3) المدرسة النحوية في مصر و هشام 425.

لقد استدل ابن هشام بلغات عربية متنوعة، ناقش و حلل أمورا كثيرة عن طريقها، فجوزها و اتخذها مطية للانتساع اللغوي، و مسوغا للمرونة الإعرابية، التي ألفت عنده -دائما- المجال مفتوحا للبحث و المتابعة، فهو لم يفاضل بين اللغات، و لم يقطع بفصاحة لغة على حساب أخرى، و منهجه في ذلك يوافق المبدأ الذي سته ابن جني قال: " و ليس لك أن ترد إحدى اللغتين (1) بصاحبها لأنها ليست أحق بذلك من رصيلتها، و لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، و تعتقد أن أقوى للقياسين أقبال لها، و أشد أنسابها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا، ألا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه و سلم: نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شافا (2) "

فابن هشام لم يهدر لغة من اللغات فكلها حجة لا ترد في إعطاء الدليل المتنوع و كل واحدة قادرة على استيعاب موضع من مواضع دلالات و أحكام حروف المعاني لكثيرة. و قد تكون اللغة هي الرخصة التي تسمح بغير حديث شريف، أو قراءة معروفة و قد مرت معنا سابقا أمثلة على ذلك فلغة طيء (3) أو أزد شنوءه (4) أو بلحارث (5) أو الحجاز (6) أو تميم (7) أو كنانة (8) أو غيرها مصادر قوية استقى منها ابن هشام أدلته التي وثق بها دلالات و وجوه استعمال حروف المعاني، من ذلك قوله في موضع الحديث عن نعم تنطق " بفتح العين و كنانة تكسرهما، و بها قرأ الكسائي، و بعضهم يبدلها حاء، و بها قرأ ابن مسعود... (9) " فابن هشام لا يقبح لغة من اللغات و لا يرفضها، بل يلتزم لها توظيفا عمليا متوخيا في ذلك الدقة و التنويع، من ذلك قوله موضع الحديث عن الحرف ها في حالة اتصاله بـ أي في النداء: " و يجوز في هذه في لغة بني أسد، أن تحذف ألفها، و أن تضم هاؤها لتباعا، و عليه قراءة ابن عامر في لئمة المؤمنين (10) في آية التقلان (11) في لئمة المتأخر (12) ... (13) "

(1) و يقصد بذلك اللغة التيمية و اللغة الحجازية .

(2) الفصائل 10/2 .

(3) انظر مغني اللبيب 478، 70 .

(4) انظر المصدر نفسه 478 .

(5) انظر المصدر نفسه 478، 58 .

(6) انظر المصدر نفسه 388، 399 .

(7) انظر المصدر نفسه 83، 198، 315 .

(8) انظر المصدر نفسه 451 .

(9) المصدر نفسه 451 .

(10) النور 31 .

(11) الرحمن 31 .

(12) الخرف 49 .

(13) مغني اللبيب 456، و قد سبق تخريج القراءة في هذا الفصل

و شكداً فقلعه و العراء عند ابن هشام لا ينفصلان، فاللغة هي أقوى مسوغ للقراءة مما لا يمكن رده.
و في موضع حديثه عن الحرف عن تكون اللغة مسوغاً لوجه صوتي يتألف منه «- رن» أن تكون حرفاً
مصدرياً، و ذلك أن بني تميم يقولون في نحو أعجبني أن تفعل: عن تفعل، قال ذو الرمة:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصباغة من عينيك مسجوم⁽¹⁾

يقال: ترسمت الدار أي تأملتھا، و سجم التمتع: سال، و سجمته العين لسلاته، و كذا يفعلون في أن المشددة،
فيقولون: أشهد عن محمد رسول الله، و تسمى عننة تميم⁽²⁾.

و لم يسلك ابن هشام طريقة النحاة و اللغويين القدماء الذين كانوا يصححون بعض اللغات⁽³⁾ فسيبويه⁽⁴⁾ كان
مهتماً باللغة للحجاز، فهو يراها، أفصح اللغات، و كان يصفها بأنها اللغة القديمة الجيدة كما وصف مجموعة
من اللغات القبيحة و القبيحة جداً⁽⁵⁾.

و لكن ابن هشام لم يفرق بين لغات العرب، إذ كلها معتمدة في توجيه موضع من مواضع الاستعمالات
اللغوية، التي تبقى دائماً محافظة على تركيباتها اللفظية الخارجية، و دلالاتها الموحدة المتجددة، بمراعاة
القواعد و الأصول العامة المتفق عليها، و لذلك فالذين يلجئون إلى التفرقة بين اللغات⁽⁶⁾ يجهلون أن اللغة
سليقة و طبيعة، و يجهلون أن صاحب اللغة لا يغلظ في لغته، لأنها جزء من حياته التي فطر عليها و عادة
من عاداته التي نشأ عليها. و إذا كان الجاهليون يغلطون، و المخضرمون يغلطون، و الإسلاميون يغلطون،
فعلى من بعد هؤلاء يعتمد النحاة؟ و بماذا يحتجون؟ و من أين جاعوا بهذه الأصول التي وضعوها، و هذه
القواعد التي استنبطوها... و لو كان مقياس الفصاحة هو الانعزال في كبد الصحراء و عدم الاتصال
بالأجانب لكانت لغة قريش أبعد اللغات عن الفصاحة، و لا قلل بهذا بل لقد أجمعت كلمتهم على أن قريشا
أفصح العرب و أن لهجتهم أصفى اللهجات...⁽⁷⁾

و هكذا اتخذ ابن هشام لنفسه منهجا قابلاً لاحتواء جميع اللغات الفصيحة مما أوصل الدرس اللغوي و الدرس
النحوي عنده إلى الدقة كما و كفاً، فأعطته رخصاً لم يبلغ بها مرتبة الإهمال للقواعد العامة.

ب- الشواهد النثرية من غير القرآن الكريم و الحديث الشريف

إن الأمثال العربية الفصيحة و الأقوال العربية للمأثورة، تلك العبارات المختصرة الموجزة التي حافظت
على نسقها و «أمت من التحريف و التغيير، كان لها تردد -لا يستهان به- في عرض حروف المعاني عند
ابن هشام، وخاصة و أن هذه الشواهد كانت رافداً و معيناً غير ناضب في إمداد الدرس اللغوي و النحوي

(1) من [البسيط] لذي الرمة، انظر شواهد المعنى 1/437، و شرح أبيات المعنى 3/310.

(2) معني اللبيب 199.

(3) انظر الصاحبي في فقه اللغة 48-59، و المزهر في علوم اللغة 1/128.

(4) لغات العرب و أثرها في التوجيه النحوي/د/عدي عبد الفتاح الدجني 63.

(5) مدرسة الكوفة 55، 56.

على مدى مراحلها المختلفة بالعلل في مجال التقعيد للغة ذلك لأن هذه الشواهد لا يجوز فيها ما يجوز في الشعر إلى جانب كونها خاضعة أيضاً لمواصفات مكانية و زمانية في صلاحية الاحتجاج بها⁽¹⁾، فالنثر المحفوظ لا يضعف، وقد يضعف الشعر لأن "الكلام المنثور لا يحتاج فيه إلى شيء من ذلك مما يحتاجه الشعر فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه"⁽²⁾

و ابن هشام كان مدركاً لخطورة الأكلة للقاطعة المتوفرة عليها للشواهد النثرية التي لا تتحكم فيها لية ضرورة كما تتحكم في الشعر، ولذلك استعان بكثير من الأمثال و الأقوال الماثورة في توثيق دلالات حروف المعاني، و ضبط أحكامها من ذلك قوله في موضع الحديث عن إلى و مجيئها بمعنى مع:

"و الثاني: المعية، و ذلك إذا ضمنت شيئاً إلى آخر، و به قال الكوفيون و جماعة من البصريين في ﴿مَنْ قَصَّارِي إِلَى اللَّهِ﴾⁽³⁾، و قولهم لَنَدُوْا إِلَى النَّوْدِ لَيْلٌ⁽⁴⁾ و النود: من ثلاثة إلى عشرة، و لا يجوز إلى زيد ما تزيد مع زيد مألوف⁽⁵⁾ و كعادة ابن هشام في فك كل مقفل فهو لا يتخطى أيضاً عن التشرح للغوي لما يراه من حاجة إلى ذلك من شواهد النثرية.

- و ابن هشام يعمد في كثير من المواضع إلى توجيه استعمال حروف المعاني و التخريج الإعرابي للتراكيب قولردة فيها، فيقول في موضع الحديث عن لولا منها:

"ليس من أقسام لولا الواقعة في نحو قوله:

أَلَا زَعَمْتَ أَسْمَاءُ أَنْ لَا أَحِبُّهَا فَقُلْتُ: بَلَى لَوْلَا يَنَازِعُنِي شُغْلِي⁽⁶⁾

لأن هذه كلمتان بمنزلة قولك لو لم، و الجواب محذوف، أي لو لم يَنَازِعُنِي شُغْلِي لَزَرْتَك، و قيل: بل هي لولا الامتناعية، و لفعل بعدها على إضمار أن على حد قولهم: تَسْمَعُ بِالْمَعْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ⁽⁷⁾،⁽⁸⁾

- و قد لا يجد ابن هشام أقوى من الاستدلال كهذا لقول الماثور في إثبات دلالة الحرف و وظيفته النحوية إذ يقول عن إن النافية العاملة عمل ليس :

"... و سمع من أهل العالية إِنَّ أَحَدًا خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْعَاطِفَةِ و إن ذلك تَلَفُظٌ و لا ضَرَكٌ..."⁽⁹⁾

(1) انظر المزهري في علوم اللغة 299، 288/1.

(2) صبح الأعشى للطفندي 85/1.

(3) آل عمران 52.

(4) سبق توثيقه في الفصل الثاني 67.

(5) مغني اللبيب 104.

(6) من [الطويل] لأبي ذؤيب الهذلي، انظر شرح شواهد المعنى 271/2، و شرح لبيت المعنى 128/5

(7) مجمع الأمثال 136/1.

(8) مغني اللبيب 364.

(9) المصدر نفسه 36.

- و يتحرى ابن هشام دليله على إثبات دلالة الحرف في الشعر فيعثر على هذا الدليل محتملا لأمرين كثيرين غير قطعية، و لكن القول المنشور يمتلك إمكانات أقوى في الاستدلال الجيد على مجيء الحرف إن بمعنى نعم يقول عن ذلك ابن هشام:

* استدل المثبتون بقوله :

و يَقَنَّ: شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ، و قد كَبُرَتْ فقلت: إنه (1)

و رَدَّ بأن لا نسلم أن انتهاء للسكت، بل هي ضمير منصوب بها، و الخبر محذوف، أي إنه كذلك، و الجيد الاستدلال بقول ابن الزبير رضي الله عنه لمن قال له: لعن الله ناقلة حملتني إليك: إن و ركبها أي نعم و لعن ركبها، إذ لا يجوز حذف الاسم و الخبر جميعا. (2)

و هكذا يستمر ابن هشام كل إمكانات الاستدلال لتوثيق دلالات حروف المعاني متبعا في ذلك منهاجا دقيقا و أسلوبا مرنا في المحافظة على الأطر الدلالية الدخلية، و الحدود الإعرابية الخارجية للتركيب الواردة فيها تلك الحروف، مع مراعاة دائما الأصول العامة المتفق عليها التي يقوم عليها الدرس النحوي اللغوي.

(1) سبق توثيقه في الفصل الخامس 205 .

(2) مغني اللبيب 56، 57.

الخاتمة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

موضوع الرسالة يقوم أساسا على البحث في حروف المعاني عند ابن هشام منهاجا و دلالة، و ذلك من خلال كتابه المعروف مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، و هذا الموضوع من الموضوعات اللغوية الموجهة و المطوّرة للدرس اللغوي عند العرب، موسعة مجال البحث فيه، أصلته الوثيقة بفهم و إدراك المعاني الفرانية، و الأساليب العربية المتنوعة، التي عن طريقها نصّح، و نوح، أسورا كثيرة مرتبطة بتحصيلنا اللغوي، و بها نثير إشكالات بحثية أخرى مختلفة، نستوقفنا للنظر، و البحث من جديد في قضايا لغوية، و نحوية، و شرعية و بلاغية. و قد كشف عنها منهج ابن هشام بأخذه منحى جديدا متطورا في عرض المفردات و تفسير دلالات حروف المعاني.

ولما كانت الرسالة تسعى إلى الإمساك بمنهج الدرس اللغوي في حروف المعاني عند العرب عموما، منهجية و مركزة على ابن هشام على الخصوص، فقد استقر البحث على عرض مادته وفق منهج تاريخي إحصائي، بالإضافة إلى اعتماده منهجا استنباطيا تحليليا؛ إذ بعد الإحاطة بشخصية ابن هشام اللغوية المتميزة، و متابعة و استقراء لبعض المصطلحات و توضيحها، كان العرض الإحصائي لجانب كبير من المادة، مطلباً ملحا للرسالة، ثم ذلك عن طريق إقامة جداول إحصائية كاشفة عن الحروف في تراث العربية، و موضحة لمناهج السابقين لابن هشام في عرض حروف المعاني.

ولما كان الوقوف على خصائص منهج ابن هشام يقوم على الاستنتاج العلمي، فقد كان اللجوء إلى التحليل و الاستنباط دافعا موضوعيا لتأصيل منهجه في عرض حروف المعاني و دلالاتها، مع إبراز مدى تفردّه عن غيره من السابقين له في هذا الميدان تنظيميا و شمولاً و دقة و وثيقاً. و اكتفي في خاتمة الموضوع بذكر النتائج التي توصل إليها للبحث:

انتهى البحث في الفصل الأول، عن طريق المتابعة و التمثيل، إلى تأكيد أصالة الحرف كمصطلح عملي دقيق؛ و هذا ما توصل إليه إمام النحاة سيبويه بعد استقراء واسع لا يدعو إلى التراجع، و بالتالي فالحرف لا يقبل الأداة مصطلحا بديلا له، لأن مجال استعمال الحرف واسع و دقيق، يختلف في طبيعته عن مجال استعمال مصطلح الأداة العام في الدرس اللغوي. و بذلك فإعادة النظر في المصطلحات يجب أن تكون مبنية على ضوابط علمية متينة، و لا يمكن أن تكون مجرد معارضة و مخالفة من غير إجماع أو اتفاق؛ لأن هذا لا يؤدي إلى تطور الدرس اللغوي و إكسابه مرونة، و إنما يحدث اضطرابا و اهتزازا في أصوله. أما الفصل الثاني فقد خلص إلى أهمية معرفة حروف المعاني في تراث العربية، بالوقوف على قائمة إحصائية متنوعة، تدعونا إلى تجليلها و دراستها، للكشف عن جوانبها الخفية، في إدارتها لمعاني التراكيب. كما خلص هذا الفصل أيضا إلى الوقوف على تنوع مناهج دراسة حروف المعاني، و أنها من حذر التطبيق على بعض المصنفات، التي على الرغم من القصور المتفاوت في مناهجها - كانت متحرية دائما لما يلقي الضوء على حروف المعاني، و يؤكد ضرورة احتواء الدرس اللغوي لها، بمحاولة إيجاد مناهج شاملة و عملية لاستقصائها و شرحها؛ و في ذلك يقول المرادي: "...لما كانت مقاصد كلام العرب، على اختلاف

صنوفه مبنيا أكثرها على معاني حروفه، صرفت الهم إلى تحصيلها، و معرفة جملتها، و تفصيلها. و هي مع فلتها، و تيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، و بعد غورها، فعزت على الإذهان معانيها، و أبت الإذعان إلا لمن يعانيها. (1)

وكان مما توصل إليه البحث في الفصل الثالث، إثبات تطور فهم ابن هشام لمنهج دراسة حروف المعاني و تفسير دلالاتها و أحكامها. لقد كان أسلوب ابن هشام مميزا في طريقة عرضه للمادة، التي كان فيها معلما موجها، و عالما متمكنا في إدراكه للطريقة العلمية الأكاديمية، التي تتلائم و كيفية شرحه لحروف المعاني في الباب الأول من كتابه المعنى. لقد استقصى بمنهج ألفبائي عملي حروف المعاني و لدوت آخر منقفا في انتقاء المصطلح الجامع بينها، و بذلك استطاع ابن هشام أن يوفق بين منهج البحث العلمي الحر المبدع، و المنهج المدرسي، و هما منهجان متناغمان و طريقة عملية لتحصيل لغوي جيد.

ومن النتائج التي انتهى إليها الفصل الرابع، عمل ابن هشام على رسم بناء منهجي متميز في التعامل مع مصادر مادة حروف المعاني؛ فهو لم يقيّد مصادره إلا بتحري الصواب، و لذلك فالوفرة و التنوع و التفاوت في هذه المصادر و الجمع بينها، على اختلاف اتجاهاتها و مظهرها دليل واضح على موسوعية لمعرفة عند ابن هشام، و على تخلصه من الأساليب اللغوية الجاهزة في إثراء المادة و مرونتها. لقد كان يخضعها للبحث و المناقشة باستمرار، محتكما دائما إلى الأصول، فالعالم عند ابن هشام بحجم الحاجة إليه في النقد و التحليل و ملاحقة الصواب، لا بمنزلته العلمية أو تصنيفه الطبق. و في هذا الأسلوب الذي اعتمده ابن هشام دعوة إلى إزاحة الحدود المدرسية النحوية، و تشجيع على تتبع الدليل الذي قضى عنده على كل خلفية مذهبية، و وسع من دائرة الدرس اللغوي، فخرج بهدوء من حيز الإقليمية الثابتة، و الحدود المدرسية الضيقة متجها إلى تتبع الدليل أينما وجده موثقا بما استقرت عليه أصول النحو و اللغة.

وخلصت الرسالة في الفصل الخامس إلى التحسس مباشرة عن طريق المقارنة و التمثيل، مدى مقدرة ابن هشام على الاستيعاب اللغوي الواسع، لمادة بابه، و سيره في أثناء العرض و الشرح، على منهج أصيل متجدد، يتلائم و طبيعة الدرس اللغوي عند العرب. أما حنكته المتمرنة في تطويع المنهج الذي اختاره لبابه الأول من كتابه المعنى فقد مكنته من توليد ظواهر بارزة و هامة تفتح المجال للبحث و الاجتهاد فيها، لعلها تعودنا إلى اكتشاف ما خفي علينا من لغة القرآن الكريم و شرائعه و أحكامه.

و هذه الظواهر هي: ظاهرة التفسير في أحاديث ابن هشام، و ظاهرة علاقة حروف المعاني بالأحكام الشرعية، و ظاهرة تناوب الحروف في الدلالة، و كلها تشجع على قراءات جديدة مركزة، و عميقة للقرآن الكريم، و هي دليل ملموس على تسام اللغة العربية بالمرونة، و امتلاكها قوة دفع لدراسة لتطور الدلالي فيها من زوايا مختلفة، إلى جانب كشفها العملي لشخصية مفسرة للقرآن الكريم، و شخصية عالمة بالفقه و أصوله، و هي شخصية ابن هشام.

ومما توصلت إليه الرسالة في الفصل السادس و الأخير هو بيان الجديد و المتميز في استثمار ابن هشام للشواهد. لقد كان استشهاده بمصادر التوثيق اللغوي المختلفة يتفق مع منهجه الناتج عن دأبه المتواصل في تصيد الأدلة، و ملاحقة الصواب اللغوي. و هذا الصواب عنده ليس قاصرا على مرحلة زمنية معينة أو حدود مكانية ضيقة أو أشخاص معينين، و لذلك لجأ ابن هشام على الأكثر إلى توثيق دلالات حروف المعاني و ضبط أحكامها بالقرآن الكريم، مما جعل الدرس اللغوي عنده ينحو منحى قرآنيا، كما استدل بالقراءات القرآنية و لم يفاضل بينها، بل كان قابلا لها على الوجه الذي ترصيه اللغة، و يعمله النحو، و لم يتجرأ عليها إلا نادرا، فيصفها بالشذوذ، و ذلك حينما يفتقد الدليل العقلي أو النقل الذي يقويها. فالقراءة عنده سنة متبعة يلزم قبولها و المصير إليها.

ولما كان ابن هشام يحتكم دائما إلى سلامة التركيب، و فصاحته، فقد عمل على تطويع عصور الاحتجاج، و ضوابطها الصارمة لاحتواء الجديد المساغ. و الحجة في تأييد مذهبه، أن الفصاحة و سلامة اللغة ليست حكرا على عصر أو مكان ما دامت لغة القرآن الكريم هي المحك الأساس الذي تقوم عليه الدراسات اللغوية المختلفة، و هذه اللغة القرآنية معانيها غير محدودة، و لهذا فليس غريبا لو مستهجنا أن تكون لساليب الاستدلال و الاحتجاج لهذه اللغة غير مفيدة أو محدودة. و مما لا شك فيه أن هذا السبب هو الذي دفع بابن هشام إلى اتخاذ الأحاديث النبوية الشريفة رافدا غنيا لاستثماره في توثيق دلالات و أحكام حروف المعاني. إذ وجه به كثيرا من القضايا اللغوية، و النحوية. و هذا فتح المجال وسعا للبحث و مناقشة حدود الاستشهاد، و الاحتجاج اللغوي بطريقة مرنة متحرية للصواب، و طالبة للدليل.

الفهارس العامة

- 1- فهرس الآيات
- 2- فهرس الأشعار
- 3- فهرس المصادر و المراجع
- 4- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآيات	رقمها	الصفحة
البقرة (02)		
﴿ نزل الكتاب ... ﴾	2	242
﴿ سواء عليهم أأنزرتهم أم لم تنزرتهم ... ﴾	6	249, 197, 167
﴿ بما كانوا يكفون ... ﴾	10	221
﴿ آمنوا كما آمن الناس ... ﴾	13	221
﴿ ذهب الله بنورهم ... ﴾	17	211
﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم ولبصارهم ... ﴾	20	208
﴿ وإذا قال ربك للملائكة ... ﴾	30	199, 112
﴿ وإذا قلنا للملائكة ... ﴾	34	112
﴿ وإذا فرقناكم للبحر ... ﴾	50	112
﴿ إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ... ﴾	54	211
﴿ فهي كالحجارة لو أشد وقوة ... ﴾	74	182
﴿ وإن يمتنوه لبدآ ... ﴾	95	243, 123
﴿ ولتبعوا ما نزلوا الشياطين على ملك سليمان ... ﴾	102	231
﴿ ما ننسخ من آية ... ﴾	106	244
﴿ ربنا تقبل منا ... ﴾	127	236
﴿ إنلأ يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ... ﴾	150	171, 170
﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ... ﴾	157	254
﴿ وأكم في القصاص حياة ... ﴾	179	225
﴿ فليستجيبوا لي، وليؤمنوا بي ... ﴾	186	246
﴿ أجل لكم ليلة الصيام للرفق إلى نسائكم ... ﴾	187	231
﴿ ولا تحلفوا رذوسكم حتى يبلغ الهدى مجله، فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من راسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ... ﴾	196	228 هـ
﴿ لئن أرأد أن ينم للرضاعة ... ﴾	233	177
﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم للنساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ... ﴾	237, 236	229, 228
﴿ منهم من كلم الله ... ﴾	253	168

ال عمران (03)

221	10	﴿لَنْ نَعْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ...﴾
201	20	﴿وَاللَّاسِيَّاتُ ...﴾
243	28	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ...﴾
235, 180, 176, 67	52	﴿مَنْ لَصَّارِي إِلَى اللَّهِ ...﴾
274		
213	75	﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقَنْطَارٍ ...﴾
168	92	﴿حَتَّى تَنْفِقُوا بَعْضَ مَا تُحِبُّونَ ...﴾
212	123	﴿وَلَعَدَّ نَصْرَكُمْ اللَّهُ بَيِّنًا ...﴾
91	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ...﴾
196	165	﴿أَوْ لَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ ...﴾
244	172	﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا، أَجْرٌ عَظِيمٌ ...﴾
182	179	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ...﴾
165	185	﴿وَبِمَا نَوْفَرُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...﴾

النساء (04)

67	2	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ...﴾
200	20	﴿أَنَّا خَوَّضْنَاهُ بَهْتَانًا ...﴾
242	28	﴿وَكَيْفَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ...﴾
249	53	﴿فَإِذَا لَا يُولُونَ لِلنَّاسِ نَفِيرًا ...﴾
182	137	﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾
91	155	﴿فَبِمَا نَقُضُهُمْ ...﴾

المائدة (05)

266, 229, 213, 209	6	﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ...﴾
236	27	﴿فَتُفْعِلْ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ ...﴾
127	46	﴿وَأَنبِئَاةَ الْإِنجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ...﴾
212	61	﴿وَقَدْ تَخَلَّوْا بِالْكَفْرِ ...﴾
177	71	﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ ...﴾
288 هاشم	89	﴿لَا يُولِجُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُولِجُكُم بِمَا عَقَنْتُمُ الْإِيمَانَ، فَكَفَّارَتُهُ لَطَعَامُ عَشْرَةِ مَساكِينَ مِنْ لَوْسِطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ لَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ...﴾
244	74	﴿وَأِنْ لَمْ يَنْتَهِوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الأنعام (06)

234	28	﴿ وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ... ﴾
200	40	﴿ أَعْيَرَ اللَّهُ دَعْوَةَ ... ﴾
127	75	﴿ وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾
243	111	﴿ وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾

الأعراف (07)

34	21	﴿ لَمَّصَ كَتَابٌ نُزِّلَ إِلَيْكَ ... ﴾
هامش 71	71	﴿ لَتَجِدَنَّ فِي سَمَاءٍ سَمِيئَاتٍ ... ﴾
112	86	﴿ وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ ... ﴾
160, 121	08	﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ... ﴾
246	23	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ أَمْنْتُمْ بِهِ ﴾
244	32	﴿ مَهْمَا نَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ ... ﴾
197	185	﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا ... ﴾

التوبة (9)

221	38	﴿ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ... ﴾
163, 112	40	﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾

يونس (10)

158	44	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ... ﴾
197, 167	51	﴿ أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنْتُمْ بِهِ ... ﴾
179	58	﴿ فَيَذَلُّكَ فَيَقْرَحُوا ﴾
209	87	﴿ أَنْ تَبْوَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بَيْوَنًا ... ﴾
158	98	﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمْنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ... ﴾

هود (11)

76, 77	5	﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ ... ﴾
77	8	﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾
212	48	﴿ أَمِيطْ سَلَامٌ ... ﴾
201	87	﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعَذِّبُ آبَاؤَنَا ... ﴾
128	88	﴿ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ... ﴾
248, 247, 205, 168	111	﴿ وَ إِنَّ كَلَامَنَا لَيُؤْمِنُهُمْ ... ﴾

يوسف (12)

7	2	إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ...
246, 172, 171	31	مَا هَذَا بَشَرًا ...
176	32	لِيَكُونَا ...
213	64	هَلْ أَمَنَّكَ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنَّاكَ عَلَى إِخْوَةٍ مِنْ قَبْلُ
254, 165	86	وَأِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ
114	100	وَقَدْ أَحْسَنَ بِي
197	109	فَلَمْ يَسِيرُوا

الرعد (13)

234	2	كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ...
118	33	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ...

الحجر (15)

253, 124	2	وَرَبُّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُّسْلِمِينَ ...
----------	---	---

النحل (16)

255, 212	32	وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ...
182	77	وَمَا أَمَرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ لَوْ أَنَّهُ لَاقِبٌ ...

الإسراء (17)

96	37	وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ...
199	40	لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ وَإِنَّا لَكَرِيمُونَ ...
161	62	أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ...
161	74	وَلَوْلَا أَلَّا تُبَيِّنَكَ ...
249	76	وَإِنَّا لَا يَبْتَئُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ...

الكهف (18)

208	26	أَبْصُرْ بِهِ وَاسْمِعْ ...
244	31	يَخْلُونَ فِيهَا مِنْ لِبَاسٍ مِنْ دَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ...
116	99	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ...

مريم (19)

127	21	هِيَ عَلَى هَيْئَةٍ وَانْجَعَلَتْ آيَةً لِلنَّاسِ ...
243, 123	26	فَلَمَّا أَكَلَمَ الْيَوْمَ قِيمِيًّا ...
128	31	مَا دَعَتْ حَتَّى ...
208	38	أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصُرْ ...
166	82	كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ...

طه (20)

160, 121	20	﴿ فَلَمَّا هِيَ حَاةٌ... ﴾
265	42	﴿ وَ لَا تَبَيَّنَا فِي نِكْرِي ﴾
248, 247, 206, 168	63	﴿ إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرٌ لِّينٌ ﴾
224, 180, 95, 66	71	﴿ وَ لَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جَنُوعِ النَّخْلِ ﴾
237, 231		
208	78	﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾
177	89	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾
88	94	﴿ لَا تَأْخُذْ بِخِشْيَتِي وَ لَا يَرْسِي ﴾
254	107	﴿ عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا ﴾
7	114	﴿ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الأنبياء (21)

242	30	﴿ وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾
201	62	﴿ أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا... ﴾
201	63	﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا. ﴾

الحج (22)

25	11	﴿ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾
246	29	﴿ نَمَّ لِيُقْضَوْا ﴾
244	30	﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾

المؤمنون (23)

211, 210	20	﴿ تَنْتَبُتُ بِالذَّهْنِ... ﴾
----------	----	-------------------------------

النور (24)

272, 246	31	﴿ لِأَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾
----------	----	------------------------------

الفرقان (25)

213	25	﴿ وَ يَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعَابِ ﴾
202	45	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾
212, 181	58	﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

الشعراء (26)

200	18	﴿ أَلَمْ نَرْزُكْ فِينَا وَلِيدًا... ﴾
86	112	﴿ وَ مَا عَلَّمِيَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ... ﴾
200	165	﴿ أَنَا نَوْنُ الذِّكْرِ لَنْ... ﴾

النمل (27)

170	11,10	﴿ لَا يَخَافُ لَدَيْهِ الْمَرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ ﴾
112	31,30	﴿ وَابْتَهِمْ يَوْمَئِذٍ بِالَّذِي هُمْ يُوعَدُونَ ... ﴾

القصص (28)

121	25	﴿ لِيُخْذِرَكَ أَجْرَ مَا سَعَيْتَ لَنَا ... ﴾
248,206,168	27	﴿ لِيُخْذِرَكَ أَجْرَ مَا سَعَيْتَ لَنَا ... ﴾
161	82	﴿ لَوْ لَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ غَلِيظٌ ... ﴾

العنكبوت (29)

211,208	40	﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ ... ﴾
---------	----	--

لقمان (31)

243	27	﴿ وَهُوَ لَوْ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ ... ﴾
-----	----	---

الأحزاب (33)

212	20	﴿ يَسْأَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ ... ﴾
-----	----	-------------------------------------

سبا (34)

209	16	﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ... ﴾
227	24	﴿ وَابْنَا وَبَنَاتَكُمُ تَحْتَ هَؤُلَاءِ ... ﴾
165	46	﴿ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِأُولَئِكَ ... ﴾

فاطر (35)

244	2	﴿ وَمَا يَفْقَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ... ﴾
-----	---	---

يس (36)

247	32	﴿ وَابْنُ كُلِّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّنَا مَحْضَرُونَ ... ﴾
199	60	﴿ أَلَمْ أَتَّخِذْ الْيَكْمَ يَا بَنِي آدَمَ ... ﴾

الصلوات (37)

127	7,6	﴿ إِنَّا رَزَيْنَا السَّمَاءَ لِلنَّبِيِّ بَرِيَّةً لِّكَوَالِبٍ وَحِفْظًا ... ﴾
200	86	﴿ لَنُفَكَّ الْهَيْةَ نَوْنٌ لِّلَّهِ تَرِيدُونَ ... ﴾
200	95	﴿ لَنُفَكَّ الْهَيْةَ نَوْنٌ لِّلَّهِ تَرِيدُونَ ... ﴾
213	137	﴿ وَابْنُ كُلِّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّنَا مَحْضَرُونَ ... ﴾
182,180,162	147	﴿ وَابْنُ كُلِّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّنَا مَحْضَرُونَ ... ﴾
199	149	﴿ وَابْنُ كُلِّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّنَا مَحْضَرُونَ ... ﴾
204	167	﴿ وَابْنُ كُلِّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّنَا مَحْضَرُونَ ... ﴾

الزمر (39)

223	6	﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ جَعَلُ مِنْهَا زَوْجَهَا ... ﴾
117	8	﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ... ﴾
117	9	﴿ أَمِنْ هُوَ قَائِتٌ أَنْاءَ اللَّيْلِ ... ﴾
199	36	﴿ أَلَيْسَ لِلَّهِ يَكُافٍ عَبْدُهُ ... ﴾
198	60	﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ... ﴾

غافر (40)

247	37,36	﴿ أَقْلَىٰ أَبْغِ الْأَسْبَابِ لَسَبَابِ السَّمَوَاتِ فَاطْلَعُ ... ﴾
116	71,70	﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَاقُ فِي آعْنَاقِهِمْ ... ﴾

فصلت (41)

198	40	﴿ لَعَنَ يَتْلُو فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
-----	----	---

الشورى (42)

237,225	11	﴿ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَزْوَاجًا يَتَزَوَّجُ مِنْ هِيَ ... ﴾
236	25	﴿ وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ... ﴾

الزخرف (43)

247	35	﴿ وَ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا تَمَتَّاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
272,246	49	﴿ إِلَهَ السَّاجِرِينَ ﴾
198	52,51	﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْعِثُونُ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ... ﴾
221	60	﴿ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ... ﴾

الحجّية (45)

127	22	﴿ وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لَنُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ ﴾
-----	----	---

الأحقاف (46)

86	10	﴿ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مَوْثِهِ ... ﴾
236	16	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ... ﴾
200	20	﴿ لَذَهَبَتْ طَبِيبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ لَدُنِّيَا ... ﴾

الفتح (48)

222 هامش	27	﴿ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ... ﴾
244	29	﴿ وَ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً ... ﴾

القمر (54)

212	34	﴿ وَ نَجِّنَاهُمْ بِسَحَرٍ ... ﴾
-----	----	----------------------------------

الرحمن (55)

272,246	31	﴿ إِلَهَ الثَّغَلَانِ ... ﴾
---------	----	-----------------------------

213	12	الحديد (57)
202	16	﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ...﴾ ﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ...﴾

246	2	المجادلة (58)
		﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ...﴾

243	1	المنحنة (60)
		﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ لَوْلِيَاءَ ...﴾

198	6	المنافقون (63)
		﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾

128	16	التغابن (64)
		﴿فَانفِرُوا إِلَى اللَّهِ مَا لِسُطُوعَتُمْ ...﴾

89	8	الطلاق (65)
		﴿وَكَأَيُّ مِنْ قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمِيرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ...﴾

246	16,15	الملك (67)
		﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ أَلَيْسَتْكُمْ ...﴾

96	10	القلم (68)
		﴿وَلَا يُطِيعُ كُلَّ حُلَاقٍ مَهِينٍ ...﴾

208	1	المعارج (70)
		﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ...﴾

177	20	المزمل (73)
		﴿عَلَّمَ أَنْ مَخِيقُونَ ...﴾

96	31	القيامة (75)
		﴿فَلَا حَسْرَةَ وَ لَا صَلَّى ...﴾

166	4	الإسنان (76)
213,207	6	﴿سَلَامٌ ...﴾ ﴿عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ...﴾
166	16,15	﴿فَوَارِيزًا ...﴾
96	24	﴿وَلَا يُطِيعُ مِنْهُمْ أَنَّمَا أَوْ كَفُورًا ...﴾

173	41	النفراعت (79)
		﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِمَّا لَمَلَوْى ...﴾

234	2	المطففين (83)	﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ... ﴾
213	30		﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ... ﴾
248,204	4	الطارق (86)	﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ أَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾
166	4	الفجر (89)	﴿ وَ اللَّيْلُ إِذَا يَسُرُّ ﴾
96	11	البلد (90)	﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾
217,196	1	الشرح (94)	﴿ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾
176	10	العلق (96)	﴿ لَسْمَعَاءَ ﴾
116	4	الزلزلة (99)	﴿ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيُنُهُمَا ﴾
234	5		﴿ يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهُمَا ﴾
242	3,2	العصر (103)	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾
216,212	3	النصر (110)	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... ﴾
221	2	المسد (11)	﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾
216	3	الإخلاص (112)	﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾

فهرس الأشعار

البيت	البحر	الشاعر	الصفحة
الهمزة إن من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جانرا و ضباء	للخفيف	الأخطل	125
-- إن هند المليحة الحسناء و أي من أضمرت لخل و فاء	للخفيف	مجهول	118
فذاك و لم، إذ نحن لمتربنا تكن في الناس يدركك المراء	لوالفر	مجهول	217
الباء -- ألا إن سرى ليلى فبت كنيبا أحذر لن تنأى النوى بغضوبا	الطويل	مجهول	270
أعبدا حل في شعبي غريبا لؤما لا لبا لك و اغتربا	لوالفر	جرير	77
هيا ليت الشبيب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب	لوالفر	أبو العتاهية	268
أين المفر و الإله الطالب و الأشرم للمغلوب ليس الغالب	الرجز	نفل بن حبيب	175
طربت و ما شوقا إلى القبيض لطرب و لا لعبا مني و نو الشيب يلعب	الطويل	الكميت بن زيد	196
دعاني إليها القلب بني لأمره سميع فما أدري أرشد طلابها	الطويل	أبو نؤيب الهذلي	117
في ليلة لا نرى بها أحدا يحكى علينا إلا كواكبها	المنسرح	عدي بن زيد	181
ما إن رأيت و لا سمعت به كاليوم طالي أينق جرب	الكامل	دريد بن الصمة	32
ظننت فقيرا ذا غنى، ثم نلتها فلم ذا رجاء لقه غير واهب	الطويل	مجهول	218
التاء دعما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات	المديد	جذيمة الأبرش	254، 124

210، 181، 213	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	الجيم شربين بساء البحر ثم نرقت منى أجاج خفسر لهن ننيج
213	جميل بثينة لو عمر بن لبي ربيعه لو عبيد لبن لومس	الكامل	و لثمت فاهما أخذنا بفرونها ضرب التزيف ببرد ماء الحشرج
264، 198	جرير	الوافر	الحاء لستم خير من ركب المطايا و أئدى العالمين بطون راج
177	مجهول	البسيط	السدال أن نقرآن على أسماء ويحكمنا منى السلام، و أن لا تشعرا أحداً
203	عمر بن لبي ربيعه	الطويل	إذا أسود جنح الليل فلتك و لتكن خطاك خفافا بن حواسنا أمداً
172	الناطقة الذبياني	البسيط	و لا أرى فاعلا في الناس يشبهه و ما أحاشي من الأقوال من أحدي
229، 214، 266	الخفاف بن ندبة	الطويل	كنواح ريت حمامة نجدة و مسحت باللتنين عصف الإثم
269	الفرزدق	الكامل	إن الرزية لا رزية مثلها فقدن مثل محمد و محمد
209	قيس بن زهير	الوافر	ألم يأتك و الأنباء تنمي بما لاقت ليون بني زياد
267	المتنبي	الوافر	أحاد أم سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتنادي
217	الحارث بن المنذر الجرمي	الرجز	الراء في أي يوم من الموت أقر ليوم لم يفر لم يوم قدر
160	عبد بن منذر لو محبوب	الطويل	أفي الحق أني مغرم بك هائم و أنك لا خل هوك، و لا خمر
270	مجهول	البسيط	إما أقمت، و أما أنت مرتحلا فالله يكلاً ما تلتني و ما تنر
216	مجهول	البسيط	لولا فوارس من نعم و أسرهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

165،88	الراعي النهمري (عبيد بن حصين)	البسيط	هَمَّ الحرائر لا رَبَّاتُ أُمَرة سود للمحاجر لا يقرآن بالسور
229	مجهول	الطويل	لأستسهلن الصعب أو أدرك المعنى فما انفانت الأمل إلا لعسير
270	جرير	البسيط	- جاء للخلافة أو كانت له قدرا كما لى ربه موسى على قدر
194	الأسود بن يعفر	الطويل	- لعمرك ما أدري، و إن كنت داريا شعيت بن ميم، لم شعيت بن منفر
269	أبو نولس	الطويل	المسين - أقمنا بها يوما و يوما و ثلثا و يوما له يوم للترحل خامس
224،66	سويد بن أبي كاهل، أو قراد ابن حنش	الطويل	العين - هم صلبوا العبدى في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا
96	لم اهد إليه	الطويل	تت من عليه تنفض لظل بعدما رأت حاجب شمس استوى فترفعنا
265،113	مجهول	الطويل	- على عن يميني مروت الطير سنحا و كيف سنوح و اليمين قطع
32	مجهول	الطويل	-- من النفر اللاني الذين إذا هم يهاب للنام خلقة الباب قمعوا
264	محمد بن ذؤيب العماني الرارجز	الرجز	القاء - كان لئنيه إذا تشوفا قلامة أو قلما محرفا
267	ليلى بنت طريف أو القارعة أخت الوليد	الطويل	أيا شجر الخابور مالك مورقا كلك لم تجزع على ابن طريف!
160	المفضل النكري أو عامر بن معشر ابن اسحم بن عدي	الوافر	القاف لحقا أن جبرتنا استقلوا فنبيتا و نبيتهم فريق
177	أبو محجن النقي	الطويل	و لا تنفني في الفلاة فأنني أخاف إذا ما مت لن لا أنوقها

266	الأعشى (ميمون ابن قيس)	المنسرح	اللام إن محلاً و إن مرتحلاً و إن في السفر إذ مضوا مهلاً
122	المتنبى	الطويل	كفى ثعلاً فخراً بأنك منهم و دهر لأن لمسيت من أهله أهل
211	زهير بن أبي سلمى	الطويل	رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيماً لها حتى إذا لبثت البقل
268	أبيد بن أبي ربيعة	الرجز	و كل أناس سوف تدخل بينهم دويهة تصفر منها الأنامل
11	ابن الصاحب بدر الدين	الطويل	آمن جمال الدين بالحد الذي لففك عيشي ترحة و نكال فما لدروس غبت عنها طلائع و لزمان لست فيه جمال
163	أبي الهنجل	الرجز	يا رب يوم لي لا ظللته لأرمض من تحت و أضخى من علته
217	ذو الرمة	الطويل	فأنتحت مغانيها ففارا رسومها كان لم سوى أهل من ألوحش تؤهل
194 ، 117 ، 97	أمرؤ القيس	الطويل	أفانلم مهلاً بعض هذا للتلل و إن كنت قد أزمعت صرمني فأجملني
96	مزاحم بن الحارث العقيلي	الطويل	قطعت بشو شاء كان فتودها على خاضب يعلو الأما عز مجفل أنك أم كدرية ظل فرخها لقى بشروري كالبنيتم للمعيل عدت من عليه بعدما تم ظمؤها تصل و عن قبض بربزاء مجفل
178، 126	أمرؤ القيس	الطويل	فملاك حبلى قد طرقت و مرضع فالهيبتها عن ذي تمانم محول
123	أمرؤ القيس	الطويل	و يوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقلت: لك الوليات إنك مرجلي
124	أبو طالب عم الرسول - عليه السلام -	الطويل	و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
266	أمرؤ القيس	الطويل	كان دناراً حلفت بلبونه عقاب تنوفي لا عقاب القواغل

77	امرو العيس	الطويل	أحزّ نرى برقاً أريك وميصه كلمع الأيدين في حبي مكال
284، 124	امرو لقيس	الطويل	فيا رب يوم قد لهوت و ليلة بأسمة كأنها خط نمنال
274	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	ألا زعمت أسماء لن لا أحبها فقلت: بلى لولا يئاز عني شغلي
265	باعث بن صريم اليشكري أبو علباء ابن أرقم	الطويل	و يوماً توافينا بوجه مقسم كان ضبية تعطو إلى و لرق لتسلم
228	زيد الأعجم	الوافر	و كنت إذا غمرت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيماً
256	بجير بن غنمة الطائي	المنسرح	- ذلك خليلي و ذو يوصلني برمي، ورائي بأسمهم و أميلمة
211	جرير	الوافر	- تمرّون الديار و لم تعوجوا كلامكم عليّ إذن حرام
273	ذو الرمة	البسيط	- أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصلبة من عيونك مسجوم
123	الأحوص	الوافر	سلام لله يا مطر عليها و ليس عليك يا مطر سلام
123	أبو الأسود الدؤلي	الكامل	لا تته عن خلق و تلتني مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
256	مجهول	المتقارب	يلومني في لشراء النخب ل أهلي فكلهم قوم
270	المرار الحنظلي العدوي (زيد بن مقيد)	البسيط	و ما أصاحب من قوم فأنكرهم إلا يزيدهم حباً إليّ هم
265، 113	قطري ابن الفجاءة	الكامل	فأفد أرقني للرماح درينة من عن يميني مرة و أمانمي
210، 88	عنتره	الكامل	شربت بماء للتحريضين فأصبحت زرواء تنفر عن حياض الديلم

11	ابن نباتة	الطويل	سقى ابن هشام في النوى نوء رحمه تجر على مشواه ذيل غمام ساروي له من سيرة للمدح مسندا فما زلت أروي سيرة ابن هشام
224	عنترة	الكامل	بطل كان ثيابه في سرحة يحدى نعال المسبت ليس بتوعم
209	كعب بن مالك	الكامل	النون فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد يثنا
165	مجهول	الخفيف	جود يملك قاض في الخلق حتى بئس دن بالإساءة ديناً
211	قريب بن لثيف	البسيط	فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شئوا الإغارة فرسانا وركباناً
254	عدي بن زيد	الوافر	فغنمت الأديم أراشيه وألقي قولها كذبا ومينا
179	مجهول	الخفيف	- لنعم أنت يا بن خير قريش فلتغضي حوائج للمسلمين
206	عبيد الله ابن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	بكر العوائل في الصبو ح يلمني و لومنه ويقلن: شيب قد علا ك و قد كبرت فقلت: إنه
275، 205	رجل من العرب لو ذو الرمة	الوافر	- و قتالة: أسيت فقلت: جبر أسي إني من ذلك إنه
194، 118، 195	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	- بدالي منها معصم حين جمرت و كف خضيب زينت بينان فوالله ما أدري و إن كنت داريا بسبع رمين الجمر لم بثمان
267	أفون التغلبي	البسيط	أني جَزَوُا عامرا سوءى يفعلهم أم كيف يجزونني السوءى من الحسن؟ أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رثمان لف إذا ما ضلن باللسين؟
161	جحدر بن مالك لو المعلوم	الوافر	أليس الليل يجمع أم عمرو و لينا فذاك بنا تـدان نعم، و أرى الهلال كما تراه و يعلوها النهار كما علاني

21	البرهان القيراطي	التلوين	جلا لب من أعرابه لنا عروسا عليها غيرة الدهر لا بيني و أبدى لنا من كزرة الذهب الذي نفر له الشمس العذيرة بالحسن و أهدى لأرباب السماء مصفا بغدي بعين كلما حل في أذن و لعبه معني اللبيب فأصبحوا و ما منهم إلا فقير إلى المعني
210	رجل من بني سلول	الكامل	- و لقد أمر على اللثيم يسيني فمضيت نمت قلت: لا يعنيني
268	مشطور السريع مجهول	الهاء	... يا ويحه من جمل ما أشقاء في كل ما يوم و كل ليلة
181	القحيف العقلي	الوافر	- إذا رضيت علي بنو قشير لعمرك الله أعجبتني رضاها
225	زيد الخيل الطائي	الطويل	الألف و يركب يوم الروع منا فارس بصيرون في طعن الأباهر و الكلى
269	ذو الرمة	الطويل	الياء نقول عجوز مدرجي متروحا علي بلها عند أهلي و غاديا لنو زوجة بالمعصر، أم ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثلويًا فقلت لها: لا، إن أهلي جيرة لأكنبة لدهنا جميعا و مالكا و ما كنت مذ أبصرتني في خصومة أراجع - بلينة القوم - قاضيا
214	عبد بني الحسن	الطويل	عميرة، ودع إن تجهزت غاديا كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا
265	الأعشى (ميمون ابن قيس)	الطويل	و أس سرارة الحي حيث لقيتهم و لا تك عن حمل الرباعة و نيا
21	الشيخ محمد الأمير	الطويل	ألا إنما مغني اللبيب مصنف جليل به النحوي يحوي أمانيه و ما هو إلا جنة قد تزخرت ألم تنظر الأبواب فيه ثمانيه
21	الشهاب الخفاجي	الرجز	مغني اللبيب جنة أما تراها و هي لا أبوابها ثمانيه تسمع فيها لاغيه
200	المعاج	الرجز	أطربا و أنت قنمري و الدهر بالإنسان دوارتي

فهرس المصادر و المراجع

-أ-

- 1 الإيهاج في شرح المنهاج : للسبكي (علي عبد الكافي) و ولده (تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي) تحقيق و تعليق د/ شعيبان محمد إسماعيل مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (د.ت)
- 2 الإتيقان في علوم القرآن : للسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) للمكتبة الثقافية بيروت لبنان (1973م)
- 3 الإحاطة في أخبار غرناطة : للسان الدين (ابن الخطيب) تحقيق عبد الله عنان، دار المعارف مصر (د.ت)
- 4 الإحكام في أصول الأحكام : للأمدى (سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد) دار الكتب العلمية بيروت (1403هـ - 1983م)
- 5 ارتشاف الضرب من لسان العرب : لأبي حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف) تحقيق و تعليق د/مصطفى أحمد النماص ج 1 مصر ط 1 (1404هـ - 1984م) .
ج 2 مطبعة المدني القاهرة ط 1 (1407هـ - 1987م) .
- 6 أساس البلاغة : للزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) منشورات دار الفكر (1399هـ - 1979م) .
- 7 الأشباه و النظائر في النحو : للسيوطي تحقيق إبراهيم محمد عبد الله، دمشق (1406هـ - 1986م) .
- 8 الأضداد : للأباري (أبو بكر محمد بن القاسم) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت (1407هـ - 1987م) .
- 9- الأصول في النحو : لابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل) تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط 4 (1408هـ - 1988م) .
- 10 إعراب القرآن : للنحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد) تحقيق د/ زهير غازي زاهد، مكتبة النبعة العربية عالم الكتب ط 2 (1405هـ - 1985م) .
- 11- الأعلام للزركلي (خير الدين) ط 2 (د.ت) .
- 12 الاقتراح في علم أصول النحو : للسيوطي تحقيق و تعليق د/ أحمد محمد قاسم مطبعة السعادة، مصر ط 1 (1396هـ - 1976م) .
- 13 أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة : د/ فاضل مصطفى المسافي مساعدت جامعة بغداد على نشره مكتبة الخانجي القاهرة (1397هـ - 1977م) .
- 14 الإقناع في القراءات السبع: لابن الباذش (أبو جعفر أحمد بن علي) تحقيق د/ عبد المجيد قطامش دار الفكر، دمشق ط 1 (1403هـ) .
- 15 الألفاظ المستعملة في المنطق : للفارابي (أبو نصر) تحقيق محسن مهدي دار المشرق للطباعة الكاثوليكية، بيروت لبنان (1986م) .

- 16 الألفية : لابن مالك (محمد بن عبد الله) مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي و شركاه، مصر (د.ت).
- 17 الإمتاع و الموائمة : لأبي حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس) تصحيح و ضبط أحمد أمين، و أحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان (د.ت).
- 18 إنباه الزواة على أنباه النحاة : لنفطى (جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة، و مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ط1 (1406هـ - 1986م).
- 19 الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين : لابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات) و معه كتاب الإتنصاف من الإنصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد منشورات دار الفكر (د.ت).
- 20 الإيضاح في علل النحو : للزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) تحقيق مازن المبارك، المؤسسة السعودية بمصر منشورات مكتبة العروبة، مطبعة المدني القاهرة (1378هـ - 1959م).
- ب-
- 21 البحث اللغوي عند العرب : د/ أحمد مختار عمر عالم الكتب القاهرة ط 4 (1402هـ - 1982م).
- 22 البحر المحيوط : لأبي حيان الأتلسي، منشورات دار الفكر ط 2 (1403هـ - 1983م).
- 23 بدائع الفوائد : لابن قيم الجوزية (شمس الدين) دار للكتاب العربي بيروت لبنان (د.ت).
- 24 البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : للشوكاني (محمد بن علي) مطبعة السعادة مصر، القاهرة ط 1 (1348هـ).
- 25 البرهان في علوم القرآن : للزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم منشورات دار الفكر (د.ت).
- 26 البصائر و النخائر : لأبي حيان التوحيدي، تحقيق و تعليق د/ إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، مطبعة الإنشاء دمشق (د.ت).
- 27 بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة : للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر ط 2 (1399هـ - 1979م).
- 28 البلاغة و الأسلوبية : د/ محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1984م).
- 29 البلغة في تاريخ أئمة اللغة : للفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق (1392هـ - 1972م).
- ت-
- 30 تاويل مشكل القرآن : لابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) نشر و شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية ط 3 (1401هـ - 1981م).
- 31 تاج اللغة و صحاح العربية : لنجوهري (إسماعيل بن حماد) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت لبنان ط 3 (1404هـ - 1984م).
- 32 التبصرة و التذكرة : للصيمري (أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق) تحقيق د/ فتحي أحمد محطفي علي الدين دار الفكر، دمشق ط 1 (1402هـ - 1982م).
- 33 التبيين عن مذاهب النحويين البصريين و الكوفيين : للعسكري (أبو البقاء عبد الله بن أحمد) تحقيق و دراسة د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط 1 (1406هـ - 1986م).

34- تخلص الشواهد و تلخيص الفوائد : لابن هشام الأنصاري (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف) تحقيق و تعليق د/ عباس مصطفى الصالحي، منشورات دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط 1 (1406هـ - 1986م) .

35- تسهيل الفوائد، و تكميل المقاصد : لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر، منشورات دار الكتاب العربي مصر (1387هـ - 1967م) .

36- التطبيق النحوي : د/ عبده لراجحي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية (1988م) .

37- تطور الدرس النحوي : د/ حسن عون، قسم النحو و الدراسات الأدبية و اللغوية للقاهرة (1970م) .

38- التفسير الكبير و مفتاح الغيب : للرازي (محمد الرازي فخر الدين) منشورات دار الفكر (د.ت) .

39- تناوب حروف الجر في لغة القرآن : د/ محمد حسن عواد دار الفرقان عمان الأردن ط 1 (1402هـ - 1982م) .

40- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : للمرادي (أبو الحسن علي بن عيسى)، و الخطابي (أبو سليمان حمد ابن حمد بن إبراهيم)، و الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر) تحقيق و تعليق محمد خلف الله و محمد زغول سلام دار المعارف مصر (د.ت) .

-ج-

41- جامع البيان في تفسير القرآن : للطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) دار الفكر بيروت (1389هـ - 1978م) .

42- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) دار الكتاب العربي بيروت (د.ت) .

43- للجمال : للزجاجي تحقيق ابن أبي شنب، طبع بمطبعة جول كريونل الجزائر (1926م) .

44- الجنى الداني في حروف المعاني : للمرادي (الحسن بن قاسم)
1/ تحقيق طه محسن ساعدت جامعة بغداد على نشره، منشورات مطابع مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل (1396هـ - 1976م) .
2/ تحقيق د/ فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الأفاق الجديدة بيروت ط 2 (1403هـ - 1983م) .

-ح-

45- الحروف : للمزني (أبو الحسن) تحقيق د/ محمود حسني محمود و د/ محمد حسن عواد، دار الفرقان عمان الأردن ط 1 (1403هـ - 1983م) .

46- الحروف : للغارلي تحقيق محسن مهدي، بحوث و دراسات إدارة معهد الآداب الشرقية، دار المشرق بيروت لبنان (1970م) .

47- الحروف العلملة في القرآن الكريم بين النحويين و البلاغيين : د/ عطية مطر الهلالي مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب بيروت ط 1 (1406هـ - 1986م) .

48- حروف المعاني : للزجاجي، تحقيق د/ علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل الأردن ط 1 (1404هـ - 1984م) .

- 49- حروف المعاني بين دقائق النحو و لطائف الفقه : د/ محمود سعد، منشورات منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي و شركاه، مصر (د.ت) .
- 50 حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة : السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية مصر (1387هـ - 1967م) .
- 51 حاشية الأمير (محمد) على متن مقني اللبيب : لابن هشام الأنصاري د. مكان و د. تاريخ.
- 52 حاشية الدسوقي (محمد عرفة) على متن مقني اللبيب لابن هشام الأنصاري : المطبعة المصرية ببولاق (د.ت) .
- 53 حاشية الصبان (محمد بن علي) على شرح الأشموني (علي بن محمد علي) : منشورات دار الفكر بيروت (د.ت) .
- ج-
- 54 خزائن الأئب و لب لهاب لسان العرب : للبيداري (عبد القادر بن عمر) بيروت ط 1 (د.ت) .
- 55 الخصائص : لابن جني (أبو الفتح عثمان) تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى مطبعة دار الكتب المصرية بيروت لبنان ط 2 (د.ت) .
- د-
- 56 دائرة المعارف الإسلامية : يصدرها بالعربية أحمد قسنتاوي، و إبراهيم زكي خورشيد، و عبد الحميد بونس، مراجعة د/ محمد مهدي علام من قبل وزارة المعارف مصر (د.ت) .
- 57 دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء : المختار أحمد دبره، دار فتيبة بيروت، دمشق ط 1 (1411هـ - 1991م) .
- 58 الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : لابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد) تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة مطبعة المدني مصر ط 2 (1385هـ - 1966م) .
- 59 الدرر النحوي في بغداد : د/ مهدي المخزومي دار الرائد العربي بيروت لبنان (1406هـ - 1986م) .
- 60 دروس في المذاهب النحوية : د/ عبده لراجحي منشورات دار النهضة العربية بيروت (د.ت) .
- 61 دلائل الإعجاز في علم المعاني : لعبد القاهر الجرجاني تصحيح الشيخ محمد عبده، و الأستاذ محمد محمود التركزي الشنيطي، نشره و علق عليه محمد رشيد رضا مصر (1380هـ - 1960م) .
- 62 ديوان ابن نباتة المصري (جمال الدين) دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان (د.ت) .
- ر-
- 63 رصف المباني في شرح حروف المعاني : المالقي (أحمد بن عبد النور) تحقيق أحمد محمد الخراط منشورات مطبعة زيد بن ثابت دمشق (1395هـ - 1975م) .
- س-
- 64 السبعة في القراءات : لابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس) تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف مصر، القاهرة ط 2 (د.ت) .

- 65 سر الفصاحة : لأبن سنان الأندلسي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد) شرح و تصحيح عبد السعال الصعدي، مطبعة محمد علي مسيح و أولاده بالأزهر (1398هـ - 1969م).
- 66 سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) مراجعة و ضبط محمد محي الدين عبد الحميد منشورات دار الفكر (د.ت).
- 67 سنن الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة) تحقيق و تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر بيروت (1403هـ - 1983م).
- 68 سنن النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد شعيب بن علي الخراساني) بشرح جلال الدين السيوطي و حاشية الإمام السندي، منشورات دار الفكر بيروت ط 1 (1348هـ - 1928م).
- ش-
- 69 شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لأبن عماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي دار الأفاق الجديدة بيروت (د.ت).
- 70 شرح أبيات المعنى : للبخدادي، تحقيق عبد العزيز رباح و أحمد يوسف دقاق ج 1، 2 - مكتبة دار البيان دمشق ط 1 (1393هـ - 1974م).
ج 3 - مكتبة دار البيان مطبعة زيد بن ثابت دمشق ط 1 (1394هـ - 1974م).
ج 4 - مكتبة دار البيان مطبعة محمد هاشم الكتبي دمشق (1395هـ - 1975م).
ج 5، 6 - دار المأمون للتراث دمشق ط 1 (1398هـ - 1978م).
- 71 شرح التسهيل : لأبن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد، مكتبة الأنجلو المصرية ط 1 (د.ت).
- 72 شرح التصريح على التوضيح : للأزهرى (خالد عبد الله) تصحيح و مراجعة لجنة من العلماء دار الفكر (د.ت).
- 73 شرح ديوان امرئ القيس : للسندوبي المكتبة التجارية مصر (د.ت).
- 74 شرح ديوان جرير: العساوي المكتبة التجارية مصر (د.ت).
- 75 شرح ديوان المتنبي : للبرقوقي المكتبة التجارية مصر (د.ت).
- 76 شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : لأبن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر (د.ت).
- 77 شرح شواهد المعنى: للسيوطي، تصحيح و تعليق الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي، لجنة إحياء التراث العربي منشورات مكتبة الحياة بيروت لبنان (د.ت).
- 78 شرح قطر الندى و بل الصدى : لأبن هشام الأنصاري، و معه كتاب سبيل الهدى، بتحقيق شرح قطر الندى أحمد محي الدين عبد الحميد، منشورات دار الفكر (د.ت).
- 79 شرح المفصل : لأبن يعش (يعيش بن علي) تصحيح و تعليق مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة الميرية مصر (د.ت).
- 80 شرح موطأ الإمام مالك : للزرقاني (محمد بن عبد الباقي بن يوسف)، مكتبة الكليات الأزهرية لقاهرة (1399هـ - 1979م).
- 81 الشعر و الشعراء : لأبن قتيبة تقيم الشيخ حسن تميم و مراجعة محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم بيروت لبنان ط 2 (1406هـ - 1986م).

82 شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : لابن مالك، تحقيق و تعليق محمد فؤاد عبد الباقي. مكتبة دار العروبة، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة (1376هـ - 1957م) .

-ص-

83 الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها : لابن فارس (أبو الحسين أحمد) تحقيق د/ مصطفى الشويحي منشورات مؤسسة بدران، بيروت لبنان (1383هـ - 1963م) .

84 صبح الأعشى : القفشندي (أبو العباس) المطبعة الأميرية مصر (1331هـ) .

85 صحيح البخاري : (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) النسخة اليونانية من صحيح البخاري، الأ. 30 للشيخ أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان مطبعة البياي الحلبي و أولاده القاهرة (1985م)

86 صحيح مسلم : (أبو الحسين مسلم بن الحجاج) بشرح القنوي (يحيى بن شرف) منشورات دار الفكر (1401هـ - 1981م) .

-ط-

87 طبقات النحويين و اللغويين : للزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأنلسي) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر (د.ت) .

-ع-

88 العمدة : لابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن) تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر ط 2 (1955م) .

-ف-

89 فصول في النحو العربي : د/ محمد علي سلطاني، المطبعة التعاونية دمشق 1401هـ - 1402هـ 1981م - 1982م

90 فقه اللغة و أسرار العربية : للنعالي (أبو منصور) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان (د.ت)

91 فن الشعر : لأرسطو تحقيق و ترجمة شكري محمد عياد، منشورات دار الكتب العربي القاهرة (1387هـ - 1967م) .

92 الفهرست : لابن النديم (محمد بن اسحاق) تحقيق مصطفى الشويحي الدار التونسية للنشر تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (1405هـ - 1985م) .

93 فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا: تصنيف و وضع د/ عدنان درويش وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، لجنة إحياء التراث العربي 38.

94 في أصول النحو : د/ سعيد الأفغاني، دار الفكر بيروت ط 3 (1383هـ - 1964م) .

95 في النحو العربي قواعد و تطبيق على المنهج العلمي الحديث : د/ مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت لبنان ط 2 (1986م) .

• القرآن الكريم.

96- القراءات الشاذة و توجيهها من لغة العرب : عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط 1 (1401هـ - 1981م).

97- القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية : عبد العال سالم مكرم دار المعارف مصر (د.ت).

98- القياس في النحو مع تحقيق الشاذ من المسائل الصكرية لأبي علي الفارسي : د/ منى إلياس ديوان لمطبعة عات الجامعية للجزائر ط 1 (1405هـ - 1985م).

-ك-

- 99 الكتاب : لسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) تحقيق و شرح عبد السلام هارون
ج 1، 2 مكتبة الخانجي القاهرة ط 3 (1408هـ - 1988م).
ج 3 مكتبة الخانجي مطبعة المنني القاهرة (1412هـ - 1992م).
ج 4 مكتبة الخانجي دار الرفاعي بالرياض القاهرة ط 2 (1402هـ - 1982م).

100- الكشف عن حقائق التنزيل، و عيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري دار الفكر ط 1 (1397هـ - 1977م).

101- كشف الخفاء و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على لسان النمل: للعجلوني (إسماعيل بن محمد) نشر على طبعه و تصحيحه و التعليق عليه أحمد القلاس، مؤسسة لرسالة بيروت ط 4 (1405هـ - 1985م).

102- كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون : لحاجي خليفة (مصطفى عبد الله) تصحيح و طبع محمد شرف الدين بالتقيا و رفعت بيلكه الكليس، وكالة المعارف استانبول
ج 1- 1360هـ - 1941م.
ج 2- 1362هـ - 1943م.

-ل-

103- لسان العرب : لابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم) تحقيق الأستاذة عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد قشاشلي، دار المعارف مصر (د.ت).

104- لغات العرب و أثرها في التوجيه النحوي: د/ فتحي عبد الفتاح النجني، مكتبة الفلاح الكويت ط 1 (1401هـ - 1981م).

105- اللغة العربية معناها و مبناها: د/ تمام حسان، دار الثقافة، لدار البيضاء المغرب (د.ت).

106- اللغة العربية و علومها: عمر رضا كحالة، مكتبة النشر بدمشق، دار المعلم العربي المطبعة التعاونية دمشق (1391هـ).

-م-

107- مجاز القرآن: لأبي عبيدة (معمر بن النمشي) تعليق محمد فؤاد سزكين، منشورات الخانجي مصر ط 1 (1374هـ - 1954م).

108- مجمع الأمثال : للميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد القيساري) مصر (1352هـ).

- 109 المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها : لابن جني تحقيق علي النجدي - نصف و د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة (1389هـ - 1969م).
- 110 المخصص : لابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل) دار الفكر بيروت (1398هـ - 1978م).
- 111 المدارس النحوية : د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة مصر ط 5 (د.ت) .
- 112 المدرسة النحوية في مصر و الشام في القرنين السابع و الثامن من هجري : عبد لعال سالم مكرم، دار الشروق بيروت ط1 (1400هـ - 1980م) .
- 113 مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو : د/ مهدي ثمخزومي، دار للرنند العربي، بيروت لبنان ط 3 (1406هـ - 1986م) .
- 114 المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها : للسيوطي، طبعه محمد سعيد الرفاعي، مطبعة دار مصر (د.ت) .
- 115 مسائل خلافية في النحو : للعكبري تحقيق محمد خير الحلواني، منشورات مكتبة الشهاب حلب (د.ت) .
- 116 المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري (أبو عبد الله) دار الكتاب العربي بيروت (د.ت) .
- 117 مسند الإمام أحمد (ابن حنبل) منشورات دار الفكر (د.ت) .
- 118 المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري : عوض حمد القوزي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (1983م) .
- 119 ابن مضاء و موقفه من أصول النحو العربي : بكري عبد الكريم ديوان المطبوعات الجامعية بن عكون الجزائر (1402هـ - 1982م) .
- 120 معاني الحروف : للرماني تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق جدة ط3 (1404هـ - 1984م) .
- 121 معاني القرآن : للأخفش (سعيد بن مسعدة) دراسة و تحقيق د/ عبد الأمير محمد أمين الورد عاتم الكتب بيروت لبنان ط1 (1405هـ - 1985م) .
- 122 معاني القرآن : للفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) تحقيق أحمد يوسف نجلاتي، و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل شلبي .
- 1 / ج 1 الهيئة المصرية العامة للكتاب (1980م) .
ج 2 الدار المصرية للتأليف و الترجمة (د.ت) .
ج 3 الهيئة المصرية العامة للكتاب (1972م) .
- 2 / ج 3، 2، 1 عالم الكتب بيروت لبنان ط3 (1403هـ - 1983م) .
- 123 معجم القراءات القرآنية : إعداد د/ عبد لعال سالم مكرم و د/ أحمد مختار عمر ط1 (1402هـ - 1982م) .

- 124 معجم المصطلحات النحوية و الصرفية : د/ محمد سمير اللبدي، مؤسسة الرسالة بيروت، إصدار
فهرس الكتاب للبليلة دار الثقافة الجزائر (دت) .
- 125 معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة دار احياء التراث العربي بيروت لبنان (دت) .
- 126 معجم المطبوعات العربية و المعربة : يوسف اليان سركيس مطبعة سركيس لفجالة مصر
(1346هـ - 1928م) .
- 127 معجم المفسرين : عادل بويهض، تقديم حسن خالد منشورات مؤسسة نويهض الثقافية ط 2
(1406هـ - 1986م) .
- 128 المعجم الوسيط : ابراهيم مصطفى و آخرون، اشرف على طبعه عبد السلام هارون، دار للنوري
دمشق (دت) .
- 129 مقاييس اللبيب عن كتب الأعراب : لابن هشام الأنصاري، تحقيق د/ مازن المبارك، و محمد علي
حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني دار الفكر ط 5 (1979م) .
- 130 المفصل في علم العربية : للزمخشري و بنيله كتاب المفصل للسيد أبي فارس النعساني (محمد بدر
الدين) دار الجيل بيروت لبنان ط 2 (دت) .
- 131 مقاييس اللغة : لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون منشورات دار الفكر (1399هـ - 1979م) .
- 132 المقصد في شرح الإيضاح : لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق د/ كاظم بحر المرجان منشورات دار
الرشيد المطبعة الوطنية عمان الأردن (1982م) .
- 133 المقضب : للمبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت
(دت) .
- 134 مقدمة ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان
(1983م) .
- 135 من أسرار العربية في البيان القرآني : د/ عائشة عبد الرحمن، دار الأحد البحيري إخوان، بيروت
(دت) .
- 136 من أسرار اللغة : د/ ابراهيم أنيس منشورات مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط 7 (1985م) .
- 137 المنحول من تطبيقات الأصول : للغزالي (أبو حامد محمد) تحقيق د/ محمد حسن هيتو، دمشق ط 8
(1400هـ - 1980م) .
- ن-
- 138 النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة : لابن تغري بردي الأتليكي (جمال الدين أبو المحاسن)
طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب القاهرة (دت) .
- 139 النحو العربي و الدرس الحديث : د/ عبده الراجحي منشورات دار النهضة العربية بيروت
(1406هـ - 1986م) .
- 140 النحو العربي و منطق أرسطو : د/ عبد الرحمن لحاج صالح، بحث ألقاه بكلية الآداب جامعة
الجزائر (1972م) .

141 النحو الوافي : عباس حسن دار المعارف مصر ط 8 (د.ت) .

142 نزهة الأقباء في طبقات الأقباء : لابن الأنباري تحقيق د/ إبراهيم السامرائي مكتبة الأنطلس بغداد ط 2 (1970م) .

143 النشر في القراءات العشر : لابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد) تصحيح و مراجعة علي محمد الضباع منشورات دار الفكر (د.ت) .

-ه-

144 ابن هشام الأنصاري آثاره و مذهبه النحوي : د/ علي فودة نيل، منشورات عناية شؤون المكتبات الرياض المملكة السعودية ط 1 (1985م) .

145 ابن هشام الأنصاري حياته و منهجه النحوي : د/ عصام نور الدين، الشركة العالمية للكتاب مكتبة المدرسة دار للكتاب العالمي بيروت لبنان ط 1 (1989م) .

146 هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المصنفين : لاسماعيل باشا البغدادي (ابن محمد أمين) مطبعة الحكومة استنبول (1951م) .

-و-

147 وفيت الأعيان و أقباء أبناء الزمان : لابن خلكان (أبو العباس شمس الدين) تحقيق و تطبيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة القاهرة (د.ت) .

-الدوريات-

1- مجلة أداب المستنصرية : تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية ببغداد ع 8 (1404هـ - 1984م) .

2- مجلة الأثر : مصر مج 12 ج 5 السنة 12 (1360هـ) .

3- مجلة أضواء الشريعة : تصدرها كلية الشريعة بالرياض منشورات إدارة الثقافة و النشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ع 13 (1402هـ) .

4- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني : ع 32 (1393هـ) .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
المدخل : ترجمة ابن هشام	2 - 7
- اسمه	8 - 21
- مولده و نشأته	9
- وفاته	10
- تربيته العلمي	10 - 11
- جهوده العلمية و اللغوية	11 - 15
- أشهر ما ألفه ابن هشام كتاب	15 - 18
- معنى اللبيب عن كتب الأعراب	18 - 21
الفصل الأول : الحروف من حيث المصطلح و الخصائص	22
المبحث الأول : الحرف و الأداة	23 - 39
المبحث الثاني : منزلة الحرف في الاستعمال اللغوي .	40 - 51
الفصل الثاني : التأليف في حروف المعاني قبل ابن هشام	52
المبحث الأول : الحروف في نثر العربية .	53 - 59
المبحث الثاني : من مناهج دراسة حروف المعاني قبل قبل ابن هشام .	60 - 100
الفصل الثالث : المفردات و أسلوب عرضها عند ابن هشام	101
المبحث الأول : التجنيد في منهج ابن هشام في معنى اللبيب .	102 - 107
المبحث الثاني : طريقة عرض المفردات عند ابن هشام .	108 - 130
الفصل الرابع : مصادر ابن هشام	131
المبحث الأول : منهج ابن هشام في توظيف مصادر المعاني .	132 - 156
المبحث الثاني : طريقة تعامل ابن هشام مع مصادر العادة .	157 - 168
المبحث الثالث : مادة الحروف بين الاتجاه البصري و الكوفي .	169 - 183
الفصل الخامس : منهج ابن هشام في شرح دلالات حروف المعاني	184
المبحث الأول : منهج النحاة القدماء في شرح حروف المعاني .	185 - 191
المبحث الثاني : منهج ابن هشام في عرض دلالات حروف المعاني .	192 - 218
المبحث الثالث : الظواهر الدلالية البارزة في عرض حروف المعاني عند ابن هشام و تفسيرها .	219 - 237
الفصل السادس : التوثيق اللغوي لدلالات حروف المعاني	238
المبحث الأول : القرآن الكريم و قراءاته .	239 - 249
المبحث الثاني : الحديث الشريف .	250 - 260
المبحث الثالث : كلام العرب .	261 - 275

الفهارس العامة

فهرس الآيات

فهرس الأمعار

فهرس المعسائر و المراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية